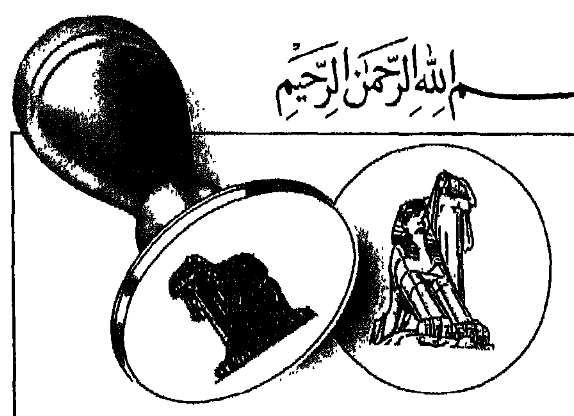


أ. د. محمد سيد أحمد المسير





بسم الله الرحمن الرحيم



اسم الكتاب: قضايا الفكر الإسلامى المعاصر

اسم المؤلف: أ.د. محمد سيد أحمد المسير

إشراف عام: داليا محمد إبراهيم .

تاريخ النشر: يناير ٢٠٠٢

رقم الإيداع: ١٥١٦٧ /٢٠٠١

الترقيم الدولى: I. S. B. N 977-14-1686-3

الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع .

المركز الرئيسى: ٨٠ المنطقة الصناعية الرابعة
مدينة السادس من أكتوبر
ت: ٣٣٠٢٨٧ - ٣٣٠٢٨٩ /٠١١
فاكس: ٣٣٠٢٩٦/٠١١
email:nahda@gega.net

مركز التوزيع: ١٨ ش كامل صدقى - الفجالة - القاهرة .
ت: ٥٩٠٩٨٢٧ - ٥٩٠٨٨٩٥ .
فاكس: ٥٩٠٣٣٩٥/٠٢
ص.ب: ٩٦ الفجالة - القاهرة.

الإدارة العامة: ٢١ ش أحمد عرابى - المهندسين - الجيزة
ت: ٣٤٦٦٤٣٤ - ٣٤٧٧٨٦٤/٠٢ .
فاكس: ٣٤٦٢٥٧٦/٠٢
ص.ب: ٢٠ امبابة

www.nahdetmisr.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ..

أما بعد ..

فيتشابه الفكر الإنسانى فى ماضيه وحاضره ومستقبله ، لكنه يتميز فى كل عصر بملامح ومنطلقات وغايات . .

لقد خاض الفكر الإنسانى فى الطبيعة وما وراءها ، فى الوجود وحقيقته ، فى الإنسان وقيمه ، فى الحياة ومسيرتها . . وتشكلت هذه المباحث تبعا للزمان والمكان ، وقدّم العقل فروضا ومسلمات ودعاوى ، اختلف الناس حولها أو اتفقوا . .

والفكر الإسلامى ليس بدعا فى ذلك ، فلقد خاض فى كل مجالات المعرفة ، وتعددت القضايا ، لكنها تلتقى فى أصولها وتتمايز بملامح عصرها . .

فقضية العولمة اليوم لا تختلف عن قضية الفكر الوافد الفلسفى قديما . .

وقضية حقوق الإنسان وميثاق المرأة أو الطفل لا تتباين مع الضرورات الخمس التى جاء الإسلام للحفاظ عليها ، وهى الدين والنفس والمال والعقل والنسب . .

وقضية مقاومة الاحتلال هى عينها قضية الجهاد الإسلامى . .

وقضية الإعلام هى نفسها قضية الدعوة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . .

وقضية التطور العلمى الرهيب وما نجم عنه من استنساخ وبنوك للأجنة وأرحام مؤجرة قد تلتقى مع نكاح الجاهلية فى الاستبضاع والسفاح . .

وقضية الإبداع الفنى والأدبى والفكرى هى قضية الأمس واليوم والغد ، فهى قضية الاجتهاد والحرية . .

وقد جاء هذا الكتاب ليضع أمام القارئ الكريم بحوثا حول قضايا الفكر الإسلامى المعاصر ، قدمت إلى مؤتمرات وملتقيات فكرية دولية ومحلية ونشرت فى صحف ومجلات . .

وهذه البحوث هى . .

١ - المجتمع الإسلامى

بين حركتى الفكر الوافد والاستشراق .

٢ – التجديد الدينى

بين الحقيقة والوهم .

٣ – القدس إسلامية

ونصر الله للمسلمين .

٤ – رؤية إسلامية لأحداث الخليج .

٥ – رؤية نقدية

لحاضر العالم الإسلامى .

٦ – حقوق الإنسان

بين الإسلام والغرب .

٧ – قضية المرأة

بين حكمة التشريع ودعوى التمييز .

٨ – فتاوى ساخنة

فى الاستنساخ وتأجير الأرحام والحمل من الزوج المتوفى .

٩ – أدب الحديث عن الله .

١٠ – الرسول الداعية

ورجل الإعلام الإسلامى الأول .

* * *

ولسنا ندعى حصر قضايا الفكر الإسلامى فى هذه الجوانب ، لكنها نماذج قد تكون مهمة أو ملحة . .

وعسى الله أن يمنحنا صفاء الفهم وحكمة الوعى ونور البصيرة فى معالجة قضايا أمتنا الإسلامية وفكرنا المعاصر . .

القاهرة فى { ٢٤ من المحرم سنة ١٤٢٢ هـ
١٨ من إبريل سنة ٢٠٠١ م

أبو حذيفة

د. محمد سيد أحمد المسير

أستاذ العقيدة والفلسفة – كلية أصول الدين

جامعة الأزهر



المجتمع الإسلامي

بين حركتي

الفكر الوافد والاستشراق

بحث

قدم إلى :

المؤتمر الدولي الخامس للفلسفة الإسلامية

في كلية دار العلوم - جامعة القاهرة.

٢٦ - ٢٧ من المحرم ١٤٢١هـ

٢ - ٣ من مايو ٢٠٠٠ م

الفكر الوافد

ليس هناك مجتمع على وجه الأرض لم يتأثر بالفكر الوافد ، لكن تختلف الشعوب فى مدى هذا التأثر . .

وما كان عرب مكة إلا أثرا للقاء إسماعيل ـ عليه السلام ـ القادم من الشام بامرأة عربية فنشأ العرب المستعربة . .

وقد عرف عرب الجاهلية رحلة الشتاء والصيف ، ونشأت عبادة الأصنام فى مكة عندما حمل عمرو بن لحى الخزاعى الصنم «هبل» من الشام وأقامه فيها . .

وقدم أبرهة من الحبشة وأقام كنيسة فى صنعاء ، وأراد صرف الناس عن تقديس الكعبة . .

وفى صدر الإسلام أسلم بلال الحبشى وسلمان الفارسى ودخل الناس فى دين الله من كل فج عميق . .

وأشار الرسول ـ ﷺ ـ على زيد بن ثابت أن يتعلم العبرانية أو السريانية فتعلمها زيد فى سبع عشرة ليلة . .

وحاول المسلمون الاتصال بأهل الكتاب والرواية عنهم . فقال لهم رسول الله ـ ﷺ ـ : **«لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم ، وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إليكم»** . .

وعرفت الإسرائيليات طريقها إلى كتب التفسير والحديث . . إلا أن الفكر الوافد بدأ يتغلغل ويتبناه أفراد و جماعات وتشرف عليه مؤسسات الدولة . .

وتبلور الفكر الوافد فى اتجاهين أساسيين هما :

- الاتجاه الفلسفى . .
- الاتجاه الصوفى . .

وقد اتخذ كل منهما غطاء إسلاميا تسرب من تحته وسرى فى عروق الأمة . .

لقد وجد الاتجاه الفلسفى ما يؤيد خطاه ممثلا فى عناية الإسلام بالعقل ودعوته إلى التأمل ورفعته لشأن العلم والعلماء . .

ووجد الاتجاه الصوفى ما يسانده ممثلا فى الزهد والعبادة والمجاهدة . .

* * *

الغطاء الإسلامي للفلسفة:

تفرد سيدنا محمد - ﷺ - من بين سائر الأنبياء بأن آية نبوته كتاب يناجى العقل ويناديه صباح مساء :

﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٢٣) ﴾[١] .

وإن أول آيات القرآن نزولا كانت فتحا عجبا واستفتاحا فريدا :

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ. خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ . اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ. الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ. عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ .

وأكد القرآن تأكيدا قويا على ملائمة قضايا الدين لقواعد العقل ، واستقامته على هدى الفطرة النقية ، فخاطب أولى الألباب كما فى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ ﴾ [٢] .

وأولى العلم كما فى قوله تعالى :

﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ﴾[٣] .

والعلماء كما فى قوله تعالى :

﴿ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾[٤] .

والعالمين كما فى قوله تعالى :

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ ﴾[٥] .

والمتوسمين أى المتأملين أصحاب الوعى والفهم ، كما فى قوله تعالى :

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾ [٦] .

---

١ - سورة البقرة - ٢٣ .
٢ - سورة آل عمران - ١٩٠ .
٣ - سورة آل عمران - ١٨ .
٤ - سورة فاطر - ٢٨ .
٥ - سورة الروم - ٢٢ .
٦ - سورة الحجر - ٧٥ .



ودعا القرآن إلى التأمل واستنهض العقول بأساليب شتى فقال :

﴿ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴾ [1] .

﴿ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [2] .

﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ [3] .

﴿ فَلَوْلا تَذَكَّرُونَ ﴾ [4] .

﴿ أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ ﴾ [5] .

وقد ناقش علماء المسلمين مسائل الدين وقضاياه على هدى العقل والفطرة ، وانطلقوا من قاعدة أساسية هى **أن الأدلة الشرعية لا تتنافى مع مسلمات العقول ولا تصادم الفطر ولا تنأى عن العلم** ، وقد ساق الإمام الشاطبى خمسة وجوه للدلالة على ذلك هى :

أحدها : أنها لو نافتها لم تكن أدلة للعباد على حكم شرعى ولا غيره .

لكنها أدلة باتفاق العقلاء . . فدل أنها جارية على قضايا العقول . .

وبيان ذلك أن الأدلة إنما نصبت فى الشريعة لتتلقاها عقول المكلفين حتى يعملوا بمقتضاها من الدخول تحت أحكام التكليف .

ولو نافتها لم تتلقها فضلا أن تعمل بمقتضاها ، وهذا معنى قولنا (لم تكن أدلة للعباد على حكم شرعى ولا غيره) .

ويستوى فى هذا الأدلة المنصوبة على الأحكام الإلهية وعلى الأحكام التكليفية . .

الثانى : أنها لو نافتها لكان التكليف بمقتضاها تكليفا بما لا يطاق ، وذلك من جهة التكليف بتصديق ما لا يصدقه العقل ولا يتصوره ، بل يتصور خلافه ويصدقه ، فإذا كان كذلك امتنع على العقل التصديق ضرورة ، وقد فرضنا ورود التكليف المنافى التصديق ، وهو معنى تكليف ما لا يطاق ، وهو باطل حسبما هو مذكور فى الأصول .

---

١ ـ سورة البقرة ـ ٤٤ .
٢ ـ سورة البقرة ـ ٧٣ .
٣ ـ سورة البقرة ـ ٢١٩ .
٤ ـ سورة الواقعة ـ ٦٢ .
٥ ـ سورة النساء ـ ٨٢ .



الثالث : أن مورد التكليف هو العقل ، وذلك ثابت قطعا بالاستقراء التام ، حتى إذا فقد ارتفع التكليف رأسا ، وَعُدّ فاقده كالبهيمة المهملة ، هذا واضح فى اعتبار تصديق العقل بالأدلة فى لزوم التكليف .

فلو جاءت على خلاف ما يقتضيه لكان لزوم التكليف على العاقل أشد من لزومه على المعتوه والصبى والنائم ، إذ لا عقل لهؤلاء يصدق أو لا يصدق ، بخلاف العاقل الذى يأتيه ما لا يمكن تصديقه به .

ولما كان التكليف ساقطا عن هؤلاء لزم أن يكون ساقطا عن العقلاء أيضا ، وذلك مناف لوضع الشريعة ، فكان ما يؤدى إليه باطلا .

الرابع : أنه لو كان كذلك لكان الكفار أول من رد الشريعة به ؛ لأنهم كانوا فى غاية الحرص على رد ما جاء به رسول الله - ﷺ - ، حتى كانوا يفترون عليه وعليها . فتارة يقولون : ساحر ، وتارة : مجنون ، وتارة : يكذبونه ، كما كانوا يقولون فى القرآن : سحر ، وشعر ، وافتراء ، وإنما يعلمه بشر ، وأساطير الأولين .

بل كان أول ما يقولون إن هذا لا يعقل ، أو هو مخالف للعقول ، أو ما أشبه ذلك .

فلما لم يكن من ذلك شيء - دل على أنهم عقلوا ما فيه ، وعرفوا جريانه على مقتضى العقول ، إلا أنهم أبوا من اتباعه لأمور أخرى ، حتى كان من أمرهم ما كان ، ولم يعترضه أحد بهذا المدعى فكان قاطعا فى نفيه عنه .

الخامس : أن الاستقراء دل على جريانها على مقتضى العقول ، بحيث تصدقها العقول الراجحة وتنقاد لها طائعة أو كارهة[1] ، ولا كلام فى عناد معاند ، ولا فى تجاهل متعام .

وهو المعنى بكونها جارية على مقتضى العقول ، لا أن العقول حاكمة عليها ولا محسنة فيها ولا مقبحة . . »[2] أ هـ .

وقد رد الإمام الشاطبى على من زعم أن فى القرآن ما لا يعقل معناه كفواتح السور والمتشابهات وقال :

إن فواتح السور للناس فى تفسيرها مقال بناء على أنه مما يعلمه العلماء .

---

١ - قال محقق الكتاب : أى راغبة فى ذلك بدون سبق عناد أو مع سبقه ، والكره غير الإكراه الذى لا يتأتى معه التصديق والانقياد العقلى . .

٢ - الموافقات فى أصول الشريعة جـ٣ ص ١٩ : ٢٠ .



وإن قلنا إنه مما لا يعلمه العلماء فليس مما يتعلق به تكليف على حال ، فإذا خرج عن ذلك خرج عن كونه دليلا على شيء من الأعمال ، فليس مما نحن فيه .

وإن سلم فالقسم الذى لا يعلمه إلا الله تعالى فى الشريعة نادر ، والنادر لا حكم له ، ولا تنخرم به الكلية المستدل عليها أيضا لأنه مما لا يهتدى العقل إلى فهمه ، وليس كلامنا فيه ، إنما الكلام على ما يؤدى مفهوما لكن على خلاف المعقول .

وفواتح السور خارجة عن ذلك لأنا نقطع أنها لو بينت لنا معانيها لم تكن إلا على مقتضى العقول وهو المطلوب .

وإن المتشابهات ليست مما تعارض مقتضيات العقول ، وإن توهم بعض الناس فيها ذلك ، لأن من توهم فيها ذلك فبناء على اتباع الهوى ، كما نصت عليه الآية ﴿ **فَأَمَّا الَّذينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ** ﴾[1] .

لا أنه بناء على أمر صحيح ، فإنه إن كان كذلك فالتأويل منه راجع إلى معقول موافق لا إلى مخالف .

وإن فرض أنها مما لا يعلمها أحد إلا الله ، فالعقول عنها مصدودة لأمر خارجى لا لمخالفته لها . .[2] .

* * *

الغطاء الإسلامى للتصوف:

مما لا شك فيه أن الإسلام دعا إلى الزهد فى الدنيا بمعنى أن قلب المسلم ينبغى أن يكون مفرغا للحق الأعلى ومتعلقا بالباقيات الصالحات ، لا تشغله هموم الحياة ، ولا يقلقه مستقبل الأيام ، ثم هو يعيش قانعا بما قسم الله له ، يسعى فى مناكب الأرض ويعمرها ويأخذ بالأسباب . .

وحرص الإسلام على تنقية السلوك الإنسانى من الشهوات الآثمة ، ودفع المسلم إلى المجاهدة للنفس الأمارة بالعبادة الخالصة والقنوت لله تعالى ومداومة الذكر بالقلب واللسان آناء الليل وأطراف النهار فى إطار القصد والمقاربة والتيسير وبلا رهبانية وانقطاع . .

ونصوص الشرع فى ذلك أكثر من أن تحصى . .

---

١ ـ سورة آل عمران ـ ٧ .

٢ ـ الموافقات فى أصول الشريعة جـ٣ ص ٢١ .

فمن نصوص العبادة :

قال الله تعالى : ﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾(١) .

وقال جل شأنه : ﴿ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً ﴾(٢) .

وفى صحيح البخارى بسنده عن أبى هريرة ﷺ قال : قال رسول الله - ﷺ - : «إن الله تعالى قال : من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلىّ عبدى بشىء أحب إلىّ مما افترضته عليه ، وما يزال عبدى يتقرب إلىّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها ، وإن سألنى أعطيته ولئن استعاذنى لأعيذنه» .

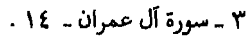
ومن نصوص الزهد :

قال الله تعالى : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴾(٣) .

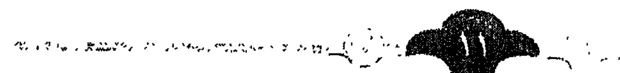
وقال جل شأنه :

﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ (٤) .

وفى صحيح البخارى بسنده عن أبى ذر - ﷺ - قال : كنت أمشى مع النبى - ﷺ - فى حَرَّة بالمدينة فاستقبلنا أُحُد فقال : يا أبا ذر ، قلت : لبيك يا رسول الله . فقال : ما يسرنى أن عندى مثل أحد هذا ذهبا ، تمضى علىّ ثلاثة أيام وعندى منه دينار ، إلا شىء أرصده لدين ، إلا أن أقول به فى عباد الله هكذا وهكذا وهكذا ، عن يمينه وعن شماله وعن خلفه ، ثم سار . فقال : إن الأكثرين هم المقلون يوم القيامة إلا من قال بالمال هكذا وهكذا وهكذا ، عن يمينه وعن شماله ومن خلفه ، وقليل ما هم» .



١ - سورة الحجر - ٩٩ .
٢ - سورة المزمل - ٨ .
٣ - سورة آل عمران - ١٤ .
٤ - سورة الحديد - ٢٠ .



ومن نصوص التيسير :

عندما نزل صدر سورة المزمل ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ، قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً ، نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً ﴾ .

قام الرسول - ﷺ - وأصحابه حتى تورمت أقدامهم ، فنزل آخرها بالتيسير فى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ . . ﴾ .

وفى صحيح الحديث عن أنس - رضي الله عنه - قال :

«جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبى - ﷺ - يسألون عن عبادة النبى ﷺ ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها وقالوا : أين نحن من النبى - ﷺ - ، قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، قال أحدهم : أما أنا فأصلى أبدا .

وقال الآخر : وأنا أصوم الدهر ولا أفطر .

وقال الآخر : وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا .

فجاء رسول الله - ﷺ - إليهم فقال : أنتم الذين قلتم كذا وكذا ، أما والله إنى لأخشاكم لله وأتقاكم له ولكنى أصوم وأفطر ، وأصلى وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتى فليس منى» .

* * *

حب آل بيت النبى - ﷺ - :

إن حب آل بيت النبى - ﷺ - كان من عناصر الغطاء الإسلامى للفكر الوافد فى اتجاهه الصوفى والشيعى . .

إن حب آل بيت النبى - ﷺ - أمر مقرر شرعا لا جدال فيه بنصوص القرآن والسنة . .

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾[1] .

---

١ - سورة الأحزاب - ٣٣ .



وقال جل شأنه : ﴿ قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ﴾[1] .

وأخرج مسلم فى صحيحه بسنده عن يزيد بن حبان قال : **انطلقت أنا وحصين بن سَبْرة ، وعمرو بن مسلم إلى زيد بن أرقم ـ رضى الله عنهم ـ ، فلما جلسنا إليه قال له حصين : لقد لقيت يا زيد خيرا كثيرا ، رأيت رسول الله ـ ﷺ ـ وسمعت حديثه ، وغزوت معه ، وصليت خلفه ، لقد لقيت يا زيد خيرا كثيرا ، حدثنا يا زيد ما سمعت من رسول الله ـ ﷺ ـ .**

قال : يا ابن أخى والله لقد كَبِرت سنى ، وقدُم عهدى ، ونسيت بعض الذى كنت أعى من رسول الله ـ ﷺ ـ ، فما حدثتكم فاقبلوا ، وما لا فلا تكلفونيه ثم قال :

قام رسول الله ـ ﷺ ـ يوما فينا خطيبا بماء يدعى خُما ، بين مكة والمدينة ، فحمد الله وأثنى عليه ، ووعظ وذكر ثم قال : أما بعد ـ ألا أيها الناس فإنما أنا بشر ، يوشك أن يأتى رسول ربى فأجيب ، وأنا تارك فيكم ثَقْلين : أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به . .

فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال :

وأهل بيتى ، أذكركم الله فى أهل بيتى ، أذكركم الله فى أهل بيتى . .

فقال له حصين : ومن أهل بيته يا زيد؟ أليس نساؤه من أهل بيته .

قال : نساؤه من أهل بيته ، ولكن أهل بيته من حُرِم الصدقة بعده ، قال : ومن هم؟ قال : هم آل على وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس ، قال : كل هؤلاء حُرِم الصدقة؟ قال : نعم» .

هذا وما من مسلم يصلى صلاة إلا ويدعو لآل بيت النبى ـ ﷺ ـ فيقول فى التشهد : اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم فى العالمين إنك حميد مجيد . .

* * *

١ ـ سورة الشورى ـ ٢٣ .



الترجمة :

انطلاقا من وقائع العهد النبوى ودعوة الإسلام إلى العلم وحرصه على العقل بدأت جهود فردية للترجمة من الفكر الأجنبى إلى اللغة العربية . .

ويعد خالد بن يزيد بن معاوية أول من ترجم له كتب الطب والنجوم والكيمياء . .

وكانت الكيمياء تعنى يومئذ صناعة الذهب والفضة من غير معادنها ، واهتم بها خالد بن يزيد لكى يغنى أصحابه وإخوانه وقال :

إنى طمعت فى الخلافة فاختزلت دونى فلم أجد منها عوضا إلا أن أبلغ آخر هذه الصناعة فلا أحوج أحدا عرفنى يوما أو عرفته إلى أن يقف بباب سلطان رغبة أو رهبة .
وساق ابن النديم أنه يقال ـ والله أعلم ـ :

أنه صح له عمل الصناعة ، وله فى ذلك عدة كتب ورسائل ، وله شعر كثير فى هذا المعنى ، رأيت منه نحو خمسمائة ورقة ورأيت من كتبه كتاب الحرارات ، وكتاب الصحيفة الكبير ، وكتاب الصحيفة الصغير ، وكتاب وصيته إلى ابنه فى الصنعة»[1] .

ثم انتقلت الترجمة إلى رعاية الدولة واهتمام السلطة الحاكمة فترجم المنطق فى عهد أبى جعفر المنصور ، وكان سخيا مع المترجمين رغم شهرته بالبخل وذلك لخدمة الجدل الساخن الذى دار يومئذ بين الفرق الإسلامية .

وأخذت الترجمة فى الاتساع والتنوع فى عهد هارون الرشيد ، واكتمل عقدها فى عهد المأمون . .

ومن المواقف المشهورة أن هارون الرشيد طلب بعد فتح الجيش الإسلامى لعمورية وأنقرة ـ تسليم المخطوطات الإغريقية القديمة وأن المأمون عندما انتصر على ميخائيل الثالث قيصر بيزنطة طالبه بتسليم كتب الفلاسفة القدماء وسجل ذلك فى وثيقة الصلح . .

وتعلق المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه على ذلك قائلة :

أليس هذا فتحا جديدا فى عالم الحرب؟

أليس ذلك دليلا فذا على أن الحروب الإسلامية كانت حروب سلام وأمن ومجد؟![2]

---

١ ـ الفهرست ـ لابن النديم ص ٤٩٧ ط دار المعرفة ـ بيروت .

٢ ـ شمس العرب تسطع على الغرب ـ ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقى ط منشورات دار الآفاق الجديدة ـ بيروت .



وإجماع المؤرخين على أن حركة الترجمة إلى العربية أنقذت التراث القديم كله من الضياع . . فلم تكن أوروبا يومئذ تعرف شيئا عنه أو تهتم به أو تحرص عليه . .

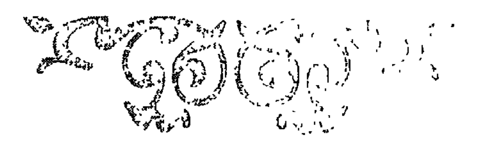
والملاحظة الجديرة بالاعتبار أن المترجمين كانوا نصارى أو يهود أو صابئة يعملون فى مهنة الطب والفلك مثل : آل ما سرجويه الطبيب اليهودى ، وآل بختيشوع وهو طبيب من نساطرة النصارى ، وآل ماسويه وهو طبيب نصرانى ، وآل حنين بن إسحق وهو طبيب نصرانى نسطورى .

وعمل بعضهم فى الفلك والرياضيات مثل آل ثابت بن قرة وهو منجم صابئ ، وجمع بعضهم بين الطب والمنطق مثل يحيى بن عدى وهو نصرانى يعقوبى»[1] .

لقد قام هؤلاء المترجمون بالنقل من لغات العالم السائدة فى اليونان وفارس والهند والصين ، وتجمع لدى المسلمين مذاهب الفلسفة اليونانية الطبيعية والإلهية والأخلاقية ، ومذاهب الفلسفة الشرقية والبوذية والمجوسية والزرادشتية وغيرها . .

وأصبحت قضايا الفكر الإسلامى ممزوجة بعقائد التناسخ والحلول والاتحاد ، واللاهوت والناسوت ، ونظرية المثل والعقول العشرة وغيرها . .

وتصارعت حول هذه القضايا والعقائد - فرق ومذاهب إسلامية ووقف الفلاسفة والمتصوفة وعلماء الكلام والفقهاء والمحدثون فى مواجهات شائكة . .



---

١ ـ راجع طبقات المترجمين فى كتاب «تاريخ الفكر العربى إلى أيام ابن خلدون» عمر فروخ ص٢٧٥ ط دار العلم للملايين ـ بيروت .

الاستشراق

التقاء الشعوب وتمازج الحضارات وتأثر الثقافات ـ سنة من سنن الاجتماع العام . .

والذين يؤرخون للاستشراق منذ القرن السابع الميلادى والفتح الإسلامى للأندلس ـ ينسون هذه السنة فيتخذون من طبائع الأشياء مفاهيم مختلفة يقيمون عليها مصطلح الاستشراق . .

إن اهتمام الغرب بالشرق وجد قبل الإسلام وقبل النصرانية ولقد وصل الإسكندر المقدونى إلى الهند قبل الميلاد بثلاثة قرون . .

وإن صلة الإسلام بالنصرانية واتصال المسلمين بالشعوب الأخرى قديمة منذ العهد الأول فى مكة والمدينة ، فكانت هناك هجرة المسلمين إلى الحبشة ، ودخل الناس فى الإسلام من ديانات شتى وأجناس متعددة ، وعاش فى المدينة المنورة منافقون ويهود ومشركون ، وعرفت لهم معركة فى السيرة النبوية باسم الأحزاب نزل بشأنها القرآن . . قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا . إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا . هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيدًا ﴾[1] .

ومحاولة النيل من المسلمين بوسائل شتى وطرق متباينة وأساليب متنوعة مستمرة منذ نزل قوله تعالى : ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾[2] .

وقتل الخليفة الثانى عمر الفاروق نتيجة العمالة الأجنبية الوافدة . . فتحدث الروايات أن عمر قال : يا ابن عباس انظر من قتلنى؟ فجال ساعة ثم جاء المسجد فقال : غلام المغيرة بن شعبة ، قال عمر : قاتله الله لقد أردت به معروفا ، الحمد لله الذى لم يجعل منيتى بيد رجل يدعى الإسلام . . قد كنت أنت وأبوك تحبان

---

١ ـ سورة الأحزاب ـ الآيات ٩ : ١١ .   ٢ ـ سورة البقرة ـ الآية ١٢٠ .



أن يكثر العلوج بالمدينة ، وكان العباس أكثرهم رقيقا . قال ابن عباس : إن شئت فعلت ، أى إن شئت قتلنا ، فقال عمر : كذبت بعدما تكلموا بلسانكم وصلوا قبلتكم وحجوا حجكم[١] .

ووقعت الفتنة الكبرى فى الإسلام نتيجة كيد اليهود ممثلا فى عبد الله بن سبأ وأعوانه . .

ونحن عندما نتكلم عن الاستشراق لا نعنى مطلقا هذه البدايات ولا هذه السنن العامة التى تمخض عنها عصر الترجمة للعربية أو من العربية ، ونشأت عنها جامعات الأندلس التى احتضنت الوافدين الأوروبيين للتزود من العلم الإسلامى . .

إن مفهوم الاستشراق كمصطلح يعنى دراسة الشرق فى حضاراته وأديانه وآدابه بهدف خدمة المستعمر الأوروبى الذى سعى لاستغلال الشرق والانتفاع بخيراته وانتزاع أهله من دينهم الإسلامى على وجه الخصوص .

وهذا المصطلح يبدأ من القرن الثامن عشر مع مفهوم الاستعمار الحديث الذى يستعمر الأرض ويئد العقل ويقضى على الثقافة الوطنية ويدمر كل شىء يتعلق بالشخصية الشرقية انطلاقا من نظرية تمجيد الجنس الأوروبى وتحقير الجنس الشرقى . .

لقد جاءت الحملة الفرنسية إلى مصر فى أواخر القرن الثامن عشر بقيادة نابليون ومعه جيش جرار من العسكريين والباحثين ، واهتموا بتاريخ مصر القديم وبذلوا جهدا جهيدا فى الحفر والتنقيب حتى عثروا على حجر رشيد بقيادة المستشرق شمبوليون ، ذلك الحجر الذى حلت به رموز الخط الهيروغليفى ، وقرئت الحضارة المصرية القديمة . . إن هناك جهودا علمية رائدة قام بها البحث الاستشراقى ، لكن تظل الأعمال بالنيات . . فما الهدف العام للاستشراق؟!

إنه هدف مركب من جوانب اقتصادية وسياسية وكنسية . .

إن أوروبا لا يمكن أن تعيش وحدها ، ولم يمنحها الله تعالى من خيرات الطبيعة ما يكفى شعوبها ، ثم إنهم تقدموا فى التصنيع تقدما كبيرا ، لكنه تصنيع يفتقر إلى المواد الخام ويحتاج إلى أسواق تجارية . .

ثم إن أوروبا هى المركز الدينى للنصرانية يقبع فيها البابا فى ضاحية من ضواحى روما تسمى الفاتيكان ، ويخضع له النصارى خضوعا مطلقا ، وهم يسعون إلى التغلغل النصرانى فى الشرق ويريدون تصفية حسابات تاريخية . .

---

١ ـ أسد الغابة فى معرفة الصحابة لعز الدين أبى الحسن على بن محمد بن عبد الكريم الجزرى المعروف بابن الأثير .



وفى دراسة المستشرقين للإسلام على وجه الخصوص وقعت أخطاء وخطايا فكرية للأسباب التالية :

١ - الهدف الذى أعلنوه أحيانا وأخفوه حينا هو محاربة الإسلام من الداخل ومن خلال ثوابته . .

٢ - الجهل باللغة العربية جعلهم لا يفهمون النصوص الشرعية أو يفسرونها تفسيرا خاطئا . .

٣ - اعتمادهم على الترجمات القرآنية وهى لا تفى بمعانى القرآن المجيد ، وهى جهد بشرى قاصر لا يتسامى إلى النظم العربى الإلهى المعجز . .

ونحن إذا تتبعنا دراسات المستشرقين واهتماماتهم نجد أن لهم أحيانا همما تبلغ قمم الجبال ، ويتضح ذلك من خلال أعمال رائدة مثل كتاب «مفتاح كنوز السنة» للمستشرق أ . ى . ونسنك [١] .

وأحيانا تقصر هممهم على ظواهر اجتماعية عابرة يدرسونها بما يشبه التحقيقات الصحفية كما فعل المستشرق جان بود رُد فى كتابه «الإسلام والغرب»[٢] ، فقد تكلم عن تحرير المرأة كمظهر من مظاهر التأثير الغربى الذى يقلب المجتمع الإسلامى رأسا على عقب ، وتحدث عن المرأة فى تركيا بعد الثورة الكمالية فقال :

ومن الظواهر البارزة ظهور المرأة التركية فى المجتمعات والمحاكم فضلا عن الفنانات وعازفات الموسيقى والممثلات وعارضات الأزياء .

وهناك نشرة خاصة صادرة عن المديرية العامة للنشر والسياحة تظهر فيها صورة لتلامذة أكاديمية الفنون الجميلة يعملون فى مرسمهم مستوحين لذلك أمثلة حية من النساء العاريات . .

ويقول أيضا :

قد ندهش عندما نرى فى الشوارع إلى جانب عاملات المكاتب والتلميذات والنسوة اللاهيات - طائفة من صغار القوم مظهرهم يبدو كأنه يذكر بماض مندثر . .

ويقول :

والريفيات رغم كل ما يشاهدن لا يتخلين بسرعة عن عاداتهن القديمة ، وهن يلبسن عادة السروال الفضفاض من القماش المتماوج الذى يصل حتى القدمين[٣] .

---

١ - ترجمة الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى ، طبع أكثر من طبعة منها ط سهيل أكيديمى ، كنول أرت بريس - لاهور - ١٣٩١ هـ سنة ١٩٧١ م .

٢ - تعريب لجدة هاجر وسعيد الغز - منشورات المكتب التجارى للطباعة والتوزيع والنشر - بيروت .

٣ - ص ١٨٣ ، ص ١٨٥ .



والملاحظ أيضا أن المستشرقين يتعقبون الشخصيات القلقة فى التاريخ الإسلامى يمجدونها ويعلون قدرها ويثيرون الفكر حولها ، مثل كتاب ، «أخبار الحلاج» . للمستشرقين : ل . ماسنيون ، ب . كراوس (1) .

وأما ما يتعلق بتشويه الفكر الإسلامى واختراع الأباطيل وتزييف الحقائق فحدث ولا حرج . .

وقد ساق الدكتور محمد البهى قائمة بأسماء بعض المستشرقين الخطرين منهم(2) :

١ - أ . ج . أربرى (إنجليزى) .	٢ - ألفرد جيوم (إنجليزى) .
٣ - مرجليوث (إنجليزى) .	٤ - هـ . أ . ر . جب (إنجليزى) .
٥ - بارون كارادى فو (فرنسى) .	٦ - لويس ماسنيون (فرنسى) .
٧ - سى . م . زويمر (أمريكى) .	٨ - كينيث كراج (أمريكى) .
٩ - د . ب . ماكدونالد (أمريكى) .	١٠ - جولد زيهير (مجرى يهودى) .
١١ - جوزيف شاخت (ألمانى) .	١٢ -غ . فون . غرونباوم (ألمانى) .

وهناك مستشرقون بحثوا بنزاهة وحيدة وموضوعية ، فأنصفوا الإسلام ودافعوا عنه ، ووصل بعضهم إلى اليقين والإقرار بتوحيد الله تعالى ورسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، ومارسوا الدعوة إلى الله على بصيرة ، ومن هؤلاء :

١ - ليبولد فايس (محمد أسد) .	٢ - رينيه چينو (عبد الواحد يحيى) .
٣ - إتيين دينيه (ناصر الدين) .	٤ - جارودى (رجاء جارودى) .
٥ - موريس بوكاى .	

ووقف البعض عند حد الإعجاب والدفاع مثل المستشرقة الألمانية «زيغريد هونكه» فى كتابها «شمس العرب تسطع على الغرب»(3) ، وتقول فى مقدمته :

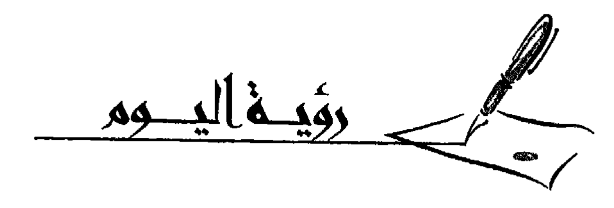
«أردت أن أكرم العبقرية العربية ، وأن أتيح لمواطنىّ فرصة العود إلى تكريمها ، كما أردت أن أقدم للعرب الشكر على فضلهم الذى حرمهم من سماعه طويلا - تعصب دينى أعمى أو جهل أحمق» .

---

١ ـ طبع فى باريس سنة ١٩٣٦م بمطبعة القلم ومكتبة لاروز .

٢ - الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى ط مكتبة وهبة - الطبعة الثانية ص ٤٨٩ .

٣ ـ ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقى ط منشورات دار الآفاق الجديدة - بيروت .



واليوم يتجدد الفكر الوافد والاستشراق ويواصل تأثيراته السلبية عن طريقين :

أ - الفضائيات والإعلام المفتوح .

ب - التعليم الأجنبى داخل المجتمع الإسلامى .

ولنا وجهة نظر فى كل منهما . .

أولاً : إصلاح الإعلام

إن الغزو الإعلامى خطير جدا ، ولابد للمسئولين عن الإعلام فى الدول الإسلامية أن يتفقوا على خطة شاملة لمواجهة هذا الشر المستطير ، ولنبدأ بأنفسنا ولنصحح مسيرة إعلامنا ، ولننقذه من القابعين فى أركانه من عملاء الصهيونية والصليبية وأعداء الأمة . .

وإن الحفاظ على جوهر الشخصية الإسلامية هو الطود الأشم الذى يصد كافة موجات الغزو الفكرى والإعلامى .

إن تصورى لإصلاح الإعلام يقوم على مجموعة محاور هى :

١ - أن يكون هدف الإعلام هو التمكين للدعوة الإسلامية وبناء المواطن المسلم وتقديم الحياة الإسلامية الصحيحة .

٢ - أن يعد رجل الإعلام ليكون رجل دعوة يمثل سمو الهدف ، ويقدم صورة مشرفة لرجل الإسلام .

٣ - أن يهتم الإعلام بتقديم وقائع الحياة الإسلامية المعاصرة من منظور إسلامى .

٤ - أن يبرز نماذج الكفاح الإسلامى المعاصر اقتصاديا وسياسيا وعلميا وعسكريا .

٥ - أن ينحو منحى تربويا يسعى إلى الارتقاء بالذوق والفكر والسلوك وليس يسعى إلى مسايرة أهواء الناس وشهواتهم .

إن أمتنا تملك اليوم عشرات القنوات الفضائية ، وتبث مئات الساعات الإذاعية يوميا وتملك قدرات إعلامية كبيرة . .



لكنها مع الأسف لا تخدم قضايا الأمة ولا تعلى من شأن القيم ولا تحافظ على الثوابت والأصول .

ونحن لا نخشى الإعلام الخارجى وإنما يعنينا فى المقام الأول ماذا نقدم لأنفسنا ولأمتنا ، ولو أحسنا صياغة الإعلام وضبط إيقاعه وتحديد مسئولياته لكان ذلك خيرا كثيرا .

* * *

ثانيا: التعليم الأجنبى

إن التعليم الأجنبى فى المجتمعات الإسلامية له رافدان :

١ - المدارس الأجنبية داخل بلاد المسلمين .

٢ - الابتعاث للدراسة فى دول العالم الخارجى .

وكلا الرافدين له جوانب سلبية على تربية الشباب وتنشئة الأجيال ، فإن للمدارس الأجنبية أهدافا غير معلنة تخدم مصالح أعداء الأمة ، وتقوض لغتنا العربية وتعاند قيمنا الإسلامية ، وإن ابتعاث شبابنا إلى الدول الأجنبية يجعلهم يعيشون حياة لا يقرها الإسلام ، ويقعون فريسة لمذاهب هدامة وتيارات شاذة . .

فالمسألة تحتاج إلى حذر شديد وفطنة واعية . .

ونحن لسنا فى حاجة إلى مدارس أجنبية ، ولدينا من الكفاءات الإسلامية والمناهج التربوية ما يصلح المجتمع ويقود الأمة قيادة رشيدة . .

ونحن نعد الابتعاث من باب الضرورات التى لا نلجأ إليها إلا بقدر الحاجة ﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ . .

وإن المسلم حيال الحضارة الحديثة لا يرفض كل شىء ولا يقبل كل شىء ، وإنما هو ينتقى ، فيأخذ ما يمثل تقدما حقيقيا فى البحث العلمى بكافة صوره ، ويرفض ما يمثل تخلفا حقيقيا كسلوكيات الشواذ والجنس والمُسكرات . .

إن للحضارة الحديثة وجهاً قبيحاً يجب أن نبصر به شبابنا حتى لا نقع فيما وقعوا فيه من أمراض القلق وحياة الضياع وشعور الحسرة .

* * *



ونحن نقترح ما يلى :

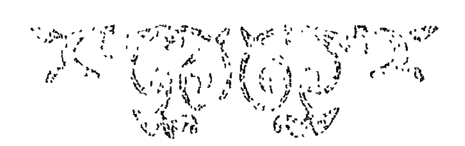
- وقف ابتعاث الطالبات المسلمات إلى هذه البلاد الموبوءة فإن المرأة أضعف مقاومة وأسرع انحرافا ، ولا يجوز سفرها إلا مع ذى محرم .

- وقف الابتعاث فى فنون الموسيقى والرقص والتمثيل وكافة أشكال العفن الأخلاقى .

- وقف الابتعاث فى جوانب الاقتصاد المنزلى وإعداد الموائد والعلاقات العامة وكافة الألوان التافهة من الحياة .

- وضع ضوابط للشباب الذين نقذف بهم إلى هذه المجتمعات المفضوحة ، بما يمنحهم الحصانة ضد العدوى ، فنضع لهم مناهج خاصة فى الثقافة الإسلامية يجب اجتيازها أولاً ، ونعطيهم حق العودة إلى الوطن فى إجازات سنوية على حساب الدولة .

- تعيين ملحق دينى فى سفاراتنا لدى الدول الأجنبية لمتابعة هؤلاء الطلاب وإدارة الحوار معهم بين الحين والآخر . .



التجديد الديني

بين الحقيقة والوهم

بحث

قدم إلى :

المؤتمر الدولي السادس للفلسفة الإسلامية

في كلية دار العلوم - جامعة القاهرة.

٧ - ٨ من المحرم سنة ١٤٢٢ هـ

١ - ٢ من إبريل سنة ٢٠٠١ م



الحكم على الشيء فرع عن تصوره، وتحديد المفاهيم الشرعية مرتبط بنصوص الكتاب والسنة، ونحن فى حاجة إلى تحديد مفهوم «التجديد الدينى» على هذا النحو، حتى نستطيع التفرقة بين الحقيقة والوهم . .

١ - التجديد فى اللغة:

جاء فى كتب اللغة أن الجديد يقابل الخلَق، وأن الجدة - بالكسر - تقابل البلى، وأن الرجل إذا عظم فى أعين الناس قيل له : جَدٌّ فيهم، وأن الجد - بالكسر - الاجتهاد، يقال جَدَّ فى الأمر أى اجتهد، والجادة معظم الطريق . .

وجاء لفظ «الجديد» فى آيات قرآنية مثل قوله تعالى :

﴿ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾[١]

وقوله سبحانه : ﴿ وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴾[٢] .

وقوله جل شأنه : ﴿ وَقَالُوا أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الأَرْضِ أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُم بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ ﴾[٣] .

والمراد بالخلق الجديد هنا هو البعث وإعادة الإنسان مرة أخرى يوم القيامة للحساب والجزاء . . فالعودة إلى مثل الحال الأولى من البنية الإنسانية يعد خلقا جديدا . .

* * *

٢ - التجديد التزام بالقيم:

قال الله تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾[٤] .

---

١ ـ سورة الرعد : ٥ .
٢ ـ سورة الإسراء ـ ٤٩ .
٣ ـ سورة السجدة : ١٠ .
٤ ـ سورة آل عمران ـ ١١٠ .



فخيرية الأمة الإسلامية ليست خيرية عرقية أو جنسية ، وليست مرتبطة بزمان أو مكان ، وإنما هى خيرية مبادئ وقيم ومثل ، تظل شامخة عبر العصور والأزمان ، وهى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والإيمان بالله . .

وهذه دعوة مفتوحة لكل البشر - على كافة عقائدهم وأجناسهم - أن تشملهم هذه الخيرية متى جددوا إيمانهم وأصلحوا ما وهى من عقائدهم طبقا لكلمة الوحى الأخيرة التى جاء بها محمد - ﷺ - .

إن التجديد الدينى هو التزام أمين وصادق بهذه الضوابط الشرعية ، فإذا خرج التجديد عن المعروف شرعا وطبعا فهو انفلات وتدمير وتخريب . .

وإذا تخلى عن النهى عن المنكر ومطاردة الباطل كان إقراراً للجريمة ومعايشة للفحشاء ومسايرة للرذيلة . .

وإذا رفض الإيمان بالله تعالى كان كفرا وشركا وإلحاداً . .

* * *

٣ - التجديد إصلاح:

قال الله تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾[1] .

إن هناك وعداً إلهيا لا يتخلف للمؤمنين العاملين بالاستخلاف فى الأرض وقيادة الحياة بمنهج الوحى الإلهى لتحقيق العدل والأمن . . وهناك قانون اجتماعى ماض منذ كان الإنسان وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها . . وهو :

كلما وهن الدين فى النفوس ضعف السلطان فى الأرض ، وبات الناس مهددين فى أموالهم وأعراضم ودمائهم . .

وإذا عظم الدين وتمكن فى قلوب المخلصين سادوا وحققوا الرخاء والأمن ، ونعموا بالاستقرار النفسى والاجتماعى ، ومضت مسيرة الحياة فى عطائها الخير . .

---

١ - سورة النور - ٥٥ .



فالاستخلاف فى الأرض هو تعبير عن التجديد الدينى الذى يعود بالقيم بعد اندثار، ويعلو بها بعد هبوط، ويتقدم بها بعد تقهقر، وينشرها بعد تقلص . . وهذا هو الإصلاح الحقيقى .

* * *

٤ - عوامل التجديد:

قال تعالى : ﴿ وَالْعَصْرِ. إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ. إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾[١] .

متى فقد الإنسان صفقة حياته وثروة عمره وفرصة وجوده فهو خاسر، فإذا غفل الإنسان عن الهدف السامى من الوجود ضاع منه الطريق وأصابه القلق وانتابته الحيرة، وإذا توقف عن العطاء لنفسه ولمجتمعه وبنى جنسه عفا عليه الزمن وتخلف عن ملاحقة الركب وترك فى زاوية النسيان التاريخى .

ولكى يكسب المرء حياته فأمامه أن يتوافق مع نفسه وفطرته ، ولا يكون هذا التوافق النفسى إلا بالإيمان . .

وبما أن الإنسان مدنى بطبعه يعيش فى مجتمع فلابد من ثمرة لهذا الإيمان هى العمل الصالح . .

وعلينا أن نتكاتف جميعا من أجل هذا الهدف السامى الذى عبّر عنه القرآن المجيد بالتواصى بالحق والتواصى بالصبر، الذى يعنى عطاء الخير المتواصل . .

وقد ضرب الرسول - ﷺ - مثلا لفضل العلم وحسن الانتفاع به . فقال - كما رواه البخارى ومسلم - :

«مثل ما بعثنى الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضا فسدت ، وكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء وأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكان منها أجادب [٢] أمسكت الماء ، فنفع الله تعالى بها الناس ، فشربوا وسقوا وزرعوا ، وأصاب طائفة أخرى إنما هى قيعان[٣] ، لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ ، فذلك مثل من فَقه فى دين الله فعلم ونفعه ما بعثنى الله به وعلم وعلّم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ، ولم يقبل هدى الله الذى أرسلت به» .

١ - سورة العصر - ١ : ٣ .
٢ - الأجادب هى الأرض الصلبة التى تمسك الماء ولا تصلح للإنبات .
٣ - القيعان جمع قاع وهى الأرض المستوية .

فالتجديد مرتبط بحسن العمل بمنهج الله وحسن البلاغ لدعوة الله ، ولا شك أن حسن العمل والبلاغ يقوم على العلم والفقه فى الدين ، والفقه ما هو إلا اجتهاد ووعى بمقاصد الشريعة وأحكامها وبصر بأمور الحياة ومستجداتها . .

* * *

٥ - التجديد اجتهاد وجهاد :

فى صحيح البخارى بسنده عن المغيرة بن شعبة ، عن النبى - ﷺ - قال : «**لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين حتى يأتى أمر الله وهم ظاهرون**» . . وفى رواية عن معاوية قال : سمعت النبى - ﷺ - يقول :

«**لا يزال من أمتى أمة قائمة بأمر الله ، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتى أمر الله وهم على ذلك**» . .

وقد فسر الإمام البخارى هذه الطائفة بأنهم أهل العلم ، وفسرها الإمام النووى بأنها جماعة متعددة من أنواع المؤمنين ، ما بين شجاع وبصير بالحرب ، وفقيه ومحدث ومفسر ، وقائم بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وزاهد وعابد .

وقال : لا يلزم أن يكونوا مجتمعين فى بلد واحد ، بل يجوز اجتماعهم فى قطر واحد ، وافتراقهم فى أقطار الأرض ، ويجوز أن يجتمعوا فى البلد الواحد وأن يكونوا فى بعض منه دون بعض ، ويجوز إخلاء الأرض كلها من بعضهم أولا فأول ، إلى أن لا يبقى إلا فرقة واحدة ببلد واحد ، فإذا انقرضوا جاء أمر الله .

وقال الإمام ابن حجر : إن اجتماع الصفات المحتاج إلى تجديدها لا ينحصر فى نوع من أنواع الخير ، ولا يلزم أن جميع خصال الخير كلها فى شخص واحد[1] .

فالأمة التى يمنحها الله الظهور والغلبة تكون فى جهاد مستمر وحركة دائبة لتغيير الواقع الأليم ، والنهوض بالمجتمع إلى آفاق القيم العليا ، ومطاردة العابثين بالفضيلة ، المتنكرين للحق ، وتظل سنة المدافعة بين الحق والباطل قائمة إلى نهاية المطاف وقيام الساعة . .

* * *

---

١ - راجع فتح البارى جـ ١٣ ص ٢٩٥ .



٦ - التجديد عناية إلهية:

جاء فى حديث رواه أبو داود وصححه الأئمة قول رسول الله - ﷺ -:

«إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها» .

وهناك تساؤلات فى شرح هذا الحديث منها :

هل المراد بالأمة أمة الإجابة أو أمة الدعوة؟

وهل المبعوث واحد أو متعدد؟

فإذا قلنا أنها أمة الإجابة يكون التجديد مرتبطا بالبناء الداخلى للأمة الإسلامية وعوامل نهضتها وقوتها .

وإذا قلنا إنها أمة الدعوة يكون التجديد مرتبطا ببلاغ الدعوة الإسلامية ورسالتها لإصلاح البشرية التائهة . .

ونحن نرجح أنها أمة الدعوة حتى يتحقق حسن البلاغ القائم على حسن القدوة فإن فاقد الشىء لا يعطيه ، وصلاح البشرية مرهون بصلاح المسلمين ، وقد سادوا فى القرون الأولى فحققوا حضارة شامخة شملت العالم من أقصاه إلى أقصاه . .

وإذا قلنا إن المبعوث واحد فيكون التجديد دعوة إصلاح ينهض بها رجل أمة وداعية له اجتهادات عميقة ومواقف مشهودة ، وله أنصار يؤازرونه ويقفون خلفه . .

وإذا قلنا إن المبعوث متعدد فيكون التجديد منوطا بجماعة أو جامعة لها نشاطها ودورها المؤثر فى قيادة الأمة وحماية ثوابتها والنهوض بجوانب الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية .

ولعله مما لا يخفى أن البعث ليس مراداً به بعث النبوة ، فإن النبوة قد انقطعت بعد سيدنا محمد - ﷺ - ، فهو خاتم النبيين ، وإنما البعث هو بعث إيجاد وتدبير وعناية تحقيقا لقوله تعالى - ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[1] . .

* * *

---

١ - سورة الصف - ٩ .

٧ - التجديد اتباع وليس ابتداعًا:

روى البخارى ومسلم عن أم المؤمنين عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : **«من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»** .

والمراد بالأمر هنا الدين كما جاء فى بعض الروايات .

«من أحدث فى ديننا ما ليس منه فهو رد» .

والرد هو المردود على صاحبه ، لا ثواب فيه ، ويقع على صاحبه وزر فعله ، لأنه أتى شيئا باطلا لم يأذن به الله . .

ولمزيد توضيح هذا النص جاء حديث آخر ، رواه أبو داود والترمذى وقال حسن صحيح – عن العرباض بن سارية ـ رضى الله عنه ـ قال :

وعظنا رسول الله ـ ﷺ ـ موعظة وجلت منها القلوب ، وذرفت منها العيون ، فقلنا : يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا ، قال : أوصيكم بتقوى الله عز وجل ، والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد ، فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا ، فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى ، عضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل بدعة ضلالة» .

والبدعة لغة ما كان مخترعا على غير مثال سبق ، ومنه قوله تعالى : ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[1] ، أى خالقهما على غير مثال سابق .

والبدعة شرعا ما ليس يشمله أصل فى الدين ، ولا يدخل تحت نص من نصوص الشريعة ، ولا يتحمله تأويل سائغ من فقه الدين ، فالبدعة المذمومة هى المرتبطة بأحكام الدين ، ولا علاقة لها بأمور الدنيا وشئونها ، فطبيعة الحياة التبدل والتغير ، ويأتى فى كل زمن ما لم يشهده الزمن السابق ، وينشئ الناس من أمور مآكلهم ومشاربهم ومساكنهم ما لم يعهدوه فيما مضى . .

والتجديد الدينى لا يعنى الانفلات من الشريعة أو الخروج على الأحكام أو الاعتداء على النصوص أو الاختراع فى الدين .

ونخلص مما تقدم أن التجديد الدينى هو إعادة الناس إلى حقائق الدين ، ودعوتهم إلى الالتزام بشرائع الله ، وملاحقة واقع الناس بفتاوى شرعية تعتمد النص وتستشرف الواقع ، وتأخذ بأيدى المؤمنين فى رفق ناصح وحكمة داعية .



١ ـ سورة الأنعام ـ ١٠١ .



جدة الرسالات الإلهية:

فطر الله تعالى الناس على صفاء العقل ونور البصيرة وحب الخير ، وهذه المعانى تتدرج تحت تعبير قرآنى هو «الدين الخالص» ، قال تعالى :

﴿ أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾[1] .

وهذه الفطرة نؤمن بها على المستوى الجمعى وعلى المستوى الفردى :

فالفطرة على المستوى الجمعى تعنى أن البشرية جمعاء بدأت عقيدتها بالتوحيد الخالص لله تعالى انطلاقا من أولية آدم ـ عليه السلام ـ وهبوطه إلى الأرض طاهرا مجتبى ونبيا رسولاً . .

والفطرة على المستوى الفردى تعنى قبول الإنسان للحق وإيمانه بالله ، ويقينه بأن للكون خالقا مبدعا حكيما ، لا شريك له ، ما دام الفرد سليما من آفات التقليد والهوى والعادة الجاهلية وفى ذلك يقول الرسول - ﷺ - كما فى الصحيح :

«ما من مولود إلا يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء ، هل تحسون فيها من جدعاء»[2] .

وقد كان البيان الأول لحظة بناء الحياة الإنسانية الأولى وحيا إلهيا ، صاغه القرآن المجيد فى مثل قوله تعالى : **﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَىٰ (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ (١٢٦) وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ ﴾[3] .**

من هذا البيان نستخلص الحقائق التالية :

١ - الإنسانية بدأت مؤمنة موحدة تلتزم الحق وتدعو إليه ، فقد نزل آدم ـ عليه السلام ـ مهديا مجتبى . .

---

١ ـ سورة الزمر ـ ٣ .

٢ ـ الجدعاء المقطوعة الأذن ، والمراد أن البهيمة تولد سليمة ثم يجدعها الناس بعد ذلك .

٣ ـ سورة طه ـ ١٢٣ : ١٢٧ .

٢ – الإيمان ملازم للعقل البشرى السليم ولم تكن هناك طفولة للعقل البشرى على مدى التاريخ ، فالإنسان هو الإنسان أمس واليوم وغدا .

٣ – الوعد الإلهى لبنى الإنسان أن يبعث إليهم رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل . .

٤ – عقيدة الحق تنطلق من الإيمان بالله وتنتهى إلى الإيمان باليوم الآخر وتلتزم بمنهج الوحى الإلهى الذى يحقق كرامة الدنيا وسعادة الآخرة . .

* * *

ومن هنا تواصلت مسيرة الحياة ، وارتفعت حرارة الإيمان وانخفضت ، وآمن الناس وكفروا ، وبين الحين والحين تظهر الهداية الإلهية على يدى رسول كريم توضح الحقيقة وتجليها . .

فالتجديد الدينى ارتبط ببعثة الرسل بدءا ونهاية ، ففى البدء كان آدم عليه السلام ، وحين تكاثرت الذرية وتباعدت الأماكن ، وانتشر الناس – حدث الخلاف والنزاع ووقعت الفتنة ، فتوالت رسالات نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام وغيرهم ليجددوا العهد ويرفعوا لواء الحق ويأخذوا بأيدى البشر إلى سواء السبيل . .

قال تعالى : ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[1] .

وقد ختمت الرسالات ببعثة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، فلا نبى بعده ولا رسول يعقبه ، وكملت الشريعة وعظمت المنة الإلهية على البشر . .

قال تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ﴾[2] .

---

١ ـ سورة البقرة ـ ٢١٣ .　　٢ ـ سورة المائدة ـ ٣ .

جدة الإسلام

لقد كانت رسالة الإسلام بعثا جديدا وفتحا لآفاق عليا فى قيادة الإنسانية الراشدة . .

وتتمثل جدة الإسلام فى عقيدة التوحيد الخالص وشريعة القرآن الكاملة ومكارم الأخلاق المحمدية . .

(أ) عقيدة التوحيد:

لقد جاء القرآن بالتوحيد الخالص لله عز وجل فى مواجهة انحرافات الوثنيين وتحريفات أهل الكتاب وضلالات الفلاسفة . . إن قضية الألوهية أخطر قضية واجهت الإنسان وحارت فيها البشرية ، فذهب الوثنيون إلى أصنام نحتوها بأيديهم وعبدوها زلفى إلى الله ، وذهب المجوس إلى إلهين اثنين للكون ، واحد للخير وآخر للشر ، وقالت اليهود عزير ابن الله وافتروا على الله الكذب بأنه سبحانه فقير ويده مغلولة ، وقالت النصارى المسيح ابن الله ، وطمسوا نور عقولهم بعقيدة اللاهوت والناسوت والخطيئة الموروثة والصلب العجيب والقيامة من بين الموتى وما تلا ذلك من كرسى الاعتراف وصكوك الغفران ومحاكم التفتيش . .

وضل الفلاسفة منذ المدارس الطبيعية الأولى فى بلاد اليونان قبل الميلاد وزعموا أن أصل الكون هو الماء أو التراب أو النار أو الهواء أو الجوهر الفرد أو العدد أو النغم ، إلى أن جاء أفلاطون ونادى بمثال المثل ، وجاء أرسطو ونادى بالمحرك الذى لا يتحرك . .

وتخبط الفلاسفة فى العصور الحديثة ما بين شك مونتانى (١٥٣٢ - ١٥٩٢م) وآلية هوبز (١٦٧٩ م) ونقد العقل النظرى لكانت (١٨٠٤ م) ونظرية التطور لدارون (١٨٨٢م) ، والمادية الجدلية لماركس (١٨٨٣ م) وإرادة القوة لنيتشه (١٨٤٤ - ١٩٠٠ م) .

إن هذا الحصاد الفكرى الطويل أثقل كاهل الإنسان وهوى به إلى مكان سحيق من الاضطراب والقلق والشذوذ .

ويقف الإسلام وحده شامخا مناديا بالتوحيد الخالص لله رب العالمين ، بلا طلاسم للعقل ، وبلا ذنب موروث ، وبلا كهنوت أسود . .



إن عقيدة القرآن هى الفطرة فى نقائها ، والعقل فى صفائه ، والقلب فى نوره . .

قال تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ. اللَّهُ الصَّمَدُ. لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ. وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾[1] .

* * *

(ب) شريعة القرآن :

إن التشريع القرآنى جمع مطالب الإنسانية الراشدة ، وحقق أسمى ما ترنو إليه فى العلاقات الدولية وسياسة الحرب والسلام ، وبناء المجتمع اقتصاديا واجتماعيا وأخلاقيا . .

وتمتاز الشريعة الإسلامية بأمور منها :

١ – شرع الله منوط بمصلحة الإنسان ، فحيثما توجد فثم وجه الله ، والحلال مرتبط بالطيبات والحرام متعلق بالخبائث ، قال تعالى : ﴿ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ﴾[2] .

٢ – نفى الحرج ملاحظ فى التشريع ، قال تعالى :

﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾[3] .

٣ – لا تكتفى الشريعة بالمظاهر والشعارات العامة وإنما تتولى تأصيل مبادئها داخل النفس الإنسانية حتى ينبع سلوك على مقتضى الإيمان ، يتسم بنبل الهدف وشرف المقصد ، قال تعالى :

﴿ لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ ﴾[4] .

٤ – لا كهانة فى الإسلام ، ولا احتكار للتشريع ، وإنما هناك علماء وفقهاء . .

وكل من لديه ملكة علمية وفقه فى الدين ، وبصر بأحوال الناس ويمتاز بصفاء الفهم فهو من أهل الاجتهاد ، وإليه الإشارة بقوله تعالى : ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[5] .

* * *

١ ـ سورة الإخلاص ـ ١ : ٤ .
٢ ـ سورة الأعراف ـ ١٥٦ .
٣ ـ سورة البقرة ـ ١٨٥ .
٤ ـ سورة الحج ـ ٣٧ .
٥ ـ سورة الأنبياء ـ ٧ .

(جـ) مكارم الأخلاق :

مكارم الأخلاق المحمدية هى معجزة من معجزات الإسلام ، ودليل من دلائل النبوة ، فلقد حقق سيدنا محمد - ﷺ - فى حياته الخاصة والعامة - المثل الأعلى والقدوة الحسنة والسيرة العطرة ، وحرص المسلمون على تسجيل وقائع هذه الحياة الشريفة على كل حال ، فى المدخل والمخرج ، فى المنشط والمكره ، فى الحضر والسفر ، فى السلم والحرب ، فى اليقظة والنوم بالكلمة والفعل والموقف . .

وقام علماء أجلاء بالبحث والتمحيص فى السيرة العطرة وكتبوا كتابات قيمة سجلت تلك الحياة النبوية بأكملها بحيث أصبح لدى المسلم ما يشبه اليوميات لسيدنا رسول الله ﷺ .

ونحن المسلمين نفاخر الدنيا كلها بتلك السيرة الصادقة الصحيحة التى اعترف بها الأعداء وسلم بها الخصوم ونالت التقدير والإعجاب من كل الباحثين على اختلاف مللهم ونحلهم . .

إن جوانب الأخلاق كثيرة ، ولكل إنسان نصيب منها ، قل أو كثر ، لكن أن نجد إنساناً جمع الفضائل كلها وحاز المكارم بأجمعها والتقى فيه شرف النسب ، وجمال النفس والبدن ، ومحاسن السلوك فهذا لا يكون إلا محمدا ﷺ ، وصدق الله حيث يقول : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[1] .

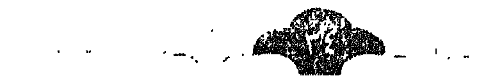
مسيرة التجديد الإسلامى :

انتشر الإسلام وعم نوره الآفاق ، وحقق معجزة السيادة والحكم كما حقق معجزة العقيدة والشريعة ، ودخل الناس فى دين الله أفواجا وامتدت الفتوحات الإسلامية من المحيط إلى المحيط ، وعاش فى كنف الإسلام أجناس وشعوب وعقائد حظيت بحقوق الإنسان وكرامة المواطن ، وأبدع المسلمون حضارة ما زال العالم يكن لها الاحترام ويقف أمامها بإكبار ، ويسجل مآثرها . .

ولقد كتبت المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه كتابها القيم «شمس العرب تسطع على الغرب» وقالت فى مقدمته :

---

١ - سورة القلم - ٤ .



«أردت أن أكرم العبقرية العربية ، وأن أتيح لمواطنىّ فرصة العود إلى تكريمها ، كما أردت أن أقدم للعرب الشكر على فضلهم الذى حرمهم من سماعه طويلا تعصب دينى أعمى أو جهل أحمق» .

فإذا اندرست معالم الدين بين المسلمين ، وتوقف عطاؤهم الحضارى وبليت طرق تفكيرهم فكيف يكون التجديد لهذه الأمة؟

إن هذه الأمة لا تعرف حضارتها إلا من خلال دينها ، ولا تحسن المسير إلا فى ظلال الوحى الإلهى الصحيح . .

والعلماء المجتهدون هم المنوط بهم الإصلاح والتجديد ، ونعنى بهؤلاء المجددين الذين جمعوا بين فقه الدين وفقه الحياة ، ونشطت عقولهم فى كتاب الله المقروء والمنظور ، وتعمقوا فى آيات الله التشريعية وآيات الأنفس والآفاق . .

ولعل أهم خصائص الإسلام ومميزاته فى تكوين هؤلاء المجددين تكمن فيما يلى :

١ - إرساء قواعد البحث وأصول التفكير كما جاءت فى القرآن .

٢ - المزاوجة بين المادة والروح .

٣ - الوحدة الكونية .

٤ - تدعيم إنسانية الإنسان .

٥ - وحدة الجنس البشرى .

فإن سيدنا محمدا - ﷺ - يتفرد من سائر الأنبياء بأن معجزته كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، يحمل الدليل معه وينادى صباح مساء :

﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾[١] .

ولقد بدأ القرآن بتلك الإشراقة الأولى للوحى فى قوله تعالى :

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾[٢] .

* * *

---

١ - سورة البقرة - ٢٣ .

٢ - العلق - ١ : ٥ .

وتتميز ملامح الإسلام بالموازنة بين مطالب الروح وحاجات الجسد، والمزاوجة بينهما، وتلك طبيعة الإنسان، فهو مادة وروح، وغذاء المادة فيما قدر الله فى الأرض من أقوات وما سخر من كائنات، وغذاء الروح فيما أنزل من وحى وما شرع من هدى.

ولكى تستقيم الحياة لابد من مادة تتوثب وارتقاء حضارى يتعالى فى إطار عقيدة صحيحة وسمو أخلاقى، فالجهد الإنسانى يجب أن يبلغ أقصى مداه فى اتجاهين لا بديل عنهما فى حياة الإنسانية هما: البناء الحضارى والنقاء العقدى..

وهذا هو ما يشير إليه قوله تعالى:

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾[1].

وقوله تعالى:

﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾[2].

* * *

وهناك رابطة مقدسة – فى نظر المسلم – بين الكون أجزائه وجزيئاته، فهو أثر من آثار القدرة الإلهية المبدعة.

والمسلم يربط – فى قرارة فؤاده – بين الدنيا والآخرة، وبين الإنس والجن، وبين الأرض والسماء، وبين عالم الشهادة وعالم الغيب تحقيقا لمثل قوله تعالى: ﴿ وَلَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ ﴾[3]. وقوله جل شأنه:

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[4].

* * *

والإنسان – فى منطق الإسلام – تتحدد شخصيته فى ثلاثة خطوط متشابكة هى الاصطفاء والخلافة والتكليف..

فالإنسان طاهر الأصل، بريء من الذنب، مولود على الفطرة النقية، والإنسان سيد الكون وما عداه مسخر لخدمته، ولقد منحه الله القدرة على استكشاف النواميس وارتياد المجهول، ووهبه وسائل المعرفة، ومن ثم فقيادة الحياة هى رسالة الإنسان.

١ـ سورة الأنفال ـ ٦٠.
٢ ـ سورة التغابن ـ ١٦.
٣ ـ سورة الروم ـ ٢٦.
٤ ـ الفاتحة ـ ٢.



وهذا الاصطفاء وتلك الخلافة لا تتحقق إلا فى تحمل الإنسان أمانة المنهج الإلهى لقيادة الحياة . . قال تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ ﴾[1] .

* * *

والإنسان الذى يتحمل الأمانة ويسأل عنها هو الإنسان فى كل زمان ومكان أيا كان لونه وعرقه ولسانه . . فالإنسانية يجمعها الأصل الواحد والهدف المشترك ، قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[2] .

---

١ ـ سورة الأحزاب ـ ٧٢ .
٢ ـ سورة الحجرات ـ ١٣ .

دعاوى التجديد

أتى على الأمة الإسلامية حين من الدهر كانت مصائرها بيد المستعمر الدخيل، الذى احتل الأرض وأفسد العقيدة وطمس معالم الحق ومزق الأمة .. ثم شاء الله أن يحمل المستعمر عصاه على كاهله ويرحل، لكنه خلف وراءه منافقين وسدنة لفكره ودعاة على أبواب جهنم.

وتنازعت الأمة الإسلامية وتنازعتها اتجاهات شتى تحت دعاوى الإصلاح والتجديد والتقدم والتنوير.

ومن عجب أن تبرز دعوة البابية والبهائية والقاديانية تحت ظلال الاستعمار البريطانى للهند، وفى حماية اليهود، ويتخذ أنصار هذه الفرق مدينة عكا الفلسطينية المحتلة كعبة لهم وملاذا آمنا لفلولهم، وتقدم الجماعات الصليبية الدعم السخى لهذه الفرق الهدامة فى كل مكان يتواجدون فيه ..

وذلك لأن هذه الفرق المنتسبة للإسلام تدعى استمرار النبوة، وتستحدث تشريعات عصرية تخالف أحكام الإسلام، أهمها تحريم الجهاد ..

وتوالت دعاوى التجديد، فكان منها ما هو متطرف يحمل السلاح ويدمر كل شىء ..

ومنها ما هو علمانى يسعى لفصل الدولة عن الدين، وتنحية منهج الله عن قيادة الحياة ..

ومنها ما هو منافق يبطن العداوة ويظهر الصداقة ويعمل على هدم عرى الإسلام عروة .. عروة ..

وأثيرت قضايا تتعلق بالإصلاح السياسى والتربوى والاجتماعى والاقتصادى، ودار جدل حول ثوابت الإسلام ومتغيراته، وتكاثر على الساحة دخلاء الفكر الإسلامى وخرجوا من جحورهم ووزعوا الأدوار بينهم وأطلوا بقرونهم السوداء فى وسائل الإعلام ومراكز الثقافة المتنوعة ..

نماذج من دعاوى التجديد :

١ - أكذوبة اليسار الإسلامى

ظهر اتجاه يلقب نفسه باليسار الإسلامى ، وتتلخص مبادئه - على لسان أحد أنصاره - كما يلى : [1]

لا يعترف اليسار الإسلامى إلا بسلطة العقل ، ويرفض الحدس والفيض والإشراق والعلم اللدنى والنور المقذوف فى القلوب ، والأدعية واللاماورائيات . .

وأن العلم هو الحكم ، والطريق الأمثل والأوحد لحل المشكلات وأن العلماء الحقيقيين هم أصحاب العلوم التجريبية ، وهم وحدهم الذين يكتبون الروشتات لما تتردى فيه المجتمعات من أزمات . .

وإن النصوص الدينية تاريخية ترتبط بسبب نزولها ومناسبة ورودها ، وقد انتهى دورها وأن حكم الوقت ملازم لها ، ولا صلاح للدنيا بالدين . .

وأن العبادات والمعاملات فى الإسلام موروثات جاهلية أقرها الدين .

* * *

٢ - الإسلام دين أخلاقى

ويدعى مفكر مجدد من هؤلاء أن الإسلام دين الرحمة وحسن الخلق وليس من حق الإسلام أن يقود الأمة سياسيا واجتماعيا واقتصاديا ، ويكتب عن الإسلام السياسى والخلافة الإسلامية وأصول الشريعة ليفرغ الدين من محتواه القيادى للأمة وينسف النظم الاقتصادية الإسلامية ، وينادى بمجموعة أفكار منها[2] :

- العمل السياسى عمل شخصى وليس ركنا فى الدين .
- حق الأمة فى التشريع والتفسير .
- الخلافة الإسلامية مرحلة تاريخية وليست ركنا فى الإسلام .
- حرية الملبس والمظهر .
- منهج تفسير القرآن : العبرة بخصوص السبب لا بعموم اللفظ .
- الإيمان بالرسالة المحمدية ليس قضية حتمية شرعية على المكلف .

* * *

---

١ ـ خليل عبد الكريم فى صحيفة الأهالى بتاريخ ٨ / ٤/ ١٩٩٢ م .

٢ - المستشار محمد سعيد العشماوى فى صحيفة الأهرام المسائى بتاريخ ٢٨ / ٧/ ١٩٩١ م .

٣ – استهزاء بآيات الله

ويجاهر أحد هؤلاء الأدعياء مناديا[١] :

قولوا على لسانى إننى أول المؤيدين لتطبيق حد رجم الزانى فى الميادين بشرط واحد هو أن يتاح لنا ما أتيح للسلف الطاهر النقى الورع العفيف من رخص وتيسيرات هى حلال ، حلال ، حلال ، وهى الزواج بأربع نسوة وإقامة أسواق للرقيق فى العتبة والعباسية والتحرير وفتح أبواب التسرى بنساء من شرق آسيا ، وإباحة نكاح المتعة . .!!

* * *

٤ – تزييف التاريخ الإسلامى

يخرج علينا رابع[٢] ليقول إن أبا بكر الصديق حارب من أجل ضرائب الدولة والسلطة المركزية وليس من أجل الدين . . وإن الفقهاء اخترعوا عقوبة الردة فى أواخر الدولة الأموية وأوائل الدولة العباسية . .

وإن أصول المحدثين السابقين لا تكفى لقبول السنة وإننا نملك من الوسائل الحديثة المعاصرة ما يجعلنا نستبعد ما قبله الأوائل . . بل يذهب إلى ما هو أبعد من ذلك فيقرر :

إن التراث الإسلامى بعد غربلته لن يبقى منه إلا النذر اليسير ، وهذا النذر اليسير إن نجا من التزييف فإنه لن ينجو من روح العصر الذى صدرت عنه .

٥ – رفض السنة

ويتباكى خامس وسادس على انصراف المسلمين عن القرآن وانشغالهم بالسنة . .

ويؤكد هؤلاء أن الصحابة والتابعين والأئمة قد اجتهدوا فى التفسير والإفتاء والتشريع ثم جاء اللاحقون وأسندوا هذه الاجتهادات للنبى - ﷺ - ليجعلوا لها قدسية ويضمنوا استمرارها .

ويرى هؤلاء المجددون أن النبى - ﷺ - لا شأن له بالناس بعد تبليغ القرآن ، وليس من حقه الاجتهاد لأن المشرع هو الله وحده . . ويتهم هؤلاء البخارى ومسلما وعلماء السنة بانتهاك حرمة الرسول وفضح خصوصياته وهتك سره . .

ويسوق أحد هؤلاء الأدعياء ما توصل إليه اجتهاده حول السنة ويلخصه فى أمور منها[٣] :

١ – التوقف أمام الأحاديث التى جاءت عن المغيبات بدءا من الموت حتى يوم القيامة والجنة والنار . .

---

١ ـ د . فرج فودة فى صحيفة الأحرار بتاريخ ٦ / ١١ / ١٩٨٩ م .

٢ ـ جمال البنا – حرية الفكر ص ٤١ .

٣ـ جمال البنا فى كتابه «السنة ودورها فى الفقه الجديد» ص ٢٤٩ .

٢ - التوقف أمام كل الأحاديث التى جاءت بتفسير المبهمات فى القرآن وكل ما جاء عن نسخ فى القرآن ، والأحاديث التى جاءت عن أسباب النزول .

٣ - التوقف أمام كثير من الأحاديث التى جاءت عن المرأة بدءا من خلقها من ضلع أعوج حتى حجابها .

٤ - طى كل الأحاديث التى جاءت عن الزواج والطلاق وأحكام الرقيق وأحاديث الفيء والغنائم . .

٥ - استبعاد الأحاديث عن معجزات الرسول .

٦ - التوقف أمام كل الأحاديث التى تكفل ميزة خاصة لأشخاص أو أماكن أو قبائل .

٧ - عدم الالتزام بالأحاديث التى جاءت عن الأكل والشرب والملبس والزى والركوب وما إلى ذلك من شئون الحياة الدنيا .

٨ - رفض الأحاديث التى تنص على طاعة الحكام .

سؤال أخير:

هناك سؤال يجب أن يطرح بتجرد ، وأن يجاب عليه بأمانة ، وهو : هل المقصود من التجديد الدينى هو الاجتهاد فى الدين والتمكين لمنهج الله برؤية عقلية مستنيرة .

أو أن المقصود هو طرح رؤى متباينة ، لا علاقة لها بالدين ، ومحاولة تبريرها أو تمريرها إسلاميا؟!

إن كان الأول مرادا فالاجتهاد له ضوابطه وأصوله ، والمجتهد مأجور مشكور من الله والناس سواء أصاب أو أخطأ .

وإن كان الثانى مرادا فمن الخير الإفصاح عن النوايا وتحديد المواقف حتى لا نخدع أنفسنا ويضيع منا الوقت . .

إن تحديد الهدف وتحرير محل النزاع أنفع للأطراف كلها . .

وإنى - شخصيا - أحترم المخالفين فى الرأى ، المجاهرين بالعداء المنابذين على سواء ، وأقبل الحوار معهم امتثالا لقوله تعالى :

﴿ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾[1] .

أما المنافقون الذين يتظاهرون بالفكر الإسلامى ، ويبطنون أفكارًا أخرى ، ويتلونون مع كل مناسبة ويخلعون أقنعتهم كل مرة - هؤلاء لا نصيب لهم من الحوار ، ولا قدر لهم من الاحترام ، ولا وزن لهم فى عالم الفكر . .

---

١ - سورة سبأ - ٢٤ .

القـــدس إسلاميــة

ونصر الله للمسلمين

الترابط المقدس:

إن هناك وحدة عقدية وترابطا تاريخيا يجمع بين أماكن ثلاثة أشرق منها نور التوحيد ، تلك الأماكن هى مكة وسيناء والقدس . . فقد بارك الله هذه الأماكن الثلاثة وأحدث فيها من عجائب القدرة وباهر المعجزات ما جعلها مهفى أرواح المؤمنين .

ولعل صدر سورة التين يشير إلى هذا الترابط المقدس ، قال تعالى :

﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ . وَطُورِ سِينِينَ . وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ ﴾[1] .

فالقسم الأول ببقعة مباركة جرت فيها تفاصيل إعداد روحى لعبد الله ورسوله عيسى ابن مريم ، حيث نشأ فى بيت المقدس بجوار أغصان الزيتون ومنابت التين .

والقسم الثانى بسيناء تذكيرا بما كان عند الجبل من آيات ومعجزات حيث كلم الله موسى تكليما وألقى عليه الألواح تفصيلا لكل شىء .

والقسم الثالث بمكة المكرمة التى شرفها الله وجعلها أم القرى وحرما آمنا يجبى إليه ثمرات كل شىء .

وقد أسرى برسول الله - ﷺ - من مكة المكرمة ، ومرّ بطور سيناء ، وصلى إماما بالأنبياء فى القدس الشريف .

هذا العقد الفريد هو عقد المسلمين وحدهم لأنهم أمناء الله فى أرضه وأولى الناس بأنبياء الله ورسله وأعرف الناس بجلال الإيمان وقدسية الرسالات ، وإن تاريخ المسلمين الطويل قائم على التسامح والبر فى معاملة غير المسلمين طالما ألقوا إلينا السلم ولم يظاهروا علينا أحدا ، قال تعالى : ﴿ لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾[2] .

* * *

الفتح العمرى:

فى العام السادس عشر للهجرة قدم عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى القدس ليتسلمها بنفسه بناء على رغبة أهلها ، فدخلها ملبيا «لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك» وصلى فى بيت المقدس تحية المسجد ، وفى صباح اليوم التالى صلى بالمسلمين صلاة الغداة ، فقرأ فى الركعة الأولى

---

١ - سورة التين - ١ : ٣ .

٢ - سورة الممتحنة - ٨ .

سورة صٓ وفى الركعة الثانية سورة الإسراء ، ثم جاء إلى الصخرة فاستدل على موقعها بمشورة كعب الأحبار وأمر بإنشاء مسجد أمامها وهو المسجد العمرى اليوم .

لقد كانت الصخرة مزبلة أساء الروم استخدامها فأخذ عمر ـ رضى الله عنه ـ بنقل التراب فى طرف ردائه ومعه المسلمون حتى كشفوا عن الصخرة وطهروا موقعها . .

وكان عمر عندما قدم الشام فى غاية التواضع والعزة وتحكى كتب التاريخ أن عمر قدم على جمل أورق ، تلوح صلعته للشمس ، ليس عليه قلنسوة ولا عمامة ، تصطفق رجلاه بين شعبتى الرحل بلا ركاب ، وعليه قميص تخرق جنبه ، فلما نزل قال : اغسلوا قميصى وخيطوه وأعيرونى ثوبا أو قميصا ، ثم أمرهم أن يحضروا له رأس القوم وكبيرهم ، فلما رأى عمر على هذه الحال قال له : أنت ملك العرب وهذه البلاد لا تصلح بها الإبل فلو لبست شيئا غير هذا وركبت برذونا لكان ذلك أعظم فى أعين الروم فانتفض عمر قائلا : نحن قوم أعزنا الله بالإسلام فلا نطلب بغير الله بديلا . .

وتحكى بعض الروايات أن عمر ـ رضي الله عنه ـ لما قدم الشام عرضت له مخاضة فنزل عن بعيره ونزع موقيه فأمسكهما بيد وخاض الماء ومعه بعيره فقال له أبو عبيدة : قد صنعت اليوم صنيعا عظيما عند أهل الأرض ، صنعت كذا وكذا . . مما يستغرب ، فصك عمر فى صدره وقال : لو غيرك يقولها يا أبا عبيدة ، إنكم كنتم أذل الناس وأحقر الناس وأقل الناس فأعزكم الله بالإسلام فمهما تطلبوا العز بغيره يذلكم الله .

وعاشت القدس عربية إسلامية ازدهرت فيها العلوم والفنون والآداب ، ونعم الناس بالأمن والأمان فى ظل الحكم الإسلامى .

* * *

الغزو الصليبى:

وبعدما يقرب من خمسة قرون ، وبالتحديد فى صبيحة يوم الجمعة الثالث والعشرين من شعبان سنة ثنتين وتسعين وأربعمائة للهجرة دخل الصليبيون بيت المقدس وقتلوا أكثر من ستين ألفا من المسلمين وجاسوا خلال الديار ودمروا كل شىء واستباحوا كل الحرمات ، وفرّ الناس على وجوههم هاربين من الشام إلى العراق ، وارتفع البكاء وكثر الأنين ولكن البكاء لا يرفع المظالم ولا يرد الحقوق . . واستسلمت القدس للصليبيين ثنتين وتسعين عاما .

* * *

موقعة حطين :

استطاع السلطان صلاح الدين الأيوبى أن يجمع المسلمين وأن يوحد بين مصر والشام وخاض معارك طاحنة حتى وصل إلى حطين (قرية قرب طبرية يقال إن فيها قبر نبى الله شعيب عليه السلام) سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ، ودارت معركة فاصلة بين السلطان وملوك الصليبيين ، أسفر فيها وجه الإيمان وأظلم وجه الكفر ، وصفها الإمام ابن كثير فى كتابه «البداية والنهاية» قائلا :

«ودارت دائرة السوء على عبدة الصلبان ، وذلك عشية يوم الجمعة فبات الناس على مصافهم ، وأصبح صباح يوم السبت الذى كان يوما عسيرا على أهل الأحد ، وذلك لخمس بقين من ربيع الآخر ، فطلعت الشمس على وجوه الفرنج واشتد الحر وقوى بهم العطش ، وكان تحت أقدام خيولهم حشيش قد صار هشيما ، وكان ذلك عليهم مشئوما ، فأمر السلطان النفاطة أن يرموه بالنفط ، فرموه ، فتأجج نارا تحت سنابك خيلهم فاجتمع عليهم حر الشمس وحر العطش وحر النار وحر السلاح وحر رشق النبال ، وتبارز الشجعان ، ثم أمر السلطان بالتكبير والحملة الصادقة ، فحملوا ، فكان النصر من الله عز وجل ، فمنحهم الله أكتافهم ، فقتل ثلاثون ألفا فى ذلك اليوم وأُسر ثلاثون ألفا من شجعانهم وفرسانهم وكان فى جملة من أسر جميع ملوكهم سوى قوامس[1] طرابلس فإنه انهزم فى أول معركة . .

ثم قال ابن كثير : ولم يسمع بمثل هذا اليوم فى عز الإسلام وأهله ، ودمغ الباطل وأهله ، حتى ذكر أن بعض الفلاحين رآه بعضهم يقود نيفا وثلاثين أسيرا من الفرنج وقد ربطهم بطنب[2] خيمة ، وباع بعضهم أسيرا بنعل يلبسها ، وجرت أمور لم يسمع بمثلها إلا فى زمن الصحابة والتابعين فلله الحمد دائما كثيرا طيبا مباركا» .

* * *

تحرير القدس:

تواصلت مواكب النصر المبين حتى وقفت على أعتاب مدينة القدس ، وأصر السلطان صلاح الدين أن تفتح عنوة كما اغتصبوها عنوة وأن يعاملهم بمثل ما عاملوا به المسلمين من قبل . . وجاء مندوب الصليبيين إلى السلطان وترقق له وذل وتشفع إليه بكل ما أمكن ثم قال له :

---

١ ـ القامس : الداهية ، والقُمّس : السيد الشريف .

٢ ـ الطُنُب : بضمتين حبل يشد به الخباء والسرادق وغيرهما .

إن لم تعطنا الأمان رجعنا فقتلنا كل أسير بأيدينا - وكانوا قريبا من أربعة آلاف - وقتلنا ذرارينا وأولادنا ونساءنا ، وخربنا الدور والأماكن الحسنة ، وأحرقنا المتاع ، وأتلفنا ما بأيدينا من الأموال ، وهدمنا قبة الصخرة ، وحرقنا ما نقدر عليه . . وبعد ذلك نخرج فنقاتل قتال الموت ، ولا خير فى حياتنا بعد ذلك ، فلا يقتل واحد منا حتى يقتل أعدادا منكم فماذا ترتجى بعد هذا من الخير؟ .

فلما سمع السلطان منه هذا الكلام أجابه إلى الصلح على أن يبذل كل رجل منهم عن نفسه عشرة دنانير ، وعن المرأة خمسة دنانير ، وعن كل صغير وصغيرة دينارين ، ومن عجز كان أسيرا للمسلمين ، وأن تكون الغلات والأسلحة والدور للمسلمين . .

وأصدر السلطان عفوا وتسامحا كبيرا فى معاملة أسر الملوك وذوى قرباهم . .

ودخل السلطان والمسلمون القدس يوم الجمعة قبيل وقت الصلاة يوم السابع والعشرين من رجب سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة فطهروا المسجد الأقصى من الصلبان والرهبان والخنازير ، وغسل المسلمون الصخرة بالماء الطاهر والمسك الفاخر ، وأقيمت أول جمعة فى اليوم الرابع من شعبان وامتلأ الجامع وسالت المدامع ، وألقى خطبة الجمعة القاضى محيى الدين بن الزكى ، وبدأها بقول الله تعالى : ﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[1] وأورد تحميدات القرآن كلها ، وذكر فضائل بيت المقدس ومآثره وأنه أول القبلتين ، وثانى المسجدين ، وثالث الحرمين ، وإليه أسرى برسول الله ومنه كان المعراج إلى السموات ، وهو أرض المحشر والمنشر ، وهو مقر الأنبياء ومقصد الأولياء ، وقد أسس على التقوى من أول يوم ، أسسه يعقوب - عليه السلام - بعد أن بنى جده الخليل إبراهيم المسجد الحرام بأربعين سنة ، كما جاء فى الصحيحين ، ثم جدد بناءه سليمان بن داود عليهما السلام كما ثبت فى الحديث بالمسند والسنن . .

ونظم السلطان صلاح الدين الإشراف على المسجد والمدينة المقدسة وعادت القدس سيرتها الأولى فى موكب التاريخ الإسلامى . .

* * *

---

١ - سورة الأنعام - ٤٥ .

الصراع المستمر:

عز الشرق الإسلامي ورد الله كيد الصليبيين في نحورهم ورجعوا إلى أوكارهم خائبين فاتجهوا إلى أندلس الإسلام واستحكم الصراع حتى سقطت غرناطة آخر معاقل المسلمين في أوروبا .

ولاقى المسلمون شر ألوان العنت والإكراه والتقتيل ، ثم تطلع معكسر الصليب إلى الكيد للمسلمين في أرضهم وداخل حصونهم فكانت الكشوف الجغرافية في القرن الخامس عشر الميلادي للسيطرة على العالم الإسلامي من الخلف وتوجيه ضربة قاصمة للاقتصاد الإسلامي بتحويل ممر التجارة الدولية من مصر وشمال إفريقيا إلى رأس الرجاء الصالح . .

وظلت خفايا الصدور تحترق حسدا وبغيا حتى جاء الحلفاء وقضوا على الخلافة العثمانية التي لقبوها بالرجل المريض ، ودخلوا بيت المقدس ووقف القائد الفرنسي على قبر صلاح الدين وقال : عدنا يا صلاح الدين . . الآن انتهت الحروب الصليبية ، والتزم البريطانيون بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين بإصدارهم وعد بلفور سنة ١٩١٧ م ومكنوا للدولة الصهيونية حتى قامت سنة ١٩٤٨ م لتكون سرطانا يستنزف الجهد الإسلامي ويعوق حركة المد الإسلامي . .

ثم أصدر المجلس المسكوني في روما سنة ١٩٦٥ وثيقة لتبرئة اليهود من دم المسيح كانت تمهيدا لعدوان يونيو ١٩٦٧ م ، ودخل اليهود القدس الشرقية في هذا العدوان وقال موشى ديان وزير الكيان الصهيوني : الآن أصبح الطريق مفتوحا أمامنا إلى المدينة ومكة ، لقد انتصرنا لخيبر . .

إن التقاء الزحف الصليبي مع الاستيطان الصهيوني ليس لمودة بينهما فتاريخ اليهود مع النصارى مليء بالفواجع وأقربها الأفران النازية لكنه التقاء الهدف لدحر المسلمين والقضاء على مقدساتهم . . وصدق الله حيث يقول : ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾[1] .

إن القدس إسلامية خالصة وإن خمسين عاما تحت الأسر الصهيوني لا يساوي شيئا في رحاب تاريخ إسلامي عامر بمواقف البطولة وحركات الجهاد وقوافل البناء وشوامخ العمل الحضاري الرائد .

---

١ ـ سورة البقرة ـ ١٢٠ .

نصر الله

سنة إلهية:

من السنة الإلهية التى لا تتخلف نصر الله تعالى لعباده المؤمنين ، بحيث تكون العاقبة لهم ، قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ. إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ. وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ (١) .

لكن هذا النصر قد تسبقه البأساء والشدة لتصقل النفوس ، ويتمايز الصادقون من المنافقين ، ويعظم الثواب . . قال تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ (٢) .

فمهما اشتد الظلام فلابد من طلوع الفجر ، وإذا اشتد الكرب هان ، وإذا ضاق الأمر جاء الفرج ، وفى صحيح البخارى أن خباب بن الأرت قال : **أتيت النبى - ﷺ - وهو متوسط ببردة ، وهو فى ظل الكعبة ، وقد لقينا من المشركين شدة ، فقلت : ألا تدعو الله؟!**

فقعد وهو محمر وجهه فقال : «لقد كان من كان قبلكم ليمشط بأمشاط الحديد ، ما دون عظمه من لحم أو عصب ، ما يصرفه ذلك عن دينه ، ويوضع المنشار على مفرق رأسه فيشق باثنتين ما يصرفه ذلك عن دينه ، وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلا الله - عز وجل - والذئب على غنمه ، ولكنكم تستعجلون» .

قانون النصر:

وهذه السنة الإلهية لها قانون يحكمها هو الصدق مع الله والصدق مع النفس ، بمعنى الحفاظ على عهد الله والاستمساك بالحق والاستقامة على المنهج ، وبذل أقصى جهد

---

١ - سورة الصافات - ١٧١ : ١٧٢ . ٢ - سورة البقرة - ٢١٤ .

بشرى متاح فإذا حقق المؤمنون هذا المعنى جاءهم نصر الله ولو كثرت قوة الأعداء . .
قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ . الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾(١) .

لقد جعل الله تعالى للمسلمين فى مواجهة عدوهم حالين ، أشارت إليهما الآية الكريمة :

الحال الأولى : أن يثبت العشرون من المسلمين أمام المائتين من المشركين ، والمائة أمام الألف ، وهذه عند قوة يقين المسلمين وكمال ثقتهم بالله تعالى وصدق توكلهم على الله ، فالواحد من المسلمين يقاتل عشرة من الكافرين .

الحال الثانية : عندما يتناقص الإيمان ، ويستولى حب الدنيا على المسلمين فقد جعل الله ثبات المسلمين واجبا إذا كانوا على النصف من عددهم ، فالمسلم الواحد يجب عليه تكليفا شرعيا أن يثبت أمام الاثنين .

وما بعد هاتين الحالين يعد فرارا من الميدان ونكوصا عن الجهاد ، وهو من أكبر الكبائر ، قال تعالى : ﴿ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ (٢) .

إن المسلمين يوم انتصروا فى بدر والخندق والقادسية واليرموك وعين جالوت ، وحطين ، ورمضان / أكتوبر ، لم يكونوا بالأكثر عددا ولا بالأقوى عدة وإنما حرصوا على الموت فوهبت لهم الحياة ، وصدقوا ما عاهدوا الله عليه فحقق الله لهم النصر ، واستقر الإيمان فى قلوبهم فمكن الله لهم فى الأرض . .

إن نصر المسلمين إنما هو بطاعتهم لله ومعصية عدوهم له ، فإذا اشتركوا فى المعصية تركهم الله تعالى وشأنهم ، ولم تشملهم العناية الإلهية فتكون الغلبة للأسباب المادية وحدها ، وهيهات أن يتحقق النصر بدعاوى الإيمان الكاذبة . .

* * *

١ ـ سورة الأنفال ـ ٦٥ : ٦٦ .
٢ ـ سورة الأنفال ـ ١٦ .



السارقون للنصر:

تحتفل مصر المحروسة كل عام بذكرى العاشر من رمضان ، الذى استعادت فيه كرامتها ، وحققت به عزتها ، وسادت به على أرضها وخيراتها . .

وفى كل عام يتسلل غرباء الكلمة وكهنة الفكر الرخيص فى محاولة يائسة لسرقة هذا النصر وتفسيره تفسيرا ماديا هزيلا ، فيزعمون أنه نصر تحقق بعيدا عن الإيمان ، وصنعته قدرة السلاح وعبقرية التخطيط . .

ونسى هؤلاء السفهاء أن المعركة رجال وسلاح ، وليس هناك رجال بغير دين ، والإنسان فى غيبة الدين هو منافق عربيد ، وإذا كانت المعركة تخطيطا وتنظيما بشريا فإن العقل الإنسانى قاصر مهما كان عبقريا ، فقد تأتى الرياح بما لا تشتهى السفن ، ولولا نور الله ما صح تخطيط ولا تيسرت أسباب . .

إن المعركة فى حقيقتها هى عقيدة قتالية ، يستشعر المقاتل أهميتها وضرورة التضحية فى سبيلها ، وهذه العقيدة فى غيبة الدين وهم وخرافة ، ولا يقدم إنسان على بذل نفسه فى سبيلها مهما كانت الشعارات ومهما ارتفعت النداءات الجوفاء . .

والدين وحده ، والإسلام بذاته هو الذى يمنح المعركة عقيدتها القتالية ، وهدفها النبيل ، وإن الوطن والأرض والكرامة فى إطار الدين معان سامية ومثل عليا ، لكنها إذا تجردت عن الدين فلا قيمة لها ، فالأرض واسعة ، ومن لم يعش فى وطن هاجر إلى آخر ، والأعراض مشتركة ، ولا ولاء لشىء . . ثم إن الإنسان لم يخلق نفسه ، ولا يمنح ذاته الحياة ، ولا يدرى متى تنتهى منه ، ولا يسيطر على الكون ، ولا يتدخل فى النواميس الكونية ، ولا يدبر أمر الكائنات ، فليعرف الإنسان قدر نفسه ليعرف قدرة الله عليه وسلطانه وقوته ولنتأمل قوله تعالى : ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[1] .

معالم الإيمان فى معركة رمضان:

إن كهنة الفكر الماركسى ، وفلول الخبل العلمانى - يسعون دائما إلى طمس معالم هذه الأمة ، وتزييف حقائق التاريخ ، والقضاء على ثوابت وقيم الشعب المصرى الأصيل . .

---

١ ـ سورة آل عمران ـ ٢٦ .

وعندما يحاول هؤلاء الغرباء سرقة نصر رمضان / أكتوبر ، وإضافته إلى قائمة المكاسب الرخيصة التى يتباهون بها - فإنهم واهمون ، ويخدعون أنفسهم ويغفلون عن حقائق مهمة فى هذا النصر المبين . . إن قائد الحرب والسلام «محمد أنور السادات» حرص على وصف مصر بأنها دولة العلم والإيمان ، وأعلن فى مواجهة الصليبية العالمية أنه رئيس مسلم لدولة إسلامية ، وأصبحت الشريعة الإسلامية - فى عهده - المصدر الرئيسى للتشريع ، وسعى بنفسه إلى زيارة شيخ الأزهر فى مقر إقامته ، وأصدر اللائحة التنفيذية لقانون تطوير الأزهر بعد غياب طويل ، وأصبح وضع شيخ الأزهر - فى البروتوكول - بمرتبة رئيس الوزراء . .

وإن صاحب الضربة الجوية الأولى «محمد حسنى مبارك» هو قائد السلام والتنمية ، الحريص على دين هذا الشعب وقيمه ، إنه يوقر العلماء ويكرمهم ويشاركهم المناسبات الدينية فى احتفالات عالمية ، تستقطب علماء المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ، وفى أول لقاء له مع المفتى الجديد [1] قال الرئيس : عليك أن تبين لنا رأى الدين ونحن نقول سمعنا وأطعنا . .

وإن اختيار شهر رمضان لتوقيت المعركة لم يكن مصادفة وارتجالا ، وإنما جاء قصدا كى يستشعر المقاتل المصرى عبق الإيمان وشجاعة المجاهدين وليتخذ من الصيام درسا فى الصبر حين البأس ، وفى الثبات حين الزحف . .

ولقد كان الاسم الذى سجلته مواثيق هذه المعركة هو اسم بدر ، تيمنا بغزوة بدر الكبرى التى قادها الرسول ـ ﷺ ـ عقب الهجرة إلى المدينة المنورة ، وسماها القرآن المجيد يوم الفرقان . .

ولقد عبر المقاتلون المصريون العائق المائى وحطموا خط بارليف ، وقد امتلأت قلوبهم بالإيمان ، وعلت أصواتهم بصيحة التكبير لله عز وجل ، وبذلوا أنفسهم أملا فى الشهادة ، ورجاء لثواب الله ، وحرصا على كرامة مصر التى أعزها الله على ألسنة رسله وذكرها فى كتب الوحى المنزلة مقترنة بالبركة . .

ولا ننسى دور التوجيه المعنوى بالقوات المسلحة ، ومشاركة العلماء والدعاة فى شحذ همم الجنود وتزكية روح الفداء والتحريض على القتال ، وكان نداء القيادة العامة للقوات المسلحة قبيل بدء المعركة هو التأكيد على ثقة القيادة بإيمان المجاهدين بالله . .

﴿ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ .

---

١ ـ د . نصر فريد واصل .

رؤية إسلامية لأحداث الخليج

بحث

قدم إلى :

المؤتمر الإسلامي العالمي لمناقشة الأوضاع الحاضرة
في الخليج الذي نظمته رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة
٢١ - ٢٣ من صفر ١٤١١ هـ
٩ - ١١ من سبتمبر ١٩٩٠ م

حقوق الأخوة الإسلامية

لقد امتن الله تعالى علينا بنعمة الإسلام ، ونزل فى يوم عرفة فى حجة الوداع قوله جل شأنه :﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ﴾[1] .

ونعم الناس بالإسلام ديناً وبالقرآن حكماً وإماماً ، فوحدهم بعد تفرق ، وجمعهم بعد شتات ، وألف بين قلوبهم بعد تنافر وعداء ، وعاشوا جميعاً عباد الله إخواناً . . قال عز وجل : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[2] .

وبأخوة الإسلام عاش المهاجرون والأنصار عيشة واحدة ، واقتسموا ما معهم قسمة عادلة ، وآخى الرسول ـ ﷺ ـ بينهم مؤاخاة ترتب عليها ميراث ، ونزل فى الأنصار قول الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[3] .

ونحن – الأمة الإسلامية– فى حاجة ماسة إلى أن نعيش بأخوة الإسلام ، تلك الأخوة التى تجعل للمسلمين بعضهم على بعض حقوقاً وواجبات . . ويمكن أن نلخص هذه الحقوق وتلك الواجبات فى ثلاثة جوانب رئيسية هى : التكافل والتناصح والتناصر . .

فالتكافل هو أن يأخذ الغنى بيد الفقير وأن يكون مال الله فى منفعة خلق الله ، وفى ذلك يقول الرسول ـ ﷺ ـ كما رواه مسلم : (من كان معه فضل ظهر فليعد به على

---

١ ـ سورة المائدة ـ ٣ . ٢ ـ سورة آل عمران ـ ١٠٣ . ٣ ـ سورة الحشر ـ ٩ .

من لا ظهر له ، ومن كان له فضل من زاد فليعد به على من لا زاد له) : قال الراوى أبو سعيد الخدرى : فذكر من أصناف المال ما ذكر حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا فى فضل .

وأبواب الخير كثيرة مفتحة ، وفضل الله وثوابه أكبر وأكثر ، وقد قال - ﷺ - كما رواه مسلم - : **(من نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلماً ستره الله فى الدنيا والآخرة ، والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه)** .

والتناصح هو أن يكون المسلم للمسلم كاليدين تغسل إحداهما الأخرى ، ويكون المؤمن للمؤمن كالمرآة ، فلا يقر أخاه على منكر ، ولا يبخل عنه بمشورة ، ولا يكف عن كلمة الحق والخير . .

وفى صحيح الحديث قال - ﷺ - : **(الدين النصيحة ، قلنا : لمن؟ قال : لله عز وجل ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم)** .

ومن هنا تتأكد أهمية الشورى فى مجتمع المسلمين ، وأهمية الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فإن الاستبداد والطغيان يفسد الأمة ويهلك الحرث والنسل ، وإن المجاهرة بالمنكر والتواطؤ على المعصية يجعل البشر هياكل لا ينتفع بها ولا تصلح لبناء المجتمع ، فهى لبنات خربة وجراثيم فاسدة وأوبئة يجب أن تحصار وتحصر . .

فالتناصح ضرورة اجتماعية ، وهو دليل على الحب بين الناس ، والذى لا يقدم النصيحة فهو خائن لدينه وأمته ، سواء كانت تلك النصيحة لفرد أو لمجتمع . .

وليس هناك أحد يعفى من هذه النصيحة حتى الضعفاء والمرضى ، فقد يكون لديهم فكرة سديدة أو رأى وجيه تصلح به الأمة أو ينتفع به إنسان . .

واستثنى الله تعالى أصحاب الأعذار من تبعات الجهاد ، ولم يستثنهم من تقديم المشورة فقال : **﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلاَ عَلَى الْمَرْضَىٰ وَلاَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾**[1] .

---

١ - سورة التوبة - ٩١ .

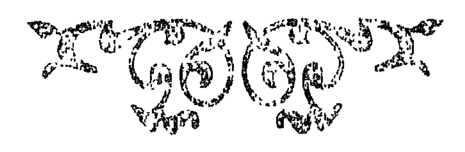
أما التناصر فهو أن ينصر المسلم أخاه المسلم ويقف بجانبه ويشد أزره ويدافع معه ، ويحمى عرضه وشرفه . . وقد قال رسول الله ﷺ - كما رواه البخارى - : **(انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً ، فقال رجل : يا رسول الله ، أنصره إذا كان مظلوماً ، أرأيت إن كان ظالماً فكيف أنصره؟ قال : تحجزه أو تمنعه من الظلم فإن ذلك نصره)** .

إن من أكبر الكبائر أن يتغافل المسلم عن تقديم المعونة والنصرة والتأييد لأخيه المسلم الذى يقتل أو تغتصب حقوقه أو تنتهك حرماته .

وفى تهديد شديد لمن يتخاذل عن نصرة أخيه المسلم يقول عليه الصلاة والسلام - كما رواه أبو داود - : **(ما من امرئ مسلم يخذل امرءاً مسلماً فى موضع تنتهك فيه حرمته وينتقص فيه من عرضه إلا خذله الله فى موضع يحب فيه نصرته)** .

وفى حديث رواه الإمام أحمد : **(من أذل عنده مؤمن فلم ينصره وهو قادر على أن ينصره أذله الله على رءوس الخلائق يوم القيامة)** .

فالتكافل والتناصح والتناصر قضايا ذات أهمية كبرى فى حياة المسلمين ، والتفريط فيها تفريط فى العزة والكرامة والشرف .



عبرة الأحداث

الاستبداد السياسي:

إن غزو العراق للكويت[1] هو فى أسبابه وأحداثه ونتائجه مأساة وعار بكل المقاييس ، وإن القيادة الغاشمة فى العراق التى أضربت صفحاً عن كل القيم ، وداست كل القوانين ، وارتكبت الحماقات كلها - هى قيادة جاءت فى غيبة الوعى والعقل والدين . .

وكم عانى الشعب العربى والإسلامى من أمثال تلك القيادات الرعناء ، لأنه استكان للظلم ورضى بالدون وسكت عن المنكر وشايع الباطل ونافق خلف كل راية . .

إن الاستبداد السياسى يورد الأمة المهالك ، ويترك جروحاً عميقة الغور ، ويبدد طاقات الأمة أحقاباً طويلة ، ويدعها فريسة المستعمر الغاصب والعدو الحاقد . .

إن الأمة الإسلامية لا تفتقر إلى الكفاءات ، ولا ينقصها الموارد ، ولا تعوزها الطاقات ، ولكنها كفاءات لا يجمعها هدف ، وموارد لا يحكمها قانون ، وطاقات لا ينتفع بها الانتفاع الصحيح . .

إننا فى حاجة ماسة إلى قيادة سياسية رشيدة تستند إلى شعب يدين بالحق ويدافع عنه ، ويعمل بشرف ويستمر عليه ، ويعيش بوعى لا يسلب ، ويحكمه منهج الله الذى يهدى للتى هى أقوم .

النفس الصدامية:

إن القيادة العراقية قبيل غزوها للكويت أحاطت نفسها بهالة إعلامية صاخبة أوهمت المثقفين ، وخدعت السياسيين ، واستقطبت الصحفيين .

وتطوع الإعلام العربى فوصف صدام حسين بأنه صلاح الدين الأيوبى ، ووصفه الإعلام الغربى بأنه هتلر . . وفى كلا الوصفين ما جعل الرجل يطغى ويستكبر ، فأقدم على فعلته الشنعاء ، واقتحم دولة الكويت فى غسق الليل ، وأهلك الحرث والنسل ، وارتكب الموبقات كلها ، وبذلك حظى بوصف هتلر .

---

١ - فى الثانى من أغسطس سنة ١٩٩٠ م .

ثم وقف الرجل يناطح العالم أجمع ، وأعلن الجهاد المقدس ليحظى بلقب صلاح الدين .

ولكن هيهات . .

لقد حدّث صدام حسين فكذب ، ووعد فأخلف ، وائتمن فخان ، وخاصم ففجر ، وهانت عليه كل القيم والأخلاق ، وعاث فى الأرض فساداً .

ويصدق فيه قول الله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ. وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ . وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾[1] .

الظاهرة الصدامية:

إن شعب الكويت بعد الغزو العراقى الغاشم أصبح يعيش بلا مأوى ، ويموت بلا قبر ، ويملك الدينارات فلا يستطيع لها تحويلا ولا تصريفاً .

إن هذا الواقع المأساوى لشعب مسلم نعيش مآسيه كأفراد ، وما يحدث على مستوى الأفراد نجد له مثيلا على مستوى الدول والحكومات . . فجرائم الفئة الباغية فى العراق هى صورة مكبرة لواقعنا كأفراد :

فمسلسل قتل الزوجات لأزواجهن . .

ومسلسل قتل الأبناء لآبائهم . .

ومسلسل قتل الأمهات لأطفالهن . .

ومسلسل اغتصاب المستأجرين للأرض الزراعية . .

ومسلسل اعتداء بعض ضباط الشرطة على الآمنين . .

ومسلسل قطع اليد التى أحسنت وقتل النفس التى آوت . .

ومسلسل قضايا التزوير والسطو وانتهاك الأعراض . .

كلها ظواهر نستطيع أن نسميها الآن بالظاهرة الصدامية .

---

١ ـ سورة البقرة ـ ٢٠٤ : ٢٠٦ .

وليت علماء النفس يجعلون (الظاهرة الصدامية) عنواناً جديداً لمثل هذه الحالات الشاذة التى تمثل الصلف والغرور ، والدهاء والخديعة ، والنفاق والكذب ، والخسة والنذالة ، والسفه والخيانة .

فهذه الصفات مجتمعة هى الظاهرة الصدامية التى يجب أن نستأصل شأفتها ، ونعمل جاهدين على وأدها وتعقبها باسم الله وعلى منهج الله .

قرية كانت آمنة:

يمنّ الله تعالى بالأموال والبنين والعافية على بعض الناس ، ابتلاء لهم ، ليشكروا أم يكفروا .

وشكر النعمة فى حسن الانتفاع بها ، وعموم خيرها ، كفالة لذوى الحاجات ، وسعياً فى حوائج الناس ، وتيسيراً على المعسرين .

فإذا استخدمت النعمة فى معصية الله ومنعت عن خلق الله فقد عرضها صاحبها للزوال وجلب على نفسه السخط وحاق به سوء العواقب .

وسواء فى ذلك الفرد أو الأمة ، وقد تحدث القرآن المجيد عن قرية كانت آمنة لا يهددها عدو ، مطمئنة لا تقلق على غد ، فقد فتحت عليها أبواب الرزق من كل مكان ، وتيسرت لها سبل العيش الرغيد ، وأنبتت أرضها من كل زوج بهيج ، أو يجبى إليها ثمرات كل فج عميق . . لكنها أعرضت عن منهج الله ، وأصابها الترف القاتل ، وعاش بنوها فى ربقة المادة وحمأة الرذيلة ، فكانت عاقبتها نكراً ، وأصبحت أثراً بعد عين وتفرقت أيدى سبأ .

قال الله تعالى : ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾[1] .

العجز العربى والإسلامى:

إن مصيبة الأمة الإسلامية تتضاعف ، ويعظم فيها الخطب ، عندما صمت العرب صمت الموتى عقب الغزو العراقى للكويت ، ولم نسمع لهم همساً إلا بعد أن صاح العالم حولنا وبدأ ينادى بحق المظلوم فى محافله الدولية ، وكان العرب آخر من تكلم ،

---

١ ـ سورة النحل ـ ١١٢ .



وليتهم ما تكلموا ، فقد نطقوا كفراً وانقسموا على أنفسهم ، وعمقوا الجرح ، فلم يتفقوا على خطة ، ولم يستطيعوا الدفاع عن أنفسهم ، وأصبحت مصائرهم بيد عدوهم ، وتلفت الناس إلى واشنطن وموسكو ليعرفوا الخطوة التالية . . !!

لقد أصابنا الوهن نتيجة حب الدنيا وإيثار الملك ، وأصبحنا غثاء كغثاء السيل ، وتكالبت علينا الأمم ، واقترب الشر من العرب ، وكثر الخبث .

وقد قرأت حديثاً عجباً لرسول الله - ﷺ - رواه مسلم فى صحيحه يقول : **(يوشك الفرات أن يحسر عن جبل من ذهب ، فمن حضره فلا يأخذ منه شيئاً)** .

وفى رواية : **(يوشك الفرات أن يحسر عن جبل من ذهب ، فإذا سمع به الناس ساروا إليه ، فيقول من عنده : لئن تركنا الناس يأخذون منه ليذهبن به كله ، فيقتتلون عليه ، فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون)** .

وفى رواية : **(لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب ، يقتتل الناس عليه ، فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون ، ويقول كل رجل منهم لعلى أكون أنا الذى أنجو)** .

لقد انحسر الفرات عندما قامت تركيا ببناء سد فى أرضها ، وما لبث الناس حتى سمعوا عن الاجتياح العراقى لشعب الكويت وسرقة الذهب من البنوك ودعاوى توزيع الثروة العربية . .

هل نحن فى عصر الفتنة التى تدع الحليم حيران؟

نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن .

الولاء للحق:

إن حياة الإنسان على ظهر هذه الأرض مرهونة بإرادة الله وحده ، ومرتبطة بالأجل المسمى الذى حدده المولى جل شأنه ، لن تتقدم لحظة ولن تتأخر ، ومن هنا نتساءل : هل ولاء الأمة لشخص مهما كان ، أم للحق الذى يعيش به وله؟

إن الجواب نسمعه من الصديق أبى بكر - رضى الله عنه - حين أقبل ودخل على الرسول صلى الله عليه وسلم وهو مسجى فى ناحية من بيت عائشة - رضى الله عنها - ، فكشف عن وجهه الشريف وقبله ، ثم قال : بأبى أنت وأمى ، أما الموتة الى كتبها الله عليك فقد ذقتها ثم لن تصيبك بعدها موتة أبداً .



ثم خرج على الناس فحمد الله تعالى وأثنى عليه ، ثم قال :

أيها الناس : إنه من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله تعالى فإن الله حى لا يموت .

ثم تلا هذه الآية : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾[1] .

إن الأمة الإسلامية لا تقدس أشخاصاً ولا تعبد بشراً ، وإنما تسمع وتطيع لمن يجدد لها أمر دينها ويسير فيها باسم الله وعلى منهج الله ، فالقضية دين ورسالة لا تتوقف عند حياة إنسان بعينه .

عضوية السلوك ونفاق الكلمة:

إن أعداءنا يخططون على مدى الأحقاب والقرون ، ويتولون أهدافهم العليا بصدق الولاء يتوارثونه جيلا بعد جيل ، ويسلمون الخطة لمن خلفهم ليكمل المسيرة . . ومنذ المؤتمر الصيهونى الأول ١٨٩٧م واليهود يسعون سعياً حثيثاً لتحقيق أهدافهم الخبيثة بكافة الوسائل .

ونحن المسلمين لا نحسن تدبير يومنا فضلا عن غدنا ومستقبلنا ، ونتصارع فى حاضرنا وننسى ما يحاك ضدنا ، ونكثر البكاء والعويل ولا نجيد العمل ، ونكرر مأساة ملوك بنى الأحمر فى الأندلس ولا نتذكر مقالة المرأة لولدها الملك المخلوع : تبكى بكاء النساء على ملك لم تحافظ عليه محافظة الرجال .

إن المتاجرين بالكلمة والمنافقين خلف كل راية هم سبب ويلات هذه الأمة ، وصدق الله حيث يقول : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ . كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ . إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ ﴾[2] .

---

١ ـ سورة آل عمران ـ ١٤٤ .



٢ ـ سورة الصف ـ ٢ : ٤ .



إن نصرة الكويت وفلسطين وأفغانستان وأريتريا والمستضعفين فى الأرض لن تكون بالشعارات الجوفاء والكلمات العصماء ، وإنما بالعمل وتجميع الطاقات والولاء لله ورسوله .

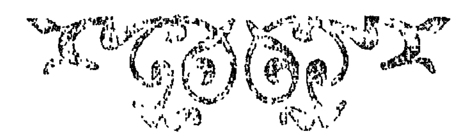
إننا فى حاجة ماسة إلى أن نعيش بالإسلام فى اقتصادنا وإعلامنا وتعليمنا وأسرنا وكافة علاقاتنا الاجتماعية والسياسية ، وأن نقدم الإسلام سلوكاً وخلقاً ، حضارة وعلماً .

ولنتذكر أن للقرآن المجيد تعبيراً واحداً فى اتجاهين لا ثالث لهما هما أساس بناء المجتمع :

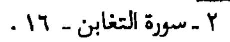
فقال جل شأنه : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾[1] .

وقال عز وجل : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾[2] .

فالنقاء العقائدى والارتقاء الحضارى وجهان لعملة واحدة هى بناء المجتمع المسلم .

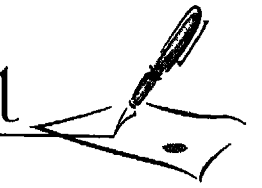


١ ـ سورة الأنفال ـ ٦٠ .



٢ ـ سورة التغابن ـ ١٦ .





الاستعانة بالقوات الأجنبية

هذه القضية ذات شقين :

- الاستعانة بالكافر على الكافر .
- الاستعانة بالكافر على المسلم .

أما الشق الأول وهو الاستعانة بالكافر على الكافر : فهذه مسألة جائزة شرعاً ، فلعل الله يهلك ظالماً بظالم وكافراً بكافر .

ومنذ صدر الإسلام وهذه المسألة واقعة بلا حرج ، فالذى كفل الدعوة الإسلامية على مدى عشر سنين فى أوائل العهد المكى هو أبو طالب بن عبد المطلب الذى دافع عن ابن أخيه محمد رسول الله - ﷺ - دفاعاً قوياً برغم شركه الذى أصر عليه ، وعندما اشتد البلاء على المسلمين فى مكة أشار عليهم الرسول - ﷺ - بالهجرة إلى الحبشة وقال لهم : **(إن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد وهى أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه)** .

وعندما عاد بعض هؤلاء المهاجرين لم يستطيعوا دخول مكة إلا فى جوار ، فدخل عثمان بن مظعون بجوار الوليد بن المغيرة .

وضاقت مكة بأبى بكر الصديق وأصابه فيها أذى فخرج مهاجراً حتى إذا سار من مكة يوماً أو يومين لقيه ابن الدغنة أخو بنى الحارث ، وهو يومئذ سيد الأحابيش ، وعرض على أبى بكر أن يرجع إلى مكة فى جواره ، فرجع معه ، ونادى ابن الدغنة : يا معشر قريش ، إنى قد أجرت ابن أبى قحافة ، فلا يعرضن له أحد إلا بخير ، فكفوا عنه .

ولما خرج الرسول - ﷺ - إلى الطائف ولم يجيبوه إلى دعوة الحق لم يستطع العودة إلى مكة وبعث يستأذن بعض الكبراء ليدخل فى جوارهم ، فبعث إلى الأخنس بن شريق ليجيره ، فقال : أنا حليف ، والحليف لا يجير ، وبعث إلى سهيل بن عمرو ، فقال : إن بنى عامر لا تجير على بنى كعب ، فبعث إلى المطعم بن عدى ، فأجابه إلى ذلك .

ولما وقعت الهجرة الكبرى إلى المدينة المنورة عاهد الرسول ﷺ اليهود على الدفاع المشترك عن يثرب ، وجاء فى صحيفة المعاهدة : وأن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم ، وإنه لم يأثم بأمرو بحليفه ، وإن النصر للمظلوم وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين ، وإنه لا تجار قريش ولا من نصرها ، وإن بينهم النصر على من دهم يثرب .

ومن هنا يظهر بوضوح مشروعية الاستعانة بكافر على كافر ، وتتجلى حكمة رسول الله - ﷺ -: **إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر .**

فالفاجر أعم من أن يكون كافراً أو فاسقاً .

وأما قوله - ﷺ -: **«لن أستعين بمشرك»** . . فقد قال فيه العلماء إنه وقعة حال لها ظروفها وملابساتها وليست مطردة ، ويمكن أن يقال إن الرسول تفرس فى الرجل الذى تطوع لمساعدته - الرغبة إلى الإسلام ، فرده رجاء أن يسلم ، فصدق ظنه - ﷺ - .

ونقل الإمام النووى عن الشافعى وآخرين : إن كان الكافر حسن الرأى فى المسلمين ودعت الحاجة إلى الاستعانة به استعين به وإلا فيكره[1] .

وهناك خلاف بين العلماء : هل يعطى الكافر من الغنيمة سهماً أو رضخاً؟

فقال أكثرهم : إن أربعة أخماس الغنيمة توزع على من شهد الواقعة ، سواء قاتل أم لا ، ويعطى الفارس ثلاثة أسهم ويعطى الراجل سهماً واحداً ، وشرطوا فيمن يسهم له : الإسلام والبلوغ والعقل والحرية والذكورة ، فمن فقد شرطاً من هذه الشروط يرضخ له ، بمعنى أن يعطى من الغنيمة ما لا يصل به إلى قدر السهم ، ويفوض ذلك لولى الأمر .

ونقل النووى أن الزهرى والأوزاعى قالا : يسهم للكافر من الغنيمة ، بمعنى أنه يستوى مع المسلم فى العطاء ، فارساً كان أو راجلا .

الاستعانة بالكافر على المسلم:

فقد بحثت هذه المسألة فى الفقه الإسلامى تحت عنوان (قتال البغاة) حيث فرق العلماء بين قتال الكافرين وقتال البغاة الخارجين على الإمام ، المناصبين له العداء ، الحاملين عليه السلاح .

---

١ - شرح النووى على صحيح مسلم ، ج١٢ ، ص ١٩٨ .

ومن أهم الفروق :

١ - أن يقصد بالقتال ردعهم وليس قتلهم .

٢ - أن يقاتل البغاة مقبلين ويكف عنهم مدبرين .

٣ - أن لا يجهز على جريحهم ولا يقتل أسراهم .

٤ - أن لا يغنم أموالهم ولا تسبى ذراريهم .

٥ - أن لا يستعان على قتالهم بمشرك معاهد ولا ذمى .

وقد ناقش الإمام ابن حزم هذه المسألة فى المحلى وقال :

اختلف الناس فى هذا ، فقالت طائفة : لا يجوز أن يستعان عليهم بحربى ولا بذمى ولا بمن يستحل قتالهم ، مدبرين ، وهذا قول الشافعى - رضى الله عنه - ، وقال أصحاب أبى حنيفة : لا بأس بأن يستعان عليهم بأهل الحرب وبأهل الذمة وبأمثالهم من أهل البغى .

قال أبو محمد - رحمه الله - : هذا عندنا ما دام فى أهل العدل منعة ، فإن أشفوا على الهلكة واضطروا ولم تكن لهم حيلة فلا بأس بأن يلجأوا إلى أهل الحرب وأن يمتنعوا بأهل الذمة ما أيقنوا أنهم فى استنصارهم لا يؤذون مسلماً ولا ذمياً فى دم أو مال أو حرمة مما لا يحل .

برهان ذلك قول الله تعالى : ﴿ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلاَّ مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ﴾[1] .

وهذا عموم لكل من اضطر إليه إلا ما منع منه نص أو إجماع .

فإن علم المسلم واحداً كان أو جماعة أن من استنصر به من أهل الحرب أو الذمة - يؤذون مسلماً أو ذمياً فيما لا يحل ، فحرام عليه أن يستعين بهما وإن هلك ، لكن يصبر لأمر الله تعالى وإن تلفت نفسه وأهله وماله ، أو يقاتل حتى يموت شهيداً كريماً ، فالموت لابد منه ولا يتعدى أحد أجله .

برهان هذا أنه لا يحل لأحد أن يدفع ظلماً عن نفسه بظلم يوصله إلى غيره ، هذا ما لا خلاف فيه [2] .

وفى تفاصيل الفروق بين قتال المشركين وقتال البغاة نرى أن كتب الفقه كلها قد أكدت أن الباغى أو الصائل يدفع بأسهل ما يندفع به ، فإن كان يندفع بالقول لم يجز

---

١ - سورة الأنعام - ١١٩ .

٢ - المحلى ، ج ١١ ، ص ١١٣ .

الضـرب ، وإن كـان يندفع بالضـرب لـم يجـز القـتل ، لأن المقـصـود دفـعـه لا ضـربه ولا قتله . . فإن تعين القتل قتل الباغى أو الصائل ولا ضمان ؛ لأنه اضطره إلى قتله فصار كالقاتل لنفسه .

وتكلم الفقهاء فيما تلف من مال أثناء القتال ، ففى فقه الإمام أحمد : ولا ضمان على أحد الفريقين فيما أتلف حال الحرب من نفس أو مال ، أما البغاة فلأنهم قتلوا وأتلفوا بتأويل فلا يلزمهم الضمان ، وأما أهل العدل فلا يلزمهم ذلك أيضاً لأنهم فعلوا ما يجوز لهم فعله فلم يلزمهم شىء للباغين لأنهم متعدون بقتالهم[1] .

وقال الماوردى[2] : فإذا انجلت الحرب ومع أهل العدل لهم أموال ردت عليهم ، وما تلف منها فى غير قتال فهو مضمون على متلفه ، وما أتلفوه فى ثائرة الحرب من نفس ومال فهو هدر ، وما أتلفوه على أهل العدل فى غير ثائرة الحرب من نفس ومال فهو مضمون عليهم ، وما أتلفوه فى ثائرة الحرب ففى وجوب ضمانه عليهم قولان : أحدهما يكون هدراً لا يضمن ، والثانى يكون مضموناً عليهم ؛ لأن المعصية لا تبطل حقاً ولا تسقط غرماً ، فتضمن النفوس بالقود فى العمد ، والدية فى الخطأ .

وذهب الفقهاء إلى أنه لا يجوز أن يستولى أهل العدل على أموال البغاة ويجب ردها إليهم لقوله - ﷺ - : (لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيب نفس منه) ، وذهب بعضهم إلى أنه لا يجوز الاستعانة بسلاح البغاة فى قتالهم وترفع اليد عنه وقت القتال وبعده ، وقال أبو حنيفة : يجوز أن يستعان على قتالهم بدوابهم وسلاحهم ما كانت الحرب قائمة .

ومن أدب القتال مع البغاة أن لا يقصد قتلهم ، وهناك فرق كبير بين القتال والقتل ، فقد يوجد القتل ولا قتال كمن يقتل إنساناً ظلماً ، وقد يوجد القتال ولا قتل كالمعارك التى تحدث بين طرفين وتنتهى بلا قتلى بينهما ، وقد يوجد القتال والقتل ، فالعلاقة بين القتال والقتل هى العموم والخصوص الوجهى كما يقول المناطقة ، يلتقيان فى معركة يقع فيها قتلى ، وينفرد القتال فى معركة بلا قتلى وينفرد القتل بقتيل فى غير معركة [3] . . ولعله مما يوضح هذا الفرق قوله تعالى فى حق المشركين : ﴿ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ

---

١ - العدة شرح العمدة ، تأليف بهاء الدين عبد الرحمن بن إبراهيم المقدسى ، ص ٥٧٧ .

٢ - الأحكام السلطانية ، ص ٦١ .

٣ - وقد خفى هذا المعنى على وكيل لوزارة الأوقاف ونائب لرئيس جامعة الأزهر وعميدين بجامعة الأزهر كنت فى نقاش معهم فى ساحة المسجد النبوى الشريف .

عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴾[1] .

وتكلم الفقهاء على قتلى هذه المعارك ، فقال أبو يوسف[2] : ولا يصلى على قتلى أهل البغى ، ويورث قاتلهم من أهل العدل من مواريثهم بمثل ما يرثه نظراؤه ممن لم يقتل ، من قبل أن القاتل قتله على حق .

ولا يرث الباغى إذا قتل من أهل العدل أحداً - ميراثاً منه - إن كان قتله بيده لأنه قتله بباطل .

ويصلى على قتلى أهل العدل ، وهم فى الصلاة عليهم والدفن لهم بمنزلة الشهداء لا يغسلون ، ويدفنون فى ثيابهم ، إلا أن يكون عليهم حديد أو جلد فينزع منهم ، ولا يحنطون[3] ، ويفعل بهم كما يفعل بالشهيد .

وقال الماوردى[4] : ويغسل قتلى أهل البغى ويصلى عليهم :

ومنع أبو حنيفة من الصلاة عليهم عقوبة لهم ، وليس على ميت فى الدنيا عقوبة ، وقد قال النبى - ﷺ -: **(فرض على أمتى غسل موتاهم والصلاة عليهم)** .

وأما قتلى أهل العدل فى معركة الحرب ، ففى غسلهم والصلاة عليهم ، قولان :

أحدهما : لا يغسلون ولا يصلى عليهم تكريماً وتشريفاً كالشهداء فى قتال المشركين ، والثانى : يغسلون ويصلى عليهم وإن قتلوا بغياً ، وقد صلى المسلمون على عمر وعثمان رضى الله عنهما ، وصلى بعد ذلك على علىّ - عليه السلام - ، وإن قتلوا ظلماً وبغياً . .

واليوم . . . فإن هذه المسألة من واقع أحداث الخليج المأساوية تعد ضرورة جاءت نتيجة العجز العربى والإسلامى الذى تردى فيه المسلمون ، وليكن لنا فطنة ، فإن الدول الغربية لن تدافع عن الإسلام ولن تحمى المسلمين ، فهى التى أقامت إسرائيل ، وهى التى تمدها بسيل لا ينقطع من المساعدات ، من رغيف الخبز حتى الصاروخ .

وهذه الدول الغربية تسعى جاهدة للسيطرة على المنطقة لمصالحها الاقتصادية والعسكرية . .

---

١ - سورة البقرة - ١٩١ .

٢ - الخراج ، تحقيق الدكتور محمد البنا ، ص ٤١٠ .

٣ - من الحنوط فلا يوضع الطيب فى كفهم .

٤ - الأحكام السلطانية - ص ٦١ .



لكن لو صدقت النوايا من خلال منظمة الأمم المتحدة فإن الأمر قد يعد من قبيل التعاون بين الدول ، ويذكرنا بحلف الفضول الذى شهده الرسول - ﷺ - قبل البعثة لنصرة المظلوم ، وقال عنه بعد البعثة : (**لقد شهدت فى دار عبد الله بن جدعان حلفاً ما أحب أن لى به حمر النعم ، ولو دعى به فى الإسلام لأجبت**) .

فنصرة المظلوم قيمة إنسانية كبرى ، والإسلام يؤازر الحق وأهله ، ويجيب نداء المستغيث ، فالحق عرض الله والعدل شريعته .

إن الفئة الباغية فى العراق أقدمت على الانتحار بما فعلته وتفعله مصادماً لكل القيم والأعراف الدولية .

إن القوة العراقية التى كنا نتوهم أنها ستواجه إسرائيل فإذا بها تسدد ضرباتها إلى صدر الأمة الإسلامية ، وتغرس خناجرها فى قلوب العرب وتفترس كل عزيز علينا - هذه القوة الغاشمة جعلتنا نعيش مأساة لأحقاب قادمة ، نجتر آلامها بعد أن انقلبت الآية وتحقق فينا وصف الله لأعدائنا فى قوله جل شأنه : ﴿ **بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ** ﴾ [1] .

إن العالم اليوم يقف مذهولا أمام القوة العراقية التى أهدرت طاقات الأمة فى الباطل ، فكيف لو أنها أقدمت بهذه الطاقات من أجل الحق ولتحرير القدس ولاستعادة فلسطين!!

يومها كنا نترحم على شهدائنا ، ويذكرهم التاريخ بالإجلال ونسير خلفها مهما كانت العواقب . .

إن الأمة الإسلامية تملك من الثروات والطاقات والكفاءات ما يجعلها قادرة بإذن الله على رد كيد المعتدين فى نحورهم ، ورفع لواء الحق ، ونصرة الدين ، وحماية المقدسات ، لو أحسنا ولاءنا لله ورسوله . .

﴿ **وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ** ﴾ [2] .

---

١ - سورة الحشر - ١٤ .

٢ - سورة النور - ٥٥ .



كلمة للتاريخ:

ألقيت ملخصاً لهذا البحث فى المؤتمر الإسلامى العالمى لمناقشة الأوضاع الحاضرة فى الخليج الذى دعت إليه رابطة العالم الإسلامى بمكة المكرمة (٢١ - ٢٣ من صفر سنة ١٤١١هـ) وقلت :

إن كثيراً ممن ذهب إلى جواز الاستعانة بالقوات الأجنبية من السادة العلماء الحاضرين هنا - ذكروا أدلة لا تؤدى إلى النتيجة ، فقد استدلوا بهجرة الرسول إلى الحبشة ودخول الرسول - ﷺ - فى جوار أحد المشركين ، واستعانته - ﷺ - ببعض المشركين يوم حنين . . إلخ .

وهذه الاستدلالات ليست مما نحن بصدده ، إنها تؤدى إلى نتيجة جواز الاستعانة بالمشرك على المشرك . .

أما الاستعانة بالمشرك على المسلم فليس لها شاهد واحد فى السيرة النبوية ولا فى التاريخ الإسلامى الزاهر ، اللهم إلا عند ملوك بنى الأحمر فى الأندلس الذين لقوا حتفم واحداً بعد الآخر على أيدى الصليبيين . . ، وليس لها من دليل إلا الضرورة ، فهى كأكل الميتة تباح للمضطر غير باغ ولا عاد . .

وإننا نسائل أنفسنا : كيف استطاع العراق أن يزلزل العالم أجمع وهناك دول فى المنطقة تملك أكثر مما يملك مالا وعدداً؟!

ولمن ستكون السيطرة على القوات الأجنبية؟ هل هى للقيادة الإسلامية أم للقيادة الأمريكية؟!

وعقب إلقائى لتلك الكلمة قام منتفضاً ومنفعلا انفعالا شديداً - الدكتور معروف الدواليبى رئيس وزراء سوريا الأسبق والمستشار بالديوان الملكى السعودى وقال : هذا تشويه للإسلام ، إن القوات الأجنبية جاءت لنصرة المظلوم ، وإن حلف الفضول الذى شهده الرسول فى الجاهلية خير دليل على ذلك . .

ثم استنفر فضيلة الدكتور محمد سيد طنطاوى وقال له : ما رأى فضيلة المفتى فى هذا الكلام؟!

وقام فضيلة المفتى وتكلم عن ظلم العراق للكويت ثم قال :

يجوز شرعاً أن نستعين بأى إنسان من أى دين أو أية ملة ، حتى إنه ليجوز أن نستعين بالشياطين والملحدين . .!!



وقام سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز ، وتكلم عن البعثى الملحد صدام حسين ، وتحدث عن جواز الاستعانة بالقوات الأجنبية ، ثم قال : أما الاستعانة بشياطين الجن فلا يجوز شرعاً . .

وضحك الجميع . .

ثم قام الدكتور عبد المعطى بيومى عميد كلية أصول الدين بالقاهرة وقال : إن قراءة كتب الفقه تحتاج إلى نظرة جديدة . . وأين هو المسلم الذى نستعين عليه بمشرك؟ فهل صدام حسين مسلم[1] ؟

ثم قام الدكتور محمد رأفت عثمان عميد كلية الشريعة والقانون بطنطا وقال : إن مذهب ابن حزم ظاهرى لا يعتد به ، وإنه أبطل القياس ، ونحن نقيس الاستعانة بالمشرك على المسلم بالاستعانة بالمشرك على المشرك بجامع دفع الظلم فى كل . .

وقد حدث هذا كله فى الجلسة الختامية للمؤتمر ، ولم يسمح لى بالتعقيب ، نظراً لضيق الوقت ، أو كما قيل . .

وعقب الجلسة التقى بى كثير من العلماء الحاضرين وشدوا على يدى وقالوا : لقد قلت الحق الذى نؤمن به ولا تنطلق به ألسنتنا . .

وأخبرنى الأستاذ محمود مهدى رئيس الشئون الدينية بالأهرام أن أحد الضباط السعوديين يفيض إيماناً وتقوى كان حاضراً المؤتمر ، وأسر إليه أن يحمل تحياته إلىّ وتأييده لى ، ويرجو منى أن لا آسى على ما حدث ، ويؤكد أن نصر المسلمين مرهون بما أعلنته ودعوت إليه فى كلمتى . .

وأردد قول الله تعالى : ﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [2] .

* * *

وتدور الأيام ، وأثناء المؤتمر الثانى عشر لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف المنعقد فى القاهرة ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م قمت بإلقاء بحثى بعنوان «رؤية نقدية لحاضر

---

١ ـ عندما تقع الحرب فلن تكون وقفاً على شخص بعينه وإنما ستصلى نارها شعوب بأكملها .

٢ ـ سورة هود ـ ٨٨ .



العلم الإسلامى» عقب إلقاء بحثين أحدهما للدكتور عبد الصبور مرزوق والآخر للدكتور محمد عمارة ولما فتح باب الحوار والمناقشة تكلم الدكتور معروف الدواليبى فقال أمام الجمع الحاشد من العلماء :

لقد عظم سرورى بالاستماع إلى ثلاثة ، هم من خيرة الإخوة المسلمين ، وأنا أتابع كتاباتهم ، وأكرر الشكر لهم . .

وقد كنت أتشوق إلى لقاء الدكتور محمد المسير عقب كلمتى الغاضبة فى لقاء مكة ، وقد كنت يومها متأثرا بنيران المدافع ، ومحتاجا إلى الكلمة الثائرة . .

ولكنى أقدر فيه ما قاله ، وعلينا ألا نختلف اليوم على إزالة آثار العدوان ، وأنا مع الدكتور محمد المسير فى الدعوة إلى التضامن العربى . .

ولقد قلتها للرئيس العراقى قبل الحرب وأمام علماء المسلمين وقلت :

يا سيادة الرئيس اخرج من الكويت باسم علماء الإسلام الذين جمعتهم أنت من قبل واخترتهم أثناء معركتك مع الخمينى . .

لكنه لم يستجب .

ثم طالب الدكتور معروف الدواليبى أن تتوحد الرؤية لعلماء المسلمين .

وعقب الجلسة قابلت الدكتور معروف الدواليبى شاكرا له حسن ثنائه مقدرا له شجاعته الأدبية التى دفعته أن يعلن ذلك أمام الملأ فى مؤتمر عالمى ، وكأنه يقول : هذه بتلك ، ودعوت له بخير . .



رؤية نقدية لحاضر العالم الإسلامى

بحث

قدم إلى :

المؤتمر الثانى عشر

لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف

٢ - ٥ لشهر جمادى الأولى ١٤١٣ هـ

٢٨ - ٣١ لشهر أكتوبر ١٩٩٢ م

نعمة الإسلام

يضم العالم الإسلامى قوة بشرية جاوزت مليارا من المسلمين ، يسكنون موقعا جغرافيا لا مثيل له ، تمتد أرضه من شرق آسيا إلى غرب إفريقيا بلا عوائق طبيعية تذكر ، وحبا الله هذه المنطقة بموارد ضخمة متنوعة ومتكاملة تكفى حاجة السكان وتزيد عليها . .

ويحظى العالم الإسلامى بعوامل متجانسة فى الدين واللغة والتاريخ والتقاليد والآمال والآلام - تجعله شعبا واحدا رغم الحدود السياسية المصطنعة . .

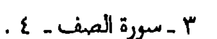
ويكفينا فخرا وشرفا أن الإسلام هو الذى بنى هذه الأمة منذ أكثر من أربعة عشر قرنا ، ومنحها الحضارة وأبقى ذكرها فى العالمين . .

إن الله تعالى يمن علينا بنعمة الإسلام ، تلك النعمة التى ألفت القلوب ووحدت الكلمة وأنقذت الأمة ، فقد كان العرب قبل الإسلام متناحرين متحزبين ، فجمعهم الإسلام على التوحيد وحقق بينهم الوحدة . . قال تعالى : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[1] .

إن التوحيد فى العقيدة والوحدة فى المجتمع هى الصراط المستقيم ، من انحرف عنه تلقفته الشياطين وتردى فى أودية الضلال . . قال تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[2] .

إن الأمة المجاهدة اقتصاديا واجتماعيا وعسكريا فى حاجة قصوى إلى وحدة الصف وأمانة الكلمة حتى لا يخترقها عدو ، ولا ينال منها حاقد ، ولا يعكر صفوها خائن ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ ﴾[3] .

---

١ ـ سورة آل عمران ـ ١٠٣ . ٢ ـ سورة الأنعام ـ ١٥٣ . 
٣ ـ سورة الصف ـ ٤ .



إن الطاعة لله هى التى تمنح الناس وحدة الكلمة وانتظام الصف ، ومن منطلق الطاعة لله تأتى الطاعة لرسول الله كما قال تعالى : ﴿ مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾[1] ، ثم تمتد هذه الطاعة لله ولرسوله لتشمل طاعة كل ولى أمر يسير بكتاب الله وسنة رسوله ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾[2] .

فكل مسئول فى موقعه لابد أن يكون أمينا على رعيته ، صادقا فى خدمتهم ، مجاهدا فى سبيل سعادتهم ، وهنا يؤلف الله القلوب حول هذا الراعى وذلك المسئول فيعيش الناس عباد الله إخوانا . .

حول الأسرى وما بعد العاصفة:

إن مأساة حرب الخليج يتحمل وزرها طاغية العراق المستبد ، الذى خَدع وخُدع ، ونافق ونوفق ، واستدرجته الأيدى الآثمة فوقع تحت مخالب الصهيونية الصليبية العالمية فأغرته وأغرت به حتى أقدم على الخطيئة الكبرى باحتلال الكويت وتشريد أهله . .

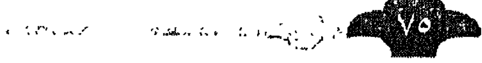
ومن بدهيات الأمور فى الفقه الإسلامى أنه فى حال قتال أهل العدل لأهل البغى ، لا يقتل أسير ، ولا يزفف على جريح ولا تغنم أموال ولا تسبى ذرارى . . لأن المقصود هو ردعهم وأن يفيئوا إلى أمر الله . .

قال تعالى : ﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾[3] .

وهذه الآية الكريمة توجب السعى إلى الصلح ابتداء أو انتهاء ، وتؤكد بأسلوبها البيانى ما ينبغى أن يكون عليه حال المسلمين من ندرة وقوع القتال بينهم ، فعبرت بلفظ «إن» وهى تستعمل فى الشرط الذى لا يتوقع حصوله غالبا ، واستخدمت لفظ «طائفتان» ولم تقل فرقتان لأن الطائفة دون الفرقة ولهذا قال تعالى : ﴿ فَلَوْلا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ ﴾[4] .

---

١ ـ سورة النساء ـ ٨٠ .
٢ ـ سورة النساء ـ ٥٩ .
٣ ـ سورة الحجرات ـ ٩ .
٤ ـ سورة التوبة ـ ١٢٢ .



ووصفت الآية الكريمة الطائفتين بأنهما من المؤمنين تنبيها على قبح ذلك وتبعيدا لهم عن الاقتتال .

وعبرت الآية بالفعل الماضى فى قوله «اقتتلوا» ولم تقل «يقتتلوا» لأن صيغة الماضى توحى بالانتهاء أما صيغة المضارع فتوحى بالدوام والاستمرار . .

وأسند الفعل إلى واو الجماعة فى قوله «اقتتلوا» إشارة إلى الفُرقة القائمة والفتنة العمياء والتخريب البغيض ، فكل واحد يرتكب حماقة فى هذا الاقتتال .

وعندما جاء الأمر بالصلح قال (فأصلحوا بينهما) بالمثنى ولم يقل (بينهم) إشارة إلى عودة الاتفاق وتجميع الكلمة وقرب انتهاء الفجوة فبعد أن كانوا جمعا أصبحوا فريقين يلتقيان للصلح تمهيدا لأن يكونوا جميعا على قلب رجل واحد . .

وجاء التعبير بقوله تعالى «فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله» دلالة على أن القتال ليس جزاء للباغى كحد الخمر مثلا الذى يقام وإن ترك الشرب ، بل القتال إلى حد الفيئة ، فإن فاءت الفئة الباغية حرم قتالهم . .

فإذا وضعت الحرب أوزارها بين أهل العدل وأهل البغى عادت الأمور إلى نصابها ، قال الإمام الماوردى فى الأحكام السلطانية [1] :

فإن انجلت الحرب ومع أهل العدل لهم أموال ردت عليهم ، وما تلف منها فى غير قتال فهو مضمون على متلفه ، وما أتلفوه فى ثائرة الحرب من نفس ومال فهو هدر . .

وما أتلفوه على أهل العدل فى غير ثائرة الحرب من نفس ومال فهو مضمون عليهم ، وما أتلفوه فى ثائرة الحرب ففى وجوب ضمانه عليهم قولان ، أحدهما يكون هدرا لا يضمن ، والثانى يكون مضمونا عليهم لأن المعصية لا تبطل حقا ولا تسقط غرما ، فتضمن النفوس بالقود فى العود ، والدية فى الخطأ . .» .

وقال الوزير ابن هبيرة الحنبلى [2] :

اتفق الفقهاء على أن أموال البغاة لهم . .

واتفق الفقهاء على أن ما يتلفه أهل العدل على أهل البغى لا ضمان فيه . .

واختلف الفقهاء فيما يتلفه أهل البغى على أهل العدل فى حال القتال من مال أو نفس فقال أبو حنيفة ومالك وأحمد فى إحدى الروايتين : لا يضمن .

---

١ ـ الأحكام السلطانية والولايات الدينية لأبى الحسن على بن محمد بن حبيب ص ٦١ ط الحلبى سنة ١٩٧٣ .

٢ ـ الإفصاح عن معانى الصحاح لأبى المظفر يحيى بن محمد جـ ٢ ص ٢٣١ ط المؤسسة السعيدية بالرياض .



وقال الشافعى فى القديم : يضمنون ، وعن أحمد : مثله» .

ومن هنا فلا يجوز شرعا أن يبقى أسير بعد انتهاء المعركة ، بل يطلق سراح الجميع . .

إننا جميعا إخوة ، وحق الأخوة فى أدنى مراتبه أن نطلق حريته ، قال رسول الله - ﷺ - :

«المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ، ولا يخذله ، ولا يكذبه ، ولا يحقره ، التقوى هاهنا - ويشير إلى صدره الشريف - بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه» .

إننا نطالب بفك العانى ورد الأسير واحترام الإنسان والحفاظ على كرامة المسلم . .

إننا حين نطالب مخلصين بإطلاق سراح الأسرى الكويتيين . . فمن نطالب؟

ألسنا نطالب حاكم العراق؟!

هنا أقول كلمة لوجه الله والحق ، أرجو أن تصغوا إليها بقلوبكم قبل أسماعكم . .

لقد أثبت التاريخ بما لا يدع مجالا للشك أن أعداء الأمس يمكن أن يكونوا أصدقاء اليوم . .

ومن قيم الإسلام التى نعتز بها - العفو عند المقدرة . .

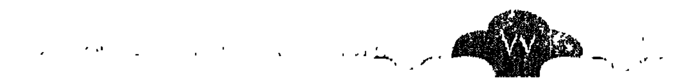
ومن مكارم الأخلاق أن نبقى للصلح موضعا . .

إن طاغية العراق استحوذ عليه الشيطان ، فهل نكون عونا للشيطان عليه؟!

لقد مرّ الصحابى الجليل أبو الدرداء على رجل قد أصاب ذنبا فكانوا يسبونه ، فقال : **أرأيتم لو وجدتموه فى قليب ألم تكونوا مستخرجيه؟! قالوا : بلى ، قال : فلا تسبوا أخاكم واحمدوا الله الذى عافاكم ، قالوا : أفلا تبغضه؟! قال : إنما أبغض عمله فإذا تركه فهو أخى . . !!**

ولنتذكر هذه الوقائع :

١ - لقد خاض مسطح مع الخائضين فى عرض الصديقة بنت الصديق ، فلما أنزل الله تعالى براءتها قرآنا يتلى ، وكان أبو بكر الصديق ينفق على مسطح لقرابته وفقره ، قال أبو بكر : **والله لا أنفق عليه شيئا بعد الذى قال فى عائشة . .**



فأنزل الله تعالى : ﴿ وَلا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[1] .

فقال أبو بكر ـ ﷺ ـ : والله إنى أحب أن يغفر الله لى ، فرجع إلى مسطح النفقة التى كانت عليه وقال : لا أنزعها منه أبدا . .

٢ – فى غزوة أحد ابتلى المسلمون وزلزلوا زلزالا شديدا ، ووقفت هند بنت عتبة مع نسوة مشركات يمثلن بالقتلى من أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ ، يجدعن الآذان والآنف ، ويتخذنها قلائد وأقراطا . .

ولم يكن شىء أوجع لقلب رسول الله من رؤيته عمه حمزة صريعا فقال : والله لأقتلن بك سبعين منهم ، وقال المسلمون : لئن ظفرنا الله عليهم لنزيدن على صنيعهم ، ولنمثلن بهم مثلة لم يمثلها أحد من العرب بأحد قط ، ولنفعلن ، ولنفعلن . . هنا نزل القرآن المجيد يقول : ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ (١٢٦) وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ (١٢٧) إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ (١٢٨) ﴾ .[2]

٣ – بعد عشرين عاما من الدعوة الإسلامية جاء نصر الله والفتح ، ووقف الرسول ـ ﷺ ـ يتأمل أهوال سنوات مضت ، ووجد أعداءه جميعا رهن كلمة ينطق بها ، **فقال : يا معشر قريش ما ترون أنى فاعل بكم؟! قالوا : خيرا ، أخ كريم وابن أخ كريم ، فقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ : اذهبوا فأنتم الطلقاء . .!!**

٤ – واليوم يجلس العرب مع اليهود فى مفاوضات من أجل السلام ، رغم أن اليهود هم السفهاء من الناس ، وقتلة الأنبياء ، وقد دنسوا المسجد الأقصى الشريف وذبحوا المسلمين وسلبوا فلسطين وعاثوا فى الأرض فسادا . .!!

٥ – لقد رددنا جميعا هذه الآية الكريمة . . ﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾[3] .

---

١ ـ سورة النور ـ ٢٢ .　　٢ ـ سورة النحل ـ ١٢٦ : ١٢٨ .　　٣ ـ سورة الحجرات ـ ٩ .





إننا نطالب أن نتحمل الشق الثانى من الآية الكريمة بشجاعة الإيمان ، ونتحرك بتواضع النصر وعزة الصفح . .

إننى أقترح أن يقوم هذا الملتقى بمبادرة إسلامية يتولاها العلماء أنفسهم ، وأن يشكل وفد يمثل الأزهر الشريف ورابطة العالم الإسلامى والمجلس العالمى للدعوة والإغاثة ، ويزور بغداد غدا ، ويطرح مشروعا للصلح والتعاون العربى الإسلامى . .

إننا بكل أسى قد أسلمنا العراق للولايات المتحدة الأمريكية تفترسها وتسلب أموالها وتذل شعبها وتطحنه . .

ليذهب صدام إلى حيث أراد لنفسه هوانا وذلة وصغارا ، لكن ليبق الشعب العراقى بقوته وثروته وأبنائه سندا للعروبة والإسلام . .

إن الصهيونية الصليبية هى التى مكنت لطاغية العراق وأمدته بما يسمى تكنولوجيا التقدم وسلبت أموالنا ، ثم كرت عليه بالتدمير وسلبت أموالنا مرة أخرى . .

وهناك مؤامرة عالمية تتعقب مواضع القوة فى العالم الإسلامى ، وتثار الآن ضجة إعلامية حول ما يسمى «القنبلة الذرية الإسلامية» وتتجه العيون إلى باكستان وإيران والجزائر . . إلخ . .

فهل آن لنا أن نقولها بوضوح كامل وصراحة قوية :

متى نغلق ملف مأساة الخليج بأكمله؟!

ومتى نفتح عهدا جديدا نتعالى فيه على الجراحات ، ونتناسى فيه الآلام ونقف فيه يدا واحدة وصفا واحدا فى وجه المؤامرات الدولية المحدقة بأمتنا؟! إن الأمة الإسلامية اليوم تكالبت عليها الأمم وبدأت تنتقص من أطرافها وأطلت النزاعات العرقية والطائفية بقرونها السوداء . .

إننا قد نسمع أصواتا تعمق الخلافات ، وترفض التعاون ، وتتهم بالخيانة ، وتوزع الشعارات الخادعة ، وهى أصوات تتاجر بالكلمة ، وتنافق خلف كل راية ، ولا يعنيها إلا تمزيق الأمة وتقطيع أوصالها . .

﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾[1].

---

١ ـ سورة يوسف ـ ٢١ .



النظام العالمى الجديد:

كنت مشاركا فى مؤتمر حقوق الإنسان الذى عقد فى مدينة طهران سنة ١٩٩١ ، ووقف أحد الإخوة الأتراك وقال إن وثيقة حقوق الإنسان التى أصدرتها الأمم المتحدة عام ١٩٤٨م لم تكن إلا لحماية الإنسان اليهودى ، تولى كبرها الرئيس الأمريكى روزفلت اليهودى . .

واحتج المشاركون الأوربيون فى المؤتمر وخرجوا من القاعة . . !!

لكن الحقيقة التى أكدتها الأحداث - وما زالت - هى أن حقوق الإنسان لا تعرف إلا للإنسان الأبيض ، وأنها دعوى يرفع الصوت بها حينا ويهمس بها أحيانا وفق مآرب الصهيونية العالمية والصليبية الدولية . .

لقد ضاعت حقوق فلسطين باسم الأمم المتحدة فى عام صدور الوثيقة الدولية .

وما زالت حقوق الإنسان تتناسى فى إفريقيا وآسيا تحت سمع المجتمع الدولى ، ويقتل المسلمون ويذبحون فى كشمير وبورما والصين والفلبين . . وفى كل مكان ، ولا أحد يتحرك ، حتى كانت المأساة الكبرى فى دولة البوسنة والهرسك . . وسقطت كل الأقنعة الزائفة ، وظهر الوجه القبيح لما يسمى النظام العالمى الجديد بقيادةالولايات المتحدة الأمريكية . .

إن أكذوبة النظام الدولى الجديد التى تسامعنا بها منذ حرب الخليج ، لا تعنى إلا مرحلة جديدة من مراحل الحروب الصليبية ، لقد بدأوا هذه المرحلة منذ أطلقوا على عاصفة الصحراء اسم «مجد العذراء» .

وظهرت على شاشات التليفزيون صورة طائرة تحمل الصواريخ وقد كتب عليها الجنود رسائل بالطباشير الأبيض موجهة إلى أهدافها تقول للعراقيين : نادوا على الله ، فإذا لم يستجب لكم نادوا على المسيح . .

كما ظهر على عدد آخر من الصواريخ رسائل تقول : نادوا على الله فإذا لم يستجب لكم فنادوا على «شوارتز كوينى»[١] !!

وأذكر أنى سمعت تعليقا فى فجر اليوم الأول لعاصفة الصحراء منسوبا لأحد كبار القادة العسكريين الغربيين يقول فيه : الآن يكتب التاريخ من جديد . .

---

١ - راجع كتاب «حرب الخليج» للأستاذ محمد حسنين هيكل .



وأثناء تواجد القوات الأمريكية على الأرض السعودية ارتدى بعض العسكريين قمصانا مطبوعا عليها خريطة المملكة العربية السعودية يتوسطها العلم الأمريكى وقد أثار هذا غضب الأمير خالد بن سلطان قائد القوات المشتركة ومسرح العمليات وقال لشوارتزكوف قائد قوات التحالف : إن هذا الإجراء قد يفسر على أن المملكة محتلة من الولايات المتحدة . .[1]

إن الصرخات التى تطلق اليوم لإنقاذ مسلمى البوسنة والهرسك تذهب أدراج الرياح ، وإن أصوات الاستغاثة التى تصدر من الأرامل واليتامى والشيوخ لم تعد تؤرق أحدا من البشر طالما أنها أصوات إسلامية . . وإن المؤامرة الدولية للقضاء على الدولة الإسلامية فى البوسنة والهرسك لم تعد تخفى على أحد . . وأسوق هنا رأيا لصحيفة الأهرام الصادرة بتاريخ ٢٢ / ١٠ / ١٩٩٢ م يشرح هذه المؤامرة :

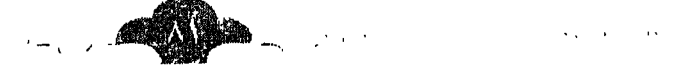
بإعلان تقسيم جمهورية البوسنة والهرسك وتفتيتها إلى مناطق حكم ذاتى – تكون الحرب فى منطقة البلقان قد دخلت مرحلة تنفيذ أغراضها الحقيقية وكشفت عن نواياها . .

لقد حرص بيان التقسيم على التأكيد على أن هذا التقسيم سوف يتم على أسس جغرافية وليست عرقية ، وهو ما يؤكد ما اعترف به خبراء الغرب أنفسهم من أن خريطة تقسيم البوسنة جاهزة منذ ما قبل اندلاع الحرب فى شهر إبريل الماضى ، وأن الخريطة بشكلها هذا تحقق مزاعم كل من الصرب والكروات التى ترجع إلى عصر ما قبل الحرب العالمية الثانية فى أراضى الجمهورية ذات الأغلبية الإسلامية . .

غير أنه لم ٢يعد من الممكن على الإطلاق أن نغض الطرف عن أصابع الغرب الخفية وراء هذا التقسيم للقضاء على وجود دولة إسلامية موحدة فى منطقة البلقان ، وهو ما تؤكده سيناريوهات التحرك الغربى فى مواجهة العدوان الصربى على البوسنة ، منذ تقاعس المجموعة الأوروبية ، إلى التردد والمماطلة الأمريكية ، إلى تخاذل منظمة الأمم المتحدة ، ثم أخيرا فى مؤتمر لندن الذى حدد خطة التحرك على أساس حل الخلافات أساسا بين الصرب والكروات بخطوات لا تمت لمأساة البوسنة بصلة . .

---

١ - راجع رد الأمير خالد على شوارتزكوف فى صحيفة الأهرام بتاريخ ٢٢ / ١٠ / ١٩٩٢ .



ومن مفارقات العصر الغريبة أن تقسيم البوسنة الإسلامية يأتى فى نفس الوقت الذى تسقط فيه خطوط التقسيم التى مزقت العالم على مدى الأعوام الخمسين الماضية ، وتعلو أصوات نظم الغرب الديمقراطية المنادية بالليبرالية والتحرر» .

حقا إن النظام العالمى الجديد هو مرحلة جديدة من مراحل الحروب الصليبية . .

وإن قرارات الأمم المتحدة لم تعد تطبق إلا على المسلمين عقابا وهوانا وذلة ، فالقرارات التى صدرت ضد ليبيا هى امتداد لقرارات التعسف والظلم التى انصاع لها العالم الإسلامى بعد عاصفة الصحراء . .

وإن التلويح بالحرب ضد العراق من جديد هو تأكيد لهذا التعسف البغيض من أجل تدمير كل شىء ، والسيطرة على كل شىء فى المنطقة العربية . .

إننا لا نلوم أعداءنا على ما يفعلون بنا فتلك طبيعتهم ولكن نلوم أنفسنا ، فمأساة الهوان والذلة التى تعيشها الأمة الإسلامية يتحمل وزرها الحكام المسلمون ، وإن موقفهم المتخاذل أمام الجرائم المروعة ضد مسلمى البوسنة والهرسك ما هو إلا تأكيد لغيبة الوعى وغيبوبة العقل والانفصال عن آمال الشعوب الإسلامية وآلامها . .

إن المسلمين تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يد على من سواهم ، وانطلاقا من هذه الحقيقة الشرعية فلسنا فى حاجة إلى صدور قرارات من مجلس الأمن تجيز استخدام القوة العسكرية لصد العدوان الصربى الغاشم . . فإننا - كمسلمين - أمة واحدة ، والدفاع عن النفس ليس فى حاجة إلى قرارت دولية يتحكم فيها عدونا الذى يتواطأ مع الصرب . .

لقد كفرنا بالأمم المتحدة وآمنا بالله وحده ، الذى منحنا حق الحياة الحرة الشريفة وأذن لنا فى الدفاع عن الحق والعرض والشرف . . قال تعالى :

﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ . الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [1] .

---

١ - سورة الحج - ٣٩ ، ٤٠ .



إننا نلوم أنفسنا بعد أن أصبح بأسنا بيننا شديدا وأصبحنا نخرب بيوتنا بأيدينا قبل أيدى عدونا . . فالأحداث الدامية فى الصومال تؤكد غيبة الوعى الإسلامى ، فالناس يموتون جوعا فى وقت تتسلط عليهم شرذمة من طلاب الزعامات الفاسدة لكى يحكموا مقابر الموتى ، ويرأسوا مواكب القتلى ، ويتربعوا على عرش اليتامى والثكالى . .

وإن اقتتال إخوة الدين ورفقاء الجهاد فى أفغانستان يصيب الأمة الإسلامية فى مقتل ويلطخ مرحلة جهاد باسل فى تاريخنا الحديث . .

وما يجرى فى الجزائر هو استمرار لتلك المأساة الحزينة فى أمة الإسلام ، وإذا كنا نعيب على القوات الصربية إقامتها لمعسكرات اعتقال مسلمى البوسنة والهرسك فها نحن أولاء أمام تلك المعسكرات فى قلب الجزائر المسلمة وبأيدى المسلمين ، فقد تناقلت الصحف بتاريخ ١٠ / ٨ / ١٩٩٢ م أن المجلس الأعلى للدولة فى الجزائر أعلن أن معسكرات الاعتقال التى أقامتها سلطات الأمن فى الصحراء منذ إعلان حالة الطوارئ سوف يتم إغلاقها تدريجيا ، غير أنه لم يحدد موعدا لإغلاق المعسكرات !!

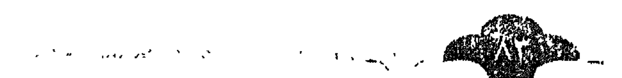
وذكرت صحيفة «الجزائر اليوم» أن جماعة من المعتقلين فى معسكر «أوجوروني» بالصحراء هددوا بالانتحار الجماعى بسبب الظروف السيئة التى يمرون بها . .

* * *

مواجهة النظام العالمى الجديد :

إن تصحيح مسار النظام العالمى الجديد يقتضى منا أن نستيقظ قبل فوات الأوان ، وأن يعود إلينا الرشد قبل نزول الطوفان ، وأن نتحرك قبل وقوع الكارثة وذلك على النحو التالى :

١ ـ إننا نطالب منظمة المؤتمر الإسلامى أن تتولى مهمة الخلافة على العالم الإسلامى وأن تكون الصوت الموحد والوحيد لقوى المسلمين ، وأن تواصل مسيرة التعاون والدفاع المشترك عن حقوق المسلمين فى كل مكان من أرض الله . .



ونحن نرى أن الخلافة الإسلامية التى أسقطتها الصهيونية والصليبية يمكن أن تعود ممثلة فى رئيس الدورة لمنظمة المؤتمر الإسلامى وعن طريق توحيد السياسات الخارجية والاقتصادية والتربوية والإعلامية والعسكرية للأمة الإسلامية . .

فالخلافة الإسلامية لا تعنى أكثر من ذلك ، ومنذ عهد الرسول - ﷺ - وعلى مدى عصور الدولة الإسلامية كان هناك ولاة ينوبون عن الخليفة فى كل إقليم ومصر ، يديرون شئونه ويحكمون أمره بما يتناسب وخصائصه . .

٢ - إن أموال أثرياء المسلمين حكاما وأفرادا وحكومات - موضوعة اليوم فى بنوك اليهود ، وهم يسيطرون عليها وينتفعون بها ويقيدون حركتها . . ولعلنا نذكر ما فعلته الولايات المتحدة الأمريكية وتفعله مع أموال إيران والعراق ودول الخليج . .

إننا نطالب بصحوة إسلامية اقتصادية تستعيد هذه الأموال لإيداعها فى أمة الإسلام ووطن المسلمين حفظا واستثماراً وأداء للحقوق . .

٣ - إن الأمة الإسلامية لا ينقصها الموارد ولا تعوزها الطاقات ولا تفتقد الكفاءات ولكن ينقصها من يتولى أمرها باسم الله ويقودها على طريق الحق والعدل والقوة ؛ الحق فى المنهج والعدل فى الحكم والقوة فى التنفيذ . . قال تعالى ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾[1] .

٤ - إن الأمة الإسلامية تتعاون مع جميع الأمم وتتحالف مع كافة الدول فى إطار حقوق الإنسان وكرامة البشر وحضارة الشعوب . . قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[2] .

ومن هنا فإن منظمة الأمم المتحدة بشكلها الحالى لم تعد الصيغة المقبولة للتعاون الدولى ، ويجب تصحيح مسارها لتتواءم مع متطلبات الأمم وآمال الشعوب ، ولذا فنحن نطالب بإلغاء ما يسمى بحق الڤيتو والعضوية الدائمة للدول الكبرى فى مجلس

---

١ - سورة الحديد - ٢٥ .
٢ - سورة الحجرات - ١٣ .



الأمن ، ونقترح أن تكون عضوية مجلس الأمن بالانتخاب المباشر لكافة المقاعد من الجمعية العامة . .

بعدما سقط الدب الأحمر

قمت بزيارة لدول الكومنولث الإسلامية ضمن وفد رسمى برئاسة الأستاذ الدكتور محمد على محجوب وزير الأوقاف المصرى ، وقضينا ثلاثة عشر يوما ، حلقنا خمسا وعشرين ساعة فى الجو ، متنقلين بين موسكو عاصمة روسيا الاتحادية ، والما آتا عاصمة جمهورية كازاخستان ، وطشقند عاصمة جمهورية أوزبكستان ، وباكو عاصمة جمهورية أذربيجان ، وعشق آباد عاصمة جمهورية تركمانستان . .

والتقينا بمجموعة من المسئولين منهم من يشغل منصب رئيس الجمهورية ، ورئيس البرلمان ، ونائب رئيس الوزراء ، ووزير الخارجية ، ووزير الشئون الدينية ، ورئيس أكاديمية العلوم ، ومسئول مركز الدراسات القانونية ، ومسئول معهد الاستشراق . . ومن خلال اللقاءات ظهرت مجموعة ملاحظات تصف الواقع وتتحدث عن المستقبل منها :

١ - لقد عاشت الشعوب الإسلامية فى دول الكومنولث الحقبة الشيوعية السوداء فى معاناة كاملة ، واستبداد طاغ ، وجبروت ظالم ، وفقدت الكثير من وعيها ودينها وكرامتها وثروات أرضها على مدى سبعين عاما ، وسبقتها حقبة لا تقل عنها ضراوة هى الحكم القيصرى ، وقد تحدث معنا نائب رئيس الحكومة فى جمهورية أوزبكستان عن مائة وخمسين عاما قضاها المسلمون فى ظل الحكم القيصرى ثم الحكم الشيوعى هلك فيها الحرث والنسل وضاعت القيم والأخلاق العامة ، وهدمت المساجد ونبشت القبور والصدور . . إن الحياة العامة الآن ليس بها معلم إسلامى فالخمر فى كل مكان ، ولحم الخنزير فى كل بيت ، ولهيب الجنس يلفح كل إنسان ، والتعليم بلا دين ، والإعلام بلا أخلاق . . وكان المسلمون يتوارثون الإيمان بالقلب ، والقلة القليلة تتعلم الدين فى جوف الليل ، وتحرص على الأطعمة والأشربة الإسلامية فى الخفاء . .

٢ - إن دول الكومنولث الإسلامية بها شعوب تبحث عن هويتها ، وهى أمة تريد أن تعود لدينها وإسلامها . . والطريق يحتاج إلى جهاد ومجاهدة ، وقد تحدث معنا نائب رئيس الوزراء فى كازاخستان وقال : إن بناء الوطن المؤمن شىء صعب ويحتاج إلى وقت طويل وجهد كبير أما الكفر فهو شىء سهل يسير . .

وقد عرض العلماء مشروعا إسلاميا على رئيس الدولة فى أوزبكستان يتضمن خمسة عشر بندا ، منها حجاب المرأة والاهتمام بالطعام الإسلامى فى الحياة العامة والدراسات الإسلامية فى مناهج التعليم المختلفة . .

وقامت المشيخة الإسلامية فى كازاخستان بترجمة معانى القرآن الكريم إلى اللغة المحلية وعملت تقويما للصلاة وأصدرت صحيفة سميت «الإيمان» . .

وافتتحت المساجد بالجهود الذاتية . .

وبدأ الناس يؤدون فريضة الحج وقام رئيس دولة تركمانستان بأداء العمرة . .

٣ - إن العالم الإسلامى مدين لهذه الدول بعلمائها الذين خدموا العلم الإسلامى بكافة فروعه وتخصصاته فهم أحفاد البخارى والترمذى والنسائى والزمخشرى وابن سينا والفارابى وكثير من علماء اللغة والتفسير والحديث والفقه والقراءات والفلسفة . .

وهذه الدول اليوم فى حاجة إلى وفاء الدَّين عن طريق :

- المنح الدراسية .
- تدريب الأئمة والعلماء .
- إقامة المساجد .
- إنشاء المدارس والجامعات الإسلامية .
- تحفيظ القرآن المجيد .
- تعليم اللغة العربية .
- توزيع الكتب .

٤ - حكام هذه ا لشعوب فى عهدها الجديد هم بقايا الحزب الشيوعى وتلاميذ الفكر الماركسى فهم ما زالوا فى صراع نفسى بين ما عاشوا عليه وما يجب أن يكونوا عليه الآن ، ومعرفتهم بالإسلام تكاد تكون معدومة . .

وقد أخبرنا أحد المسئولين الدينيين أنه بدأ يعلم رجال الحكومة الطهارة والوضوء والصلاة . .!!

والحكومات القائمة الآن لا تتبنى الإسلام بمفهومه العام الشامل وتفضل النموذج التركى والدولة العلمانية التى تدع الدين للشعب والجهود الذاتية ، وقد



بدأ الخلاف بين العلماء والسلطة الحاكمة هناك . . حول تطبيق الإسلام ولكن الوضع فى أذربيجان يكاد يختلف نوعا ما فالدولة فى صراع عسكرى فى أرمينيا حول إقليم كاراباخ ، وبدأت الحرب تأخذ شكلا دينيا وجعلت الناس فى جمهورية أذربيجان يتلفتون إلى الإسلام وذهب الجنود إلى إدارة الشئون الدينية يطلبون المصاحف يضعونها فى جيوبهم ، وأصبح نداء التكبير «الله أكبر» فى ميدان المعركة من بواعث الأمل أمام الكفرة الأرمن - على حد تعبير أحد المسئولين هناك - وقد التقى الوفد المصرى برئيس جمهورية أذربيجان فتحدث طويلا وذكر أنه عاش فى مصر سنتين (٦٣ - ١٩٦٥ م) مترجما فى منطقة السد العالى ، وتحدث عن الحقبة الشيوعية السوداء التى قضت على هوية الشعب وسلبته الدين والوطن ، وذكر أن الحكومة فى أذربيجان تعمل الآن على ثلاثة محاور فى وقت واحد هى :

١ - التعريف بالنفس وتقديم الهوية الأذربيجانية إلى العالم .

٢ - الديمقراطية .

٣ - الإسلام .

وقال إن اللون الأخضر فى العلم الأذربيجانى يشير إلى الإسلام ، وأضاف أنهم الآن فى سبيل معرفة الإسلام والثقافة الإسلامية فى صفائها ونقائها بعيدا عن المذاهب وبلا دخول فى صراعات الفرق . .

وامتدح الحضارة الإسلامية التى قدمت الكثير إلى العالم وشاركت بجهود علمائها فى الحضارة الإنسانية . .

وقارن رئيس الجمهورية بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية وذكر أن الإسلام يمنح الناس الهدوء النفسى والسكينة ، وهو شىء مهم جدا لمسيرة الحياة بينما تدفع الحضارة الغربية الناس إلى الانتحار . .

ودعا إلى تقديم الإسلام إلى العالم الغربى بصورة وضاءة من خلال عطاء الحضارة الإسلامية فى القديم والحديث . .

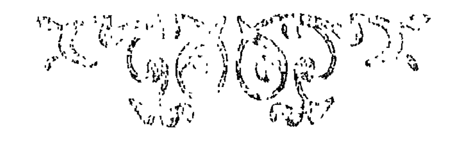
٥ - إن التعاون الثقافى والدينى مع هذه الدول ليس منفصلا عن مجالات التعاون الأخرى الاقتصادية والسياسية ، فشعوب هذه الدول فى حاجة ماسة إلى البنية الأساسية فى كافة الجوانب .

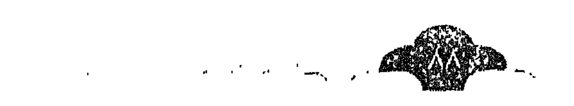


وكانت هناك مطالب ملحة لافتتاح خطوط للطيران تربط بين عواصم هذه الدول والعالم الإسلامى ، وبناء المصانع وإنشاء البنوك وتبادل الخبرات والكفاءات الإدارية وتوفير ضرورات الحياة الاقتصادية . .

٦ - إن الساحة هناك تستوعب جهود جميع الدول ، ولا تستطيع دولة واحدة أن تملأ الفراغ بمفردها ، وكلما ضيقنا سبل المنافسة وحققنا قدرا من التعاون كانت النتيجة خيرا وبركة . .

والدور المصرى له أهمية خاصة فهو دور مبرأ من الهوى والأغراض السياسية والمذهبية ، فمصر لا تصدر فكرا سياسيا ولا مذهبا دينيا ، ويقدم الأزهر الشريف الإسلام بسماحته وصفائه ، وهو الجامعة الوحيدة التى تملك ألفا من الأعوام ، وتحتوى كافة الاتجاهات ، ويمكنها التعامل مع الجميع بلا عقد ، وتحظى باحترام المسلمين قاطبة ، وأبناء الأزهر موجودون فى كل مكان من أرض الله الواسعة .





رؤية نقدية لحقوق الإنسان

بحث

قدم إلى :

النـدوة العالمية لمناقشة حقوق الإنسان
بين الإسلام والغرب فى طهران
٩ : ١٢ / ٩ / ١٩٩١ م

إطلالة على الفكر الغربي

الأشياء تتمايز بأضدادها ، ولذا نعرض لحقوق الإنسان فى العالم الغربى دينيا وفلسفيا وواقعيا لنرى إلى أى مدى تتوافق هذه الحقوق مع المستوى الإنسانى النبيل . .

فعلى المستوى الدينى نجد أن النصرانية تؤمن بأن الخطيئة تلاحق الإنسان منذ نشأته كجنس ومنذ ميلاده كفرد ، فالعقيدة النصرانية تقوم على وهم الخطيئة الأولى من آدم ـ عليه السلام ـ وتناقلها إلى بنى البشر فى كل زمان ومكان ، إلى أن جاء المخلص عيسى ـ عليه السلام ـ ليقتل على الصليب فى تمثيلية هزلية كفارة لخطيئة الإنسان . .

وصدق الله حيث يقول : ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾[1] .

وتقف اليهودية على جماجم البشر ، وتأكل أموالهم أكلا لماً ، وتجعل من اليهود جنسا راقيا خلق ليستعبد الناس ويهيمن على شئونهم ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[2] .

وتأتى الأديان الوثنية لتضحى بعزة الإنسان أمام الحيوان الأعجم ، أو لتمحو كرامة الإنسان ليسجد لأصنام وأوثان صنعها بيده ومنحها حق الألوهية المقدسة فى صورة مأساوية تنقلب عندها الحقائق فيصبح المصنوع إلها ويصبح الصانع عابدا . .

وصدق الله حيث يقول : ﴿ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ . وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾[3] .

* * *

وعلى المستوى الفلسفى ينادى أفلاطون (٤٢٨ - ٣٤٧ ق . م) فيلسوف اليونان الأكبر بشيوعية النساء والأولاد والملكية ، ويرفض علاج المرضى ويتركهم للموت الزؤام ، ويغتصب حق الحياة من المشوهين وذوى العاهات . . وسجل ذلك فى كتابه «الجمهورية» .

---

١ ـ سورة النساء ـ ١٥٧ . ٢ ـ سورة آل عمران ـ ٧٥ . ٣ ـ سورة الصافات ـ ٩٥ : ٩٦ .



وجاء الفيلسوف الفرنسى جان جاك روسو (١٧١٢ - ١٧٧٨) وألغى أهلية المرأة وجعلها على هامش الحياة ، وحرمها من التعليم ، وأكرهها على عقيدة أبيها قبل الزواج ، وعقيدة زوجها بعد الزواج ، وسلبها إدارة شئون حياتها ، وأبقاها دمية يستمتع بها الرجل . . ولنراجع كتابه «إميل أو فى التربية» .

وفى ألمانيا نجد فردريك نيتشه (١٨٤٤ - ١٩٠٠) ينادى بنظرية الرجل الأقوى أو ما يسمى السوبرمان ، ويقول : لا رحمة بين الناس ، والإحسان يجرح عزة النفس ، وإذا رأيتم متداعيا إلى السقوط فادفعوه بأيديكم وأجهزوا عليه . .

ولا ينصح نيتشه بمحبة أحد ويقول : دع الصداقة إذا كنت عبدا ، وإذا كنت عاتيا فلا تطمح إلى اكتساب الأصدقاء . .

وشعار المجتمع عنده هو اقتسام المظالم ، ويدعو إلى إرادة القوة بدلاً من إرادة الحق . .

ويرى أن قلب المرأة مكمن للشر ، وكل ما فيها لغز ، ويهيب بالرجل ألا ينسى السوط إذا ذهب إلى النساء . .

وجاء كتابه «هكذا تكلم زرادشت» مليئا بهذه الفضائح . .

* * *

ونظرة إلى واقع الأمر فى العالم الغربى نجد أن الأمم المتحدة قد أصدرت ميثاقا لحقوق الإنسان سنة ١٩٤٨ م ، ورغم أهميته فإن لنا عليه ملاحظات :

أولاً : إن كل المواثيق والعهود فى غيبة الإيمان بالله تعالى تتعرض للإهمال والنسيان والتجاوز ، فإن الإنسان المؤمن يتعامل بوحى ضميره ومراقبته لله تعالى فى جوف الليل وفى ضحى الشمس ، وحيث ينفرد بنفسه وحيث يراه الآخرون ، وحين يكون بعيدا عن الرقباء وحين يصل إليه القانون . .

إن رهبة السوط وحدها لا تصون الحقوق ، وليس لدى الإنسان فى غيبة الإيمان بالله ما يدفعه إلى الاستمساك بحقوق الآخرين .

ثانيا : إن هناك مفاهيم خاطئة حول الحرية فى المجتمع الغربى ، تصل إلى حد التحلل والانحراف ، فحق الإنسان مثلا فى تلبية رغبته الجنسية لا يعنى التسول الجنسى ، أو ممارسة الشذوذ ، أو الاعتداء على المحارم والحرمات . .

وكما يعمل الإنسان بضوابط ليحصل على القوت فلا يسرق ولا يختلس ولا يرتشى فإن تلبيته للغريزة الجنسية يجب أن يكون باسم الله وفى إطار الزواج الشرعى وليس له حق فيما وراء ذلك . .

وحرية الرأى تعنى حرية الكلمة الطيبة وليس حرية الكلمة الخبيثة وما كان الإنسان عاقلا إلا لأنه يعقل أفكاره ويحسن ترتيبها . .

ثالثا : إن مفهوم الدين فى الفكر الغربى يقوم على أنه حالة شخصية تربط الإنسان بقوى غيبية ، ويتبنى الواقع الغربى مذهب العلمانية التى تفصل الدولة عن الدين . .

وهذا الاتجاه كان واقعا تحت تأثير انفعالى كرد فعل لأديان منحرفة ورجال للدين سفهاء عاشوا فى أوربا . .

والأمر يختلف كل الاختلاف فى الإسلام ، فالإسلام ليس ارتباطاً غيبياً فحسب وإنما هو إصلاح للحياة الإنسانية الدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية بأجمعها . .

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾[1] .

رابعا : إن دعوى حقوق الإنسان من الدول الكبرى أصبحت شعارات جوفاء ، يحلونها عاما ويحرمونها عاماً ، يفرطون فيها حين تكون لغيرهم ويتشددون فيها حين تكون لهم . .

وإلا فأين حقوق الإنسان فى فلسطين ، تلك البقعة الطاهرة التى لوثتها الصهيونية العالمية بمؤازرة الصليبية الدولية ؟ !

وأين حقوق الإنسان يوم سيطرت الأقلية البيضاء على الأغلبية السوداء فى جنوب إفريقيا ؟ !

وأين حقوق الإنسان حين يقع التمييز العنصرى فى قلب الولايات المتحدة الأمريكية ؟ !

وأين حقوق الإنسان ساعة أن تلقى الحاصلات الزراعية فى البحر العميق فى أوربا وأمريكا فى وقت يموت الناس جوعاً ؟! وأين حقوق الإنسان حين تلقى الدول الكبرى بأسلحتها التى تقادم عهدها أمام الدول النامية وتفتعل بينها المنازعات والحروب ثم تسلبها أموالها وترهقها بالديون الثقيلة والربا المضاعف ؟ !

إنها كلمة حق يراد بها باطل . . !!

---

١ ـ سورة الإسراء ـ ٩ .



شخصية الإنسان فى الإسلام

الإسلام هو الدين الخاتم على لسان سيدنا محمد - ﷺ - من لدن الحكيم الخبير ، وقد جاء هذا الدين القيم ليوقظ العقل الإنسانى ويحيى الفطرة البشرية ويأخذ بيد الإنسان إلى حيث القيمة والقمة . .

وشخصية الإنسان فى الإسلام تحددها ثلاثة خطوط رئيسية هى :

أ - الاصطفاء:

فالإنسان طاهر الأصل ، برىء من الذنب ، مولود على الفطرة النقية . . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحديث المتفق عليه : « ما من مولود إلا يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ، ثم يقول راوى الحديث أبو هريرة - رضى الله عنه - : اقرأوا إن شئتم . . ﴿ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ﴾[1] . .

ويحكى القرآن المجيد قصة الخلق ممثلة فى آدم عليه السلام ، ونلحظ منها مجموعة حقائق فى التصور الإسلامى :

١ - آدم أبو البشر هبط إلى الأرض نبيا مجتبى ، قال الله تعالى ﴿ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ (١٢١) ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴾[2] .

٢ - الملائكة وهم عباد الله المكرمون - قد سجدوا لآدم بعد أن صدر إليهم الأمر الإلهى ، وفى ذلك تشريف للإنسان ورفعة لشأنه . . قال الله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ (٧١) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٧٢) فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾[3] .

٣ - إن انحراف الإنسان إنما هو طارئ نتيجة البيئة أو نتيجة العداوة القديمة بين الإنسان وإبليس اللعين . . وما ضاعت حقوق أو ساد ظلم أو وقعت خطيئة إلا لغفلة أو وسوسة . . قال الله تعالى : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ

---

١ - سورة الروم - ٣٠ . ٢ - سورة طه - ١٢١ : ١٢٢ . ٣ - سورة ص - ٧١ : ٧٣ .



الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ ﴾ [1] .

* * *

ب - الخلافة :

الإنسان سيد الكون ، وما عداه مسخر لخدمته ، وقد هيأ الله الإنسان فمنحه القدرة على استكشاف النواميس ، ووهبه وسائل المعرفة . .

وفى تفصيل رائع يسوق القرآن العظيم أنماطا من هذا التسخير فيقول :

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ (٣٢) وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ (٣٣) وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾[2] .

* * *

جـ - التكليف :

الإنسان وسط هذا الكون يتحمل أمانة قيادة الحياة بمنهج الله ، والتكليف تشريف ومسئولية . . قال الله تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً ﴾[3] .

فكرامة الإنسان فى تكليفه ، ونتيجة الالتزام بالمنهج الإلهى هى سعادة الدنيا والآخرة .

وقد تحدث علماء المسلمين عن الكليات الخمس أو الضرورات الخمس للإنسان التى جاء الإسلام للحفاظ عليها وإبراز مضمونها ، وهى تمثل تمثيلا صادقا أمينا حقوق الإنسان فى الإسلام ، فهى يتفرع عليها وعنها أحكام كثيرة تتعلق بالفكر الراشد والعدل الاجتماعى والسلام العام والرحمة الشاملة . .

* * *

وهذه الضرورات الخمس هى :

الدين والنفس والمال والعقل والنسب . .

---

١ - سورة الأعراف - ٢٧ .   ٢ - سورة إبراهيم - ٣٢ : ٣٤ .   ٣ - سورة الأحزاب - ٧٢ .



الضرورات الخمس فى الإسلام

١ - الديـن :

التدين فى منطق الإسلام فطرة جبل عليها الإنسان ، وضرورة تحتمها مثل الأخلاق وقواعد السلوك وحضارة الحياة . .

والإنسان إذا أظلم عليه السبيل أو جاءته ريح عاصف تضرع إلى الله وحده رجاء كشف الضر . . قال الله تعالى : ﴿ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ. قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴾[١] .

والحياة فى منطق الإيمان مبنية على قانون عام هو الابتلاء والامتحان ، فالله جل جلاله يبتلى الإنسان بالمال كما يبتليه بالفقر ، ويبتليه بالقوة كما يبتليه بالضعف ، ويبتليه بالأولاد كما يبتليه بالعقم . . وهكذا قال الله تعالى : ﴿ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾[٢] .

والحياة تنتهى حتما بالموت الذى قد يواجه الإنسان طفلا أو شابا أو كهلا أو شيخا كبيرا ، وهذا يؤرق البشر كثيرا ولكن الإنسان المؤمن لا ينظر إلى هذا المصير المحتوم نظرة تشاؤم أو مأساة ، بل هو حلقة ضرورية للخلود الأبدى ، والإنسان لم يخلق للعدم وإنما خلق للبقاء . .

وهذا البقاء أو الخلود يمر بمراحل فى الرحم أو على ظهر هذه الأرض أو فى القبر أو فى القيامة ذلك اليوم الحق . . ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ﴾[٣] .

ولهذا يتولى الإيمان وحده تأصيل القيم والمبادئ داخل النفس الإنسانية ، ويحكمها قانون لا يتخلف هو المراقبة لله مراقبة ذاتية ، تلك المراقبة التى عبر عنها القرآن المجيد فى قوله تعالى : ﴿ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾[٤] .

---

١ - سورة الأنعام - ٦٣ - ٦٤ .
٢ - سورة الأنبياء - ٣٥ .
٣ - سورة آل عمران - ٣٠ .
٤ - سورة لقمان - ١٦ .

من أجل ذلك حرص الإسلام على تأكيد حق التدين للإنسان ، وتيسير سبل إقامة الشعائر الدينية ، وحماية الناس فى عقيدتهم . . وقد مكث رسول الله - ﷺ - فى مكة ثلاث عشرة سنة يدعو إلى توحيد الله ويجادل بالتى هى أحسن فما كان من قومه إلا أن صبوا عليه وابل العذاب وتربصوا به الدوائر ليقتلوه . .

وبعد الهجرة إلى المدينة أذن الله للمسلمين بالقتال ، لأن الحق بغير القوة يتيم ولا يقرع القنا غير القنا ، فشرع القتال فى الإسلام دفاعا عن الديار والأموال وتأمينا للعقيدة . . قال الله تعالى ﴿ **أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ. الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ** ﴾[١] .

وبدأ القتال وبزغت شمس النصر وتحقق الاستقرار والسلطة للمسلمين عندئذ نزل قولة تعالى : ﴿ **لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ** ﴾[٢] .

ولنا فى رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة ، ففى يوم الفتح الأكبر – فتح مكة – وقف رسول الله ساعة النصر العظيم بعد أهوال عشرين عاما مضت من الدعوة ، والجميع يتطلع إلى ذلك الفاتح المنتصر ، وهم جميعا رهن كلمة ينطق بها . . ومع ذلك قال كلمته المشهورة : اذهبوا فأنتم الطلقاء . . وعندما انتشرت قوافل النور ومواكب الإيمان وسارعت كتائب الإسلام إلى فارس والشام ومصر والأندلس – كانوا محررين للجنس الإنسانى من طواغيت الشر والفساد ، ووجد الناس الأمن والأمان فى ظلال الحكم الإسلامى . .

وللأقليات الدينية حقوق كفلها الإسلام وسجلها القرآن فى قوله تعالى : ﴿ **لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ. إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ** ﴾[٣] .

---

١ – سورة الحج ـ ٣٩ : ٤٠ .   ٢ – سورة البقرة ـ ٢٥٦ .   ٣ – سورة الممتحنة ـ ٨ : ٩ .

وأمامنا فعل رائد فعله رسول الله - ﷺ - فى بدء هجرته إلى المدينة حين عقد معاهدة تاريخية مع اليهود المقيمين بها ، كفلت للفريقين حرية العقيدة ، وحسن الجوار ، والتعاون التام ، والدفاع المشترك . . ولولا أن اليهود غدروا وخانوا ونقضوا الميثاق- كما هو دأبهم - لما وقف المسلمون منهم موقف العداء . .

وهذه الأقليات غير المسلمة تسمى فقها أهل الذمة وهو لفظ له دلالته القوية فى الحفاظ عليهم وتأكيد حقوقهم . .

وقد قال الفقهاء إن الذمى لا يلتزم بالذمة مالا يعتقده ، فلو كان يعتقد حِل الخمر لا يجبر على تركها ، ولو اعتقد حرمة تعدد الزوجات لا يجبر على التعدد ، ولو اعتقد بطلان الطلاق لا يجبر على إيقاعه . . ويحق لهم الاستقلال القضائى متى كان لهم فى ذلك قانون يدينون به . . قال الله تعالى : ﴿فَإِن جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ .[1]

وقد يتساءل البعض عن الجزية التى تفرض على غير المسلم ونقول :

إن المسلمين يتحملون نفقات بناء الدولة وصيانة المرافق والخدمات العامة ، وإن كل مسلم لديه استطاعة مالية يشارك وجوبا بإعطاء الزكاة التى هى أحد أركان الإسلام ، بالإضافة إلى ماهو مستحب ومندوب من التبرعات الأخرى التى تترك لضمير المسلم ويقظته الدينية ، ثم هو - قبل ذلك وبعده - الجندى المدافع عن الدولة . .

فكان من اللازم أن يكون لرعايا الدولة غير المسلمين - تحمل فى هذه الأعباء مقابل الحماية والأمن والاستقرار الذى ينعمون به تحت الحكم الإسلامى ، والجزية لا تؤخذ إلا من بالغ عاقل حر ذكر أى من استجمع مواصفات المواطن الذى يستطيع المشاركة فى بناء الدولة بالثبات ببدنه ، فيعفى من الجندية مقابل الجزية ، إذ من البدهى أن الجيش الإسلامى جيش عقيدة وقيم .

ولا تؤخذ الجزية عن صبى ولا مجنون ولا رقيق ولا امرأة ، والقدر المأخوذ لا يشكل عبئا ولا يترتب عليه ضائقة مالية للشخص الذى يدفعها ، وقد جاء فى بعض كتب الفقة «وأقل الجزية دينار فى كل حول ، ويؤخذ من المتوسط ديناران ، ومن الموسر أربعة دنانير» .

---

١ - سورة المائدة - ٤٢ .

إن الجزية لا تعدو أن تكون لونا من ألوان الضرائب بلغة العصر الحديث ، ومن المثل الرائدة ما أخرجه ابن عساكر والواقدى عن عبدالله بن أبى حدرد الأسلمى - رضى الله عنهما - قال :

لما قدمنا مع عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - الجابية إذا هو بشيخ من أهل الذمة يستطعم ، فسأل عنه فقالوا : هذا رجل من أهل الذمة كبر وضعف ، فوضع عنه - رضى الله عنه - الجزية التى فى رقبته وقال : كلفتموه الجزية حتى إذا ضعف تركتموه يستطعم . . فأجرى عليه من بيت المال عشرة دراهم . .

٢ - النفس :

يعد الإسلام الفرد صورة مصغرة للإنسانية جمعاء ، فأى اعتداء عليه يمثل اعتداء صارخا عليها كلها ، وأى تكريم لشخص فى موقع ما هو تكريم لما يمثله من معان إنسانية نبيلة . . قال الله تعالى : ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾[1] .

ويذهب الإسلام إلى مدى بعيد فيرفض مجرد تمنى الموت لأنه حريص على أن يعيش الناس بالأمل ، وفى صحيح الحديث يقول الرسول - ﷺ - **«لا يتمنين أحدكم الموت لضر أصابه ، فإن كان لابد فاعلا فليقل : اللهم أحينى ما كانت الحياة خيرًا لى وتوفنى إذا كانت الوفاة خيرًا لى»** .

ومتى كان مجرد تمنى الموت خطيئة فى منطق الإسلام فإن الانتحار جريمة أشد وأنكى . . والإنسان لا يملك نفسه ، والأنفس كلها لله ، وقتل النفس كقتل الغير سواء بسواء ، وفى صحيح الحديث يقول الرسول - ﷺ -: **«مَنْ تردى من جبل فقتل نفسه فهو فى نار جهنم يتردى فيها خالدا مخلدا فيها أبدا ، ومن تحسى سما فقتل نفسه فسمه فى يده يتحساه فى نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا ، ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته فى يده يجأبها فى بطنه فى نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا»** .

ويظل الإسلام محافظا على النفس ، حريصا عليها ، حفيا بها حتى وهى ماتزال فى دور التكوين فيحرم الإجهاض بغير ضرورة ملجئة يحددها الطبيب الثقة . .

يقول الإمام أبو حامد الغزالى «وأول مراتب الوجود أن تقع النطفة فى الرحم وتختلط بماء المرأة وتستعد لقبول الحياة ، وإفساد ذلك جناية ، فإن صارت علقة

---

١ - سورة المائدة - ٣٢ .

ومضغة كانت الجناية أفحش ، وإن نفخ فيه الروح واستوفى الخلقة ازدادت الجناية تفاحشا»[1] .

فالنفس الإنسانية كريمة على الله تعالى وقد فضلها على سائر المخلوقات وجعل الله سبحانه اختلاف اللغات والألوان آيات على قدرته جل شأنه فقال : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ ﴾[2] .

فالإنسانية يجمعها أصل واحد ثم تشعبت لتتعارف من جديد . . قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[3] .

فالإسلام لايعرف فوارق العرق ولا شذوذ العصبية وقد التقى فى صدر الإسلام جنبا إلى جنب بلال الحبشى وصهيب الرومى وسلمان الفارسى ونيروز الديلمى بأبى بكر وعمر وعثمان وعلى وحمزة السادة القرشيين . .

وعمر - رضي الله عنه - هو القائل : أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا (يعنى بلالاً الحبشى) وأبو ذر الغفارى - رضي الله عنه - هو الذى وضع خده على الأرض وبكى وطلب إلى العبد أن يطأه عندما عاتبه الرسول - ﷺ - وقال له : **«أعيرته بأمه؟! إنك امرؤ فيك جاهلية . .»** .

ومن الصور الرائعة حقا أن يتولى أسامة بن زيد بن حارثة قيادة جيش جرار إلى خارج الجزيرة العربية فى فترة قاسية تموج فيها البلاد بحركة تمرد عاتية هى حركة الردة ، وتعانى أزمة سياسية بعد انتقال الرسول - ﷺ - إلى الرفيق الأعلى . .

والجنود هم كبار الصحابة من المهاجرين والأنصار وأرباب الحسب والنسب ووجهاء القوم وسادتهم . .

والقائد هو شاب لم يتجاوز العشرين عاما ، وكان أبوه زيد بن حارثة رقيقا ثم حرره الرسول الكريم - ﷺ - . .

وتبلغ الصورة منتهى الروعة عندما نرى الخليفة الأول أبا بكر الصديق يودع هذا الجيش وهو يسير فى ركاب قائده ويقول : **وما علىّ أن أغبر قدمىّ ساعة فى سبيل الله .**

---

١ - إحياء علوم الدين جـ ٢ صـ ٥٣ ط الحلبى .

٢ - سورة الروم - ٢٢ .

٣ - سورة الحجرات - ١٣ .

ولا يعرف الإسلام التفرقة فى الكرامة الإنسانية بين رجل وامرأة ، فالنساء شقائق الرجال ، وقد أحياها الإسلام بعد أن كانت توأد ، وحملها المسئولية كاملة ومنحها حرية التصرف فى كافة حقوقها المدنية دون حجر عليها . . قال الله تعالى ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ ﴾(١) .

وقال جل شأنه : ﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴾(٢) .

والجانب النسائى فى القرآن حافل بمواطن العبرة فهناك قصص قرآنى خاص بالنساء مثل قصة امرأة نوح وامرأة لوط وامرأة فرعون وامرأة عمران وملكة سبأ وأمهات المؤمنين . . ومن أسماء سور القرآن – النساء ومريم والمجادلة والممتحنة . . وكان للمرأة دور بارز ومشرف على مدار تاريخ الدعوة الإسلامية ، فأول المؤمنين خديجة بنت خويلد ، وأول الشهداء فى الإسلام سمية أم عمار بن ياسر وفى وقت مبكر خرجت المرأة مهاجرة إلى الحبشة ، وكانت أسماء وعائشة ابنتا أبى بكر من بين سائر المؤمنين على علم بموعد الهجرة ، وحظيت أسماء بوسام ذات النطاقين . .

وظلت المرأة المسلمة حريصة على تسجيل شرف السبق لها إلى الهجرة ، ويحكى البخارى فى صحيحه أن امرأة جعفر بن أبى طالب وهى أسماء بنت عميس ـ وكانت من أهل السفينة الذين هاجروا إلى الحبشة ـ دخل عليها عمر بن الخطاب وهى عند ابنته حفصة ، ودار هذا الحوار :

قال عمر لأسماء : سبقناكم بالهجرة (أى إلى المدينة) فنحن أحق برسول الله منكم ، فغضبت أسماء وقالت : كلا والله ، كنتم مع رسول الله ـ ﷺ ـ يطعم جائعكم ويعظ جاهلكم ، وكنا فى دار البعداء والبغضاء بالحبشة وذلك فى الله وفى رسول الله ، وأيم الله لا أطعم طعاما ولا أشرب شرابا حتى أذكر ما قلت للنبى ـ ﷺ ـ .

فلما جاء النبى ـ ﷺ ـ قصت عليه الحوار الذى دار بينهما فقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ : «ليس بأحق بى منكم ، وله ولأصحابه هجرة واحدة ولكم أنتم أهل السفينة هجرتان» .

---

١ – سورة آل عمران ـ ١٩٥ .

٢ – سورة النساء ـ ٧ .



وظلت أسماء بنت عميس تروى هذا الحديث بكل فخر لكل من هاجر إلى الحبشة حتى قالت :

فلقد رأيت أبا موسى الأشعرى وأصحاب السفينة يأتونى أرسالاً يسألونى عن هذا الحديث ، مامن الدنيا شيء هم به أفرح ولا أعظم فى أنفسهم مما قال لهم النبى - ﷺ - . . .

٣ - المــــال :

القاعدة العامة أن رزق الله يساق للإنسان فى هذه الدنيا على ما قدره الله تعالى أزلاً ، وعلى مقتضى الحكمة الإلهية فى نظام هذه الحياة قال الله سبحانه : ﴿ **نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ** ﴾[١] .

والتسخير هنا هو تبادل المنافع واحتياج كل إنسان للآخر مهما كان وضعه ، وليست كثرة المال أو قلته دليلا على محبة الله لعبده أو بغضه إياه ، فإن الدنيا ليست جزاء لمؤمن ، وفى حديث رواه الترمذى قال الرسول - ﷺ - « لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافرا شربة ماء » . .

ومع ذلك فقد أمر الله تعالى بالسعى والتماس الرزق الحلال ، قال تعالى : ﴿ **هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ** ﴾[٢] .

وعلم الرسول أصحابه أن العمل شرف فقال كما فى صحيح الحديث : «**لأن يغدو أحدكم فيحطب على ظهره فيتصدق به ويستغنى به عن الناس خير له من أن يسأل رجلا أعطاه أو منعه فإن اليد العليا أفضل من اليد السفلى**» .

وعلى ضوء هذا نستطيع أن نقرر أن الفقر الذى ينشأ عن التكاسل وترك السعى أو ينشأ عن الإسراف والتبذير - هو فقر معصية يحاسب عليه الإنسان ويسأل عنه يوم القيامة . . قال الله تعالى : ﴿ **وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا** ﴾[٣] .

---

١ - سورة الزخرف - ٣٢ . ٢ - سورة الملك - ١٥ . ٣ - الإسراء - ٢٩ .



والزوج فى منطق الإسلام هو المسئول الأول عن التبعات المالية للأسرة وهو المطالب شرعا بالنفقة والكسوة والسكنى للزوجة والأولاد ، قال تعالى : ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ مَا آتَاهَا ﴾[1] .

وهذه الحقوق المالية واجبة على الرجل لزوجته سواء كانت غنية أو فقيرة ، ولا تجبر على ترك شىء منها إلا عن طيب نفسى ، قال تعالى : ﴿ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا ﴾[2] .

وليس للرجل سلطان على ما تملكه زوجته ، فلها ذمتها المالية المستقلة ، وتصرفاتها المالية الرشيدة ليست فى حاجة إلى إذن من الرجل أيا كان . .

ومن الأمور المشروعة فى الإسلام للتملك - الميراث والوصية ، وقد قسم الله تعالى الميراث فى كتابه العزيز وفصله تفصيلا ، ونظام الميراث الإسلامى مما يفخر به المسلمون فليس له مثيل فى نظم العالم أجمع وترتبط به قضايا أخلاقية تتعلق بصحة النسب وصلة الرحم وحق القربى . .

والوصية فى الإسلام تبرع بحق مضاف لما بعد الموت ، وتكون فى الأصل لغير وارث ولمن يكون محتاجا كنوع من الصدقة ، وهى فى حدود الثلث ، ففى الحديث الصحيح أن سعد بن أبى وقاص قال : **«قلت يا رسول الله أنا ذو مال ولا يرثنى إلا ابنة لى واحدة أفأتصدق بثلثى مالى ؟ قال : لا . قلت : أفأ تصدق بشطره؟ قال : لا ، قلت : أفأ تصدق بثلثه؟ قال : الثلث والثلث كثير ، إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس»** .

أما الوصية لبعض الورثة دون بعض فغير مشروعة فى أصلها لكن إذا وقعت من المورث فتنفيذها موقوف على إجازة باقى الورثة ، وفى حديث رواه أحمد والنسائى قال رسول الله - ﷺ - : **«إن الله قد أعطى لكل ذى حق حقه فلا وصية لوارث»** .

ولنعلم انه لا عبرة بموافقة الورثة حال حياة الموصى إذ لا استحقاق لهم قبل موته ، وإنما تعد الموافقة بعد وفاة الموصى ، وإذا كان فى الورثة صغير أو مجنون فلا تصح منه إجازة الوصية لأنه ليس أهلا للتصرف ولا من وليه لأنه تنازل عن حق لا يملكه . .

---

١ - الطلاق - ٧ .   ٢ - النساء - ٤ .



ومن مصارف المال فى الإسلام - الزكاة وهى أحد أركان الدين ، وهى واجبة الأداء عند الحصاد بالنسبة للزروع والثمار ، وعند حلول الحول بالنسبة للأموال المدخرة وعروض التجارة والماشية .

وقد بين الله تعالى مصارف الزكاة فى قوله : ﴿ **إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ** ﴾[1] .

وهناك لون آخر واجب الأداء يسمى زكاة الفطر ويتحقق وجوبها بالفطر من آخر يوم من شهر رمضان ، وهى طهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين فى يوم العيد . .

وفى صحيح الحديث قال ابن عمر : «**فرض رسول الله - ﷺ - زكاة الفطر صاعا من تمر أو صاعا من شعير على العبد والحر ، والذكر والأنثى ، والصغير والكبير من المسلمين وأمر بها أن تؤدى قبل خروج الناس إلى الصلاة** » .

وشرع الإسلام الأضحية وهى الذبيحة التى يتقرب بها إلى الله تعالى أيام عيد الأضحى ، وهى سنة على الموسر لقوله - ﷺ - فى الحديث الصحيح : «**إن أول ما نبدأ به فى يومنا هذا نصلى ثم نرجع فننحر ، فمن فعل ذلك فقد أصاب سنتنا ومن ذبح قبل الصلاة فإنما هو لحم قدمه لأهله ليس من النسك فى شىء**» .

وربط الإسلام الإنفاق المالى بالكفارات الشرعية مثل إطعام عشرة مساكين أو كسوتهم فى كفارة اليمين ، وإطعام ستين مسكيناً فى كفارة الظهار ، وذبح الهدى فى الحج . . وغير ذلك كثير . .

وهناك أمور متروكة ليقظة المسلم وقد أحاطها الشرع بالمرغبات التى تتسامى بها إلى آفاق الإنسانية النبيلة مثل حق الجار وكرم الضيافة وصلة الرحم ورعاية اليتامى . . . إلخ . . قال رسول الله - ﷺ - : «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه**» .

وقال - عليه الصلاة والسلام - : «**من أحب أن ينسأ له فى أثره ويبسط له فى رزقه فليصل رحمه**» .

١- سورة التوبة - ٦٠ .

وقال ـ ﷺ ـ : « أنا وكافل اليتيم كهاتين فى الجنة وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى . .

ولكل ذلك تفاصيل وأحكام وآداب يضيق بها المقام هنا .

٤ـ العقل :

يتفرد سيدنا محمد ـ ﷺ ـ من بين سائر الأنبياء بأن معجزته كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، يحمل دليله معه وينادى صباح ومساء :

﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾(١) .

وحيث كانت رسالة الإسلام خاتمة لمطاف الرسالات الإلهية وعامة لجميع الأزمنة والأمكنة ، وخالدة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ـ فقد ارتكزت على التفكير العلمى وأشادت بالعقل الإنسانى إذ هو أعدل الأشياء قسمة بين البشر :ـ

لقد بُدئ القرآن العظيم بتلك الإشراقة الأولى للوحى فى قوله تعالى :

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ. خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ. اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ. الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ. عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾(٢) .

وقد أرسى القرآن قواعد البحث وأصول التفكير على النحو التالى :

١ـ حرر العقل من رواسب التقليد وعادات البيئة الفاسدة ، فقال :

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلا يَهْتَدُونَ ﴾(٣) .

٢ـ نعى القرآن على اتباع الظن والهوى . . فقال :

﴿ وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴾(٤) .

٣ـ أرشد إلى العناية بحواس الإنسان والحفاظ على سلامتها فقال : ﴿ وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً ﴾(٥) .

---

١ ـ سورة البقرة ـ ٢٣ ٢ ـ سورة العلق ـ ١ : ٥ . ٣ ـ سورة البقرة ـ ١٧٠ .
٤ ـ سورة النجم ـ ٢٨ ٥ ـ سورة الإسراء ـ ٣٦



٤ـ أمر بالبحث فى ظواهر الطبيعة ونواميس الكون فقال :

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[1] .

٥ـ لفت النظر إلى قوانين الاجتماع وسنة الله فيما سلف من الأمم وأكد استمرارها فقال :

﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ. هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾[2] .

وحرصا على هذه الأصول قرر القرآن عقائد الإيمان كلها مدعمة بالحجة والبرهان ، وليس به قضية بلا دليل أو دعوى بلا بينة حتى فى باب الأدب الخلقى فقال : ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾[3] .

والشعار الذى رفعه القرآن العظيم فى جداله مع المخالفين هو :

﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾[4] .

﴿ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا ﴾[5] .

وانطلاقا من هذه الأصول القرآنية للفكر الراشد اتفقت كلمة المسلمين على أن عقائد الإسلام فى الألوهية والنبوة يجب العلم بها والبحث فيها ببرهان قاطع للوصول إلى اعتقاد جازم مطابق للواقع . .

ولما كانت الأدلة التفصيلية ورد الشبهات لا تتيسر لكافة الناس قالوا إن المعرفة الاجمالية واجبة على كل مكلف ، وإذا كان الإنسان أهلا للنظر والبحث وجب عليه تفصيلا معرفة عقائد الإيمان . .

وهناك بحث طريف لعلماء العقيدة الإسلامية عن أول واجب على المكلف : هل هو المعرفة؟ هل هو النظر؟ هل هو القصد إلى النظر؟ بل ذهب أبو هاشم من المعتزلة إلى أن أول واجب على المكلف هو الشك فهو مفتاح اليقين . .

وهذا كله فى إطار فهم قوله تعالى : ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ﴾[6] وقوله تعالى :

---

١ – سورة البقرة ـ ١٦٤ .
٢ – سورة آل عمران ـ ١٣٧ .
٣ – سورة فصلت ـ ٣٤ .
٤ – سورة النمل ـ ٦٤ .
٥ – سورة الأنعام ـ ١٤٨ .
٦ – سورة محمد ـ ١٩ .

﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾(1) .

وأكد القرآن ضرورة أن يتكافل الناس علميا فقال . . ﴿ فَلَوْلا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾(2) .

وقد قسم علماء المسلمين العلم إلى فرض عين وفرض كفاية :

ففرض العين هو ما يتعلق به صحة العقيدة والعبادة والمعاملة ، فكل مكلف رجلا كان أو امرأة مطالب شرعا بالعلم بالتوحيد الخالص لله تعالى واليقين بالرسالة للمصطفين من خلقه بلا تفريق بين أحد من رسله ، ومعرفة أداء العبادات على وجهها المشروع ، وكيفية أداء الحقوق لأصحابها . .

وفرض الكفاية هو ما إذا قام به البعض سقط إثمه عن الباقين ، ويشمل كل ما يتعلق بصلاح العباد والبلاد ، وما تتوقف عليه جوانب الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، وهو بهذا المفهوم يتغلغل إلى كافة فنون المعرفة والبحث والتفكير .

فالمسلم يسعى بوحى دينه إلى كشف حقائق الكون خدمة لبنى الإنسان وإبرازًا لآيات الله فى الأنفس والآفاق وليس إشباعا لنهم عقلى أو حب استطلاع وكفى . .

وقد حرص الإسلام على أن يكون للمرأة دور بارز فى حلقات العلم ودروسه ، وكان مسجد رسول الله - ﷺ - بالمدينة ملتقى المسلمين جميعا ، الرجال فى الصفوف الأولى ويليهم صفوف الصبية ثم صفوف النساء . .

وقد خص الرسول الكريم النساء بمزيد من التوجيه والعناية ، ففى صحيح الحديث أن النبى - ﷺ - لما فرغ من خطبة العيد نزل فأتى النساء فوعظهن وذكرهن وأمرهن بالصدقة . . قال الراوى : قلت لعطاء : أترى حقا على الإمام أن يأتى النساء فيذكرهن حين يفرغ؟ قال : إن ذلك لحق عليهم ومالهم لا يفعلونه»

وقد أمرنا الرسول - ﷺ - أن نخرج العواتق وذوات الخدور وهن الآنسات والسيدات- إلى مصلى العيد ليشهدن الخير ودعوة المؤمنين ، كما أوصانا بالسماح للزوجات لأداء الصلاة فى المسجد وقال «لا تمنعوا إماء الله مساجد الله» .

وقد أفتى العلماء بأن للزوجة الحق فى أن تخرج لطلب العلم الواجب بغير إذن زوجها إذا رفض أن يعلمها . .

---

1 - سورة الزمر - 9 .　　2 - سورة التوبة - 122 .

وقد استشعر المسلم تلك المعانى النبيلة فانطلق إلى التعمق فى البحث وتلقف الحكمة أنّى وجدها فهى ضالته المنشودة . . وفى غزوة بدر الكبرى جعل الرسول - ﷺ - فداء الأسير من المشركين أن يعلم عشرة من أبناء المسلمين القراءة والكتابة ، كما أشار النبى - ﷺ - إلى أحد كتاب وحيه وهو زيد بن ثابت أن يتعلم السريانية ليترجم له المراسلات . .

٥ - النسب :

يعد الزواج الإسلامى المبنى على الرغبة الصادقة ، والقائم على مراحل الخطبة والعقد والزفاف ، والمبتغى به العفاف الشريف والذرية الطيبة - هو قمة الفكر الإنسانى وكمال الهدى الإلهى فى علاقة الرجل بالمرأة .

والأسرة فى الإسلام دين يسعى الإنسان لتحقيقه ، وقد جعل الله تعالى الزواج آية من آياته فقال : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[١] .

وقال رسول الله - ﷺ - «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء» .

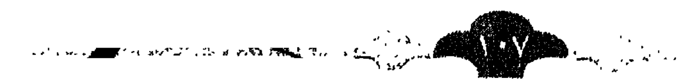
وجعل الإسلام للمرأة مهراً فريضة محكمة تكريماً لها واحتراما فقال تعالى ﴿ وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً ﴾[٢] أى عطية خالصة ، لكن هذا التكريم يجب ألا يتحول إلى نوع من التعجيز أو الصد عن إقامة شعيرة الزواج بأن نغالى فى المهور ونوقف بناء العفاف الشريف على معان مادية مرهقة فأخفهن مهوراً أكثرهن بركة .

والأسرة فى الإسلام على قمتها الرجل يسأل عنها ويكلف بها وينسب إليه الأبناء قال تعالى :

﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ﴾[٣] .

---

١ - سورة الروم - ٢١ . ٢ - سورة النساء - ٤ . ٣ - سورة النساء - ٣٤ .



وحرم الإسلام التبنى بمعنى إلحاق النسب لغير البنوة الحقيقية فقال الله تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ . ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ ﴾[1] .

وللزوجة فى الإسلام حقوق مكفولة بنص مقدس غاية فى البيان والوضوح قال سبحانه : ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾[2] فحق المرأة مقدم على الواجب عليها . .

فالنفقة والكسوة والسكنى حقوق ثابتة للمرأة على الرجل سواء كانت غنية أو فقيرة . . قال تعالى : ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾[3] .

ومن حقوق المرأة حسن العشرة ولين الجانب وتحمل الأذى منها فإن حسن الخلق مع الزوجة ليس وقفا على كف الأذى عنها بل يتعدى إلى تحمل الأذى منها وقد قال الرسول ـ ﷺ ـ «استوصوا بالنساء خيرا» . .

وليس هناك ما يمنع من أن يشارك الرجل زوجته فى أعمال المنزل وكان رسول الله ـ ﷺ ـ فى مهنة أهله . .

وبلغ من احترام الإسلام لحقوق الزوجة أن نهى الرجل أن يأتى أهله فى جوف الليل حتى لا يفجأهم على أوضاع منفرة فإن الأدب الإسلامى أن تتهيأ الزوجة لملاقاة زوجها وأن تظهر له زينتها . . وفى صحيح الحديث قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ : «**إذا أطال أحدكم الغيبة فلا يطرق أهله ليلا**» . .

وحق الزوج مقدس ورضا الزوج من رضا الله وطاعة المرأة لزوجها واجبة ما لم يأمر بمعصية فإنه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق . . وهناك حديث شريف جاء فى الصحيح يوضح لنا لونا من ألوان هذه الطاعة فيقول ـ عليه الصلاة والسلام ـ : «**لا يحل للمرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه ولا تأذن فى بيته إلا بإذنه ، وما أنفقت من نفقة من غير أمره فإنه يؤدى إليه شطره**» .

---

١ – سورة الأحزاب ـ ٤ : ٥ .   ٢ – سورة البقرة ـ ٢٢٨ .   ٣ – سورة الطلاق ـ ٧ .



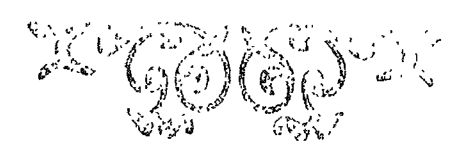
فالإسلام حريص على الاستقرار العاطفى للأسرة ، فمن حق الرجل الاستمتاع بزوجته فى أى وقت شاء حتى لاتتعرض النفوس للفساد ، ولهذا رفض الإسلام صوم المرأة نفلا أو واجبا على التراخى إلا بإذن زوجها حتى لا يقطع عليها عبادتها إن تاقت نفسه .

ويجب أن يعلم الزوج بمن يدخل بيته بحيث يكون بصيرا بأهله ، وقد حدد الإسلام معالم العفاف الشريف فلا يحل لامرأة مسلمة أن تمد بصرها إلى الرجال بشهوة ، ولا يحل للمرأة أن تظهر شيئا من زينتها للأجانب فإن الله جعل الاستمتاع خاصا بين الرجل وزوجته . .

ونهى الإسلام عن الخلوة بالمرأة الأجنبية فقال النبى - ﷺ - : **«لا يخلون رجل بامرأة إلا مع ذى محرم»** . .

والمرأة راعية فى مال زوجها ومسئولة عن رعيتها ، وأحض صفاتها الأمانة فى العرض والمال ، فلا يحل للمرأة أن تتصرف فى مال زوجها إلا بإذنه وإن خالفت كان الوزر عليها والأجر له ، والإذن قد يكون عاما وقد يكون خاصا ، ففى الأمور التى تطيب بها النفوس عرفا كإعطاء سائل لقمة فلا ضير ولكل منهما الأجر والثواب ، للمرأة بما أنفقت وللرجل بما اكتسب ، أما إن تجاوزت المرأة العادة أو كان قدرا كبيرا يوثر فى ميزانية الأسرة فلابد من إذن خاص .

كل ذلك فى التصرف المالى خارج نطاق الأسرة ، لكن نفقتها ونفقة أولادها فلها أن تأخذ ما يكفيها بالمعروف . . وقد قالت هند بنت عتبة . . **يا رسول الله إن أبا سفيان رجل شحيح وليس يعطينى ما يكفينى وولدى إلا ما أخذت منه وهو لا يعلم . فقال لها الرسول الكريم : «خذى ما يكفيك وولدك بالمعروف . .»** .





حماية الحقوق في الإسلام

هذه الضرورات الخمس للإنسان تعاهدها الإسلام داخل النفس الإنسانية وأصّل حبها والالتزام بها على أساس مبدأ الخشية لله تعالى وعبادته كأننا نراه . . قال الله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[١] .

وليس كل إنسان ينزجر لما يخشاه فى الآخرة ، ولهذا تعقب الإسلام شوارد المجتمع بما يسمى فى الفقه الإسلامى الحدود والتعزيرات . . فمن سولت له نفسه قتل أخيه وجد رادعا قويا هو القصاص قال تعالى :

﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[٢] .

ومن سولت له نفسه اعتداء على الملكية الخاصة طبق عليه حد السرقة قال الله تعالى :

﴿والسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللَّهِ واللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[٣] .

وحرص الإسلام على نقاء جو الأسرة فشرع حد القذف لمن يطلق لسانه على عورات المسلمين زورا وبهتانا . . قال تعالى :

﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[٤] .

وإذا وقعت الخيانة الزوجية فقد جعل الله عقوبة زاجرة لكل المتمردين على قيم الأسرة الذين يلتمسون المتعة الحرام ، فشرع الله الرجم حتى الموت لكل من الرجل والمرأة اللذين يرتكبان الفاحشة بعد أن تحقق لهما الزواج الشريف ، وقد رجم الرسول - ﷺ - ما عزا والغامدية ورجم الصحابة من بعده .

---

١ - سورة المجادلة - ٧ .
٢ - سورة البقرة - ١٧٩ .
٣ - سورة المائدة - ٣٨ .
٤ - سورة النور - ٤ .



فإن كانا بكرا لم يسبق لهما الزواج فحدهما الجلد مائة جلدة ، قال الله تعالى : ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[1] .

ومن أجل قيمة العقل وكرامة الوعى وسلامة التفكير حرم الإسلام كل مسكر ومخدر وجعل حد الشرب أربعين جلدة ويجوز أن يبلغ الإمام بالحد ثمانين جلدة . . وهناك عقوبات تركت لولى الأمر يقضى بما يراه مناسبا محققا للعدالة والأمن . .

وولى الأمر فى الإسلام عليه حفظ الدين وسياسة الدنيا بالعلم والعدل والشورى بتعاون أهل الحل والعقد . .



---

١ - سورة النور - ٢ .

الحقوق الضائعة للمسلم المعاصر

الإسلام نور الله فى دنيا الناس ، ولا نريد أن نكون كمثل الحمار يحمل أسفارا ، فذلك هو مثل اليهود فى قوله تعالى : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ .(١)

ولا نريد أن نكون كمثل الأعمى يتخبط فى ضحى الشمس ، فذلك مثل المنافقين فى قوله تعالى : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ ﴾ .(٢)

وإن نظرة سريعة إلى واقع الإسلام تجعل البصر يرتد خاسئا وهو حسير من هول المأساة التى يعيشها المسلم المعاصر ، وذلك لأن حقوقا ضائعة فى جوانب كثيرة ، أهمها :

الجانب السياسى :

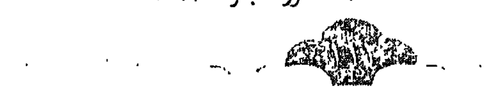
إن المواطن المسلم فى دولته لا يملك أمر اختيار الحاكم ، ولا يحقق المشاركة النيابية الصحيحة ، ولا يستطيع تقديم النصيحة السياسية تحت قهر الحكام المستبدين الذين استأثروا بالحكم فى غيبة العدل والشورى ، ومارسوا مسئولياتهم فى غيبة الرقابة الشرعية ، وعاثوا فى الأرض فسادا فى غيبة كلمة الحق عند السلطان الجائر . .

إن أمة الشورى تعيش الآن بلا شورى ، ووصل كثير من حكام العالم الإسلامى إلى السلطة بلا بيعة يقرها الإسلام ، وظلوا فى السلطة بلا سند يقره الدين . .

ومن هنا فنحن نطالب بحق المسلم المعاصر فى اختيار حاكمه ومن يمثله فى المجالس النيابية اختيارا يقوم على الوعى ويتوخى المؤهلات ويحرص على أمانة المسئولية . .

وقد قال رسول الله ـ ﷺ ـ : «إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة قالوا : يارسول وكيف إضاعتها؟ قال : إذا أسند الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة» .

١- سورة الجمعة ـ ٥ .   ٢ - سورة البقرة ـ ١٧ .



الجانب الاقتصادى :

إن الدول الإسلامية جمعاء دول نامية يعيش مواطنوها فى كثير من البقاع معيشة الفقر . .

والفقر هنا قد نعده فقر معصية لأنه نشأ عن تكاسل فى استغلال الخيرات التى منحها الله لنا ، أو لأنه نشأ عن إسراف وتبذير لدى البعض . . وأيا ما كان فإن الأمة الإسلامية غنية بمواردها البشرية والطبيعية ، وتحوى أرضها وسماؤها ثروات ضخمة ولكنها لا تحسن استغلالها والقيام على شئونها . .

ومن هنا فنحن نطالب بحق المسلم المعاصر فى حياة كريمة قائمة على العمل وبذل الجهد داخل الدولة الإسلامية وخارجها فى إطار وحدة العالم الإسلامى وليس معقولاً ولا مقبولاً شرعاً أن توجد مساحات شاسعة تقدر بالملايين ـ بورا وبلا إنتاج فى وقت يموت الناس جوعا . .

وليس معقولا ولا مقبولا شرعا أن توضع أموال المسلمين فى بنوك أعداء الإسلام ينتفعون بها فى وقت تتكفف دول العالم الإسلامى على موائد اللئام فى غرب العالم وشرقه . .

الجانب الثقافى:

إن أمة الإسلام أمة القيم ، وحياتها حياة الشرف ، ومن حق المسلم أن يعيش بدينه ولدينه وأن يستمتع بقيم الحياة المثلى التى خطها القرآن المجيد وبينها الرسول الكريم وأصلها العلماء المجتهدون . . لكن هجمة إعلامية شرسة تحاول أن تستأصل من بيوتنا وعقولنا وحياتنا هذه القيم . .

وتولى أمر الإعلام فى أمة الإسلام من لا يرقب فى مؤمن إلاً ولا ذمة ، وأصبح الإعلام المقروء والمسموع والمرئى فى معظم برامجه وخططه دخيلاً علينا ، ينتمى إلى ثقافة وافدة وفكر مدسوس وأخلاق مرذولة . .

وعندما تأتى الكلمة الإسلامية فى أجهزة الإعلام تقدم باستحياء وبشكل لا يؤثر ، وبطريقة لا تجدى .

كما أصبحت مدارس التعليم لا تعنى بأصول الدين العناية التى تربى المواطن وتفجر فيه ينابيع الخير وتدفعه إلى مزيد من الولاء لله ورسوله . .

ومن هنا فمن حق المسلم المعاصر أن يحقق انتماءه لدينه وولاءه لرسالة الإسلام من خلال أجهزة إعلامية ومؤسسات تربوية ترتضى الإسلام ديناً والقرآن حكما وإماما . .



الجانب الاجتماعى :

إن المسلم المعاصر يتلفت حوله فيجد دماء إسلامية تسيل فى كل مكان من أرض الله ، وبشكل متواصل حتى أصبح الدم الإسلامى أرخص دم فى الوجود .

ولننظر إلى ما حدث ويحدث فى فلسطين ولبنان وأفغانستان والصومال والعراق والسودان وكشمير والبوسنة والهرسك والشيشان وكوسوفا . . إلخ .

فضلاً عما جرى وما يجرى فى المعتقلات السياسية من إهدار لكرامة الإنسان واعتداء صارخ على الحرمات ، واتهام باطل للأبرياء . .

أليس من حق المسلم المعاصر أن يأمن على نفسه وعرضه؟!

ثم إن الطفولة فى العالم الإسلامى باتت مهددة ، لأن أمهات كثيرات فضلن العمل خارج المنزل وفرطن فى حضانة الأطفال تحت وطأة التقليد الأعمى للمرأة الأوربية ، وبدأت بعض الدول الإسلامية تعانى من ظاهرة المربيات الأجنبيات اللآتى يختلفن دينا وثقافة ولغة . .

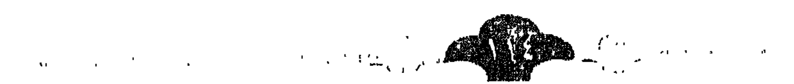
ومن المخاطر الاجتماعية أن العالم الغربى جعل الأمة الإسلامية حقل تجارب فى الدواء والسلاح فقد صدر إلينا ألبانا صناعية زعم أنها تغنى عن لبن الأمهات ، وبعد سنوات طوال تكشفت الأضرار الجسيمة لهذه الألبان الصناعية على الأم والطفل معاً . .

وإن كثيراً من الأدوية التى تصنع حديثاً لا تطرح فى بلادها ، ويقذفون بها إلى الدول الإسلامية لمعرفة مدى تأثيرها . .

ولعلنا نتذكر أن السلاح أيضاً له مجال فى الاختبارات على الأمة الإسلامية وقد كشفت حرب الخليج عن هذه المأساة فقد استخدمت الولايات المتحدة الأمريكية أسلحة لأول مرة لمعرفة مدى كفاءتها . .

أضف إلى ذلك ما تقوم به الدول الكبرى من تصدير الأسلحة التى تقادم عهدها إلى الدول الإسلامية لتبتز ثروتها ثم تفتعل الحروب بين الدول الصغرى ليظل الدمار والخراب وتظل الفرقة والقطيعة تطبيقاً للمبدأ الاستعمارى المشهور «فرّق تسد» .

إن المسلم المعاصر فى حاجة قصوى إلى بيئة اجتماعية نظيفة يستشعر فيها ذاته وقيمه . ويواصل فيها عطاءه المتميز عمارة للكون وزادا للآخرة .



قضيــة المــرأة

بين حكمة التشريع ودعوى التمييز

ورقة

مقدمة إلى :

اللجنة الإسلامية العالمية للمرأة والطفل - بالمجلس الإسلامى العـالمى للدعـوة والإغـاثة لمناقشة اتفـاقيـة القضـاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة

خلال شهرى أغسطس وسبتمبر ٢٠٠٠ م

نظرة تاريخية :

إذا استعرضنا تاريخ المرأة قديما وحديثا لن نجد فلسفة أو مذهبا أنصف المرأة وحررها كما فعل الإسلام . فالمرأة فى فلسفة الهند عائق عن الخلاص وحقها فى الحياة ينتهى بانتهاء أجل الزوج ، تحرق عند وفاته ولا تعيش بعده إلا حاقت بها اللعنة الأبدية . والعرب فى الجاهلية وأدوا البنات وتوارثوا المرأة واتخذوها بضاعة مزجاة ، وعاش الناس فى أوربا أزمنة طويلة يرون المرأة تسير وعلى فمها وموضع العفة منها أقفال حديدية .

والاحتمال المرجح لدى الباحثين هو أن أفلاطون ـ ٣٤٧ ق . م ـ كان يحمل مشاعر غير ودية للمرأة وأنه لم يكن يدعو إلى المساواة التامة بين الرجل والمرأة تأكيدا منه لحقوق المرأة أو بدافع الشعور الإنسانى نحوها ، بل إن السياق العام لتفكيره يدل على أنه يرمى بطريق غير مباشر إلى القضاء على كل ما هو مميز للمرأة عن الرجل ، وهو لم يفعل أكثر من إلزام لها بواجبات تنوء بحملها ، فى الوقت الذى حرمها فيه من عواطف الأمومة ، وممارسة حقها الطبيعى فى ذلك .

وألغى جان جاك روسو ـ ١٧٧٨ م ـ أهلية المرأة وأهدر كرامتها ، وجعلها على هامش الحياة ، حيث حرمها من التعليم وأكرهها على العقيدة وسلبها إدارة شئون حياتها ، وأبقاها دمية يستمتع بها الرجال .

ويرى فريدريك نيتشه ـ ١٩٠٠ م ـ أن المرأة ليست أهلا للصداقة ، فما هى إلا هرة ، وقد تكون عصفورا وإذا هى ارتقت أصبحت بقرة ، وقلب المرأة – فى نظره– مكمن للشر ، وكل ما فيها لغز ، وينصح الرجل ألا ينسى السوط إذا ذهب إلى النساء . !! وما زالت المرأة الغربية إلى اليوم تنسب إلى زوجها ولا تملك أهلية التصرف فى الأموال بغير إذن زوجها وكل حريتها المزعومة محصورة فى دائرة الانحلال والفاحشة .

الموقف الإسلامى العام :

الحق القانونى للمرأة مكفول بنص إلهى صريح تتصاغر أمامه كل التعبيرات القانونية– هو قوله تعالى : ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾[1] . وكافة الواجبات الشرعية منوطة بالجنسين قال سبحانه : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[2] .

---

١ ـ سورة البقرة ـ ٢٢٨ .   ٢ ـ سورة التوبة ـ ٧١ .



وقد نص القرآن الكريم على مبايعة النساء فى قوله جل شأنه : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَن لاَّ يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلا يَسْرِقْنَ وَلا يَزْنِينَ وَلا يَقْتُلْنَ أَوْلادَهُنَّ وَلا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[1] .

والجانب النسائى فى القرآن المجيد حافل بالعبر فهناك قصة امرأة فرعون وامرأة نوح وامرأة لوط وامرأة عمران وقصة عيسى ابن مريم وقصة ملكة سبأ وقصة أمهات المؤمنين . ومن أسماء سور القرآن : النساء ومريم والممتحنة والمجادلة وهى امرأة راجعت رسول الله - ﷺ - فى أمر زوجها حين ظاهر منها حتى نزل القرآن مؤيدا رأيها ، بل لقد جمع بين الرسول وتلك المرأة فى خطاب واحد . . ﴿ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا ﴾[2] .

والواقع التاريخى يرشدنا إلى أن أول المؤمنين فى الإسلام هى خديجة بنت خويلد ، وأول الشهداء هى سمية أم عمار بن ياسر ، وأول الأمناء على كتاب الله بعد جمعه فى عهد الخليفة الأول أبى بكر الصديق ووفاة عمر الفاروق هى حفصة بنت عمر استحفظت على كتاب الله إلى أن تولى عثمان بن عفان - رضي الله عنه - ونسخ المصاحف وأرسلها إلى الأمصار .

وهذه المساواة الشرعية فى الحقوق والواجبات هى غير المساواة فى الأعمال وتقلد الوظائف . . وحدود المسؤولية ، وتبعات الحياة . .

رئاسة الدولة :

إن الإمامة الكبرى وهى رئاسة الدولة - لاتكون إلا للرجال لأنها نيابة عن صاحب الشريعة فى حفظ الدين وسياسة الدنيا وقد قال رسول الله - ﷺ - : «**لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة**» ، وبالقياس على إمامة الصلاة فى الجماعة والجمعة فلا تجوز باتفاق العلماء للنساء ، كما أن المرأة لم تتحمل رسالة التبليغ عن الله تعالى ، قال عز وجل ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ ﴾[3] وقد جعل الله تعالى قيادة الأسرة للرجل فكيف تكون قيادة الأمة للنساء؟ قال الله تعالى : ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ﴾[4] .

---

١ - سورة الممتحنة - ١٢ .
٢ - سورة المجادلة - ١ .
٣ - سورة الأنبياء - ٧ .
٤ - سورة النساء - ٣٤ .



ثم إن الإمامة تقتضى مباشرة أمور يضعف عنها النساء كقيادة الجيش وتدبير أمور الجهاد وقد تستدعى مواقف تحظر على النساء كالخلوة مع الأجنبى والسفر الطويل فى صحبة الرجال . . وغير ذلك .

وبالنسبة للقضاء فقد اختلف الفقهاء فى اشتراط الذكورة فقال الجمهور هى شرط فى صحة الحكم وقال أبو حنيفة يجوز أن تكون المرأة قاضياً فى الأموال ، وقال الطبرى يجوز أن تكون المرأة قاضيًا على الإطلاق فى كل شىء . ويأتى هذا الخلاف فى مسألة الوزارة .

لكن رأى الجمهور هو المعتمد الذى تسانده نصوص الشرع ويؤيده الواقع ولا يقدح هذا فى كرامة المرأة التى أكدها الدين وأعلى قدرها ، وإنما المسألة راجعة إلى مراعاة طبائع الأشياء ومصالح العباد وليس كل رجل مؤهلا للإمامة والقضاء بل لابد من شروط خاصة هى العلم والعدالة والكفاءة وسلامة الحواس والأعضاء . . إلى آخره . . . . .

قوامة الرجل :

قال الله تعالى : ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ﴾[1] فالأسرة فى الإسلام على رأسها الرجل يسأل عنها ويكلف بها ، وهو أقدر وأكفأ على سياسة الأسرة غالباً ، فالمرأة ينالها ضعف الحمل والوضع والإرضاع ويغلب عليها الجانب العاطفى وتنهار بسرعة ، ثم إن الرجل هو الذى يكرم المرأة فيمنحها الصداق أو المهر – قال تعالى : ﴿ وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً ﴾[2] ، وليس المهر مقابل المتعة فهى مشتركة بين الزوجين بل حظ المرأة منها أوفر ، وليس لتأثيث بيت الزوجية فهو واجب الزوج وحده بقدر استطاعته . . وإنما المهر رمز للوفاء والتقدير . . ولهذا يفضل الإسلام عدم المغالاة فى المهور ، فالرمزية تتحقق بما يتيسر . .

وهذه القوامة إنما هى قوامة إرشاد ونصح ومسئولية ، وإليها ينتسب الأبناء وقد حرص الإسلام حرصاً كبيراً على صحة النسب ، فقال عليه ـ الصلاة والسلام ـ «من ادعى إلى غير أبيه ، وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام» وقد حرم القرآن التبنى بمعنى

---

١ ـ سورة النساء ـ ٣٤ . ٢ ـ سورة النساء ـ ٤ .



إلحاق النسب لغير البنوة الحقيقية فقال سبحانه : ﴿ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ . ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ ﴾[1] .

وهذه القوامة للرجل لا تسلب المرأة حقاً من حقوقها الفطرية ، فالجميع أمام الله سواء . قال جل شأنه : ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ ﴾[2] ، فالذى بيده عقدة النكاح هو الرجل ، وهو الذى يملك حق الطلاق عند فشل الحياة الزوجية ، وهناك من العلماء من يجيز أن تكون العصمة بيد المرأة إذا اشترطت ذلك فى العقد ، وهذا رأى لا يعبر عن الاتجاه الصحيح فى الدين ولا يعبر عن الواقع الفطرى . ولو سلمنا جدلا بصحة هذا الرأى القائل بأن حق الطلاق قد يكون بيد المرأة فإنه لا يسلب الرجل حقه فى الطلاق متى كان ذلك آخر الحلول لمشاكل الحياة الزوجية . . ففى هذه الحال يكون لكل من الزوجين حق إيقاع الطلاق .

تعدد الزوجات :

كان التعدد شائعاً فى العرب قبل الإسلام بلا حد ، فجاء الإسلام وجعل أقصى ما يمكن جمعه فى عصمة الرجل أربع نسوة ، بضوابط معينة ، وكان الرجل يسلم وعنده مجموعة من النساء فيقول له الرسول - ﷺ - **«أمسك أربعاً وفارق سائرهن»** .

وضوابط الجمع كثيرة منها ألا يجمع بين الأختين أو بين المرأة وعمتها أو خالتها حفاظاً على صلة الرحم . والمدار فى التعدد على العدل فى النفقة والمبيت والاستطاعة البدنية والمالية . . قال الله تعالى ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً ﴾[3] وقال - ﷺ - : **«من كانت له امرأتان ولم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وشقه مائل»** .

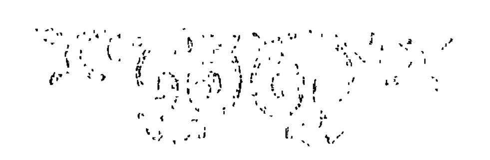
وروح الشريعة تميل إلى الاكتفاء بواحدة ، وفى قوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلاَّ تَعُولُوا ﴾[4] ما يؤكد ذلك . . فالمعنى أن الاكتفاء بواحدة أقرب إلى العدل فيكون

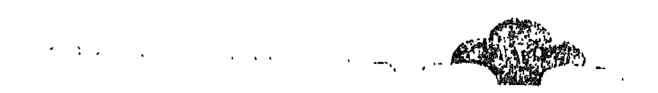
١ـ سورة الأحزاب ـ ٤ : ٥ .
٢ ـ سورة آل عمران ـ ١٩٥ .
٣ ـ سورة النساء ـ ٣ .
٤ ـ سورة النساء ٣ .

معنى ألاتعولوا ألا تجوروا ، وقيل إن الاكتفاء بواحدة أقرب إلى اليسر والغنى فمعنى أن لا تعدلوا أى ألا تفتقروا وهو من قولهم رجل عائل أى فقير فكثرة النفقات ترهق الرجل . ونقل عن الإمام الشافعى رحمه الله تعالى أنه قال : معناه أقرب ألا تكثر عيالكم فجعل الشافعى كثرة العيال كناية عن الميل والجور . .

وأيا ماكان فإن إباحة التعدد فى الإسلام بشروطه لا تعنى بالضرورة قيام كل رجل بالتعدد ، فالإباحة أوسع من الواقع ويأخذ كل إنسان من المباح بشروطه على قدر استطاعته . وتظهر حكمة التعدد جلية فى أوقات الحروب والأوبئة فقد تكثر النساء وتقل الرجال فيكون التعدد حلا لمشكلات نفسية وأخلاقية كثيرة . . فأحيانا تكون المرأة مريضة عاقرا ومن الخير لها أن تظل فى عصمة الرجل مكرمة مع زوجة أخرى تشاركها الحياة بلا حقد أو حسد أو ضغينة .

إن تعدد الزوجات باسم الله وفى إطار التكريم الشرعى خير من تعدد الخليلات وخير من التسول الجنسى ، وخير من الشذوذ والاعتداء على المحارم والحرمات كما هو فى أمريكا وأوربا . ولا ننسى أن الزوجة الثانية هى امرأة تسعى لإعفاف نفسها وليست من جنس آخر أو كوكب آخر .





ميراث المرأة

الوارثون والوارثات :

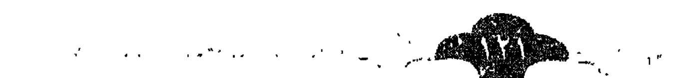
الوارثون من الرجال عشرة هم (الابن ، وابن الابن وإن نزل ، والأب ، والجد أبو الأب وإن علا ، والأخ سواء كان شقيقا أو لأب أو لأم ، وابن الأخ الشقيق أو ابن الأخ لأب ، والعم الشقيق أو لأب ، وابن العم ، والزوج ، والمعتق) .

والوارثات من النساء سبع هن (البنت ، وبنت الابن ، والأم ، والجدة ، والأخت سواء كانت شقيقة أو لأب أو لأم ، والزوجة ، والمعتقة) . . فهؤلاء يرثون فى حال ويحجبون فى حال أخرى حجب نقصان أو حجب إسقاط .

ومتى اجتمع الرجال كلهم لم يرث منهم إلا ثلاثة وهم : الابن ، والأب ، والزوج . فللزوج الربع وللأب السدس والباقى للابن . ومتى اجتمع النساء كلهن لم يرث منهن إلا خمس وهن (البنت ، وبنت الابن ، والأم ، والزوجة ، والأخت الشقيقة) للبنت النصف ، ولبنت الابن السدس ، وللأم السدس وللزوجة الثمن وللأخت الشقيقة الباقى ، ولو اجتمع كل الذكور والنساء ومات أحد الزوجين ورث خمسة وهم (الأب ، والأم ، والزوج ، أو الزوجة ، والابن والبنت) فللأب السدس وللأم السدس ، وللزوج الربع وإن كانت الزوجة هى الموجودة فلها الثمن ، وللابن والبنت باقى التركة للذكر مثل حظ الأنثيين .

وحكمة قوله تعالى : ﴿ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ ﴾[1] أن الرجل وحده المسئول عن نفقات الأسرة ، ولا تكلف المرأة شيئا من تلك النفقات إلا أن تتطوع بها . قال الله تعالى : ﴿ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِن كُنَّ أُوْلاتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَىٰ. لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ

١ ـ سورة النساء ـ ١١ .



يُسْرًا ﴾[1] ، كذلك فإن الرجل فى الإسلام مطالب بتقديم صداق للمرأة يعبر عن حبه لها ورغبته فى الزواج منها ولا تقدم المرأة شيئا . قال الله تعالى : ﴿ وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا ﴾[2] .

لهذا كان من الإنصاف والعدل أن يكون للرجل فى الميراث ضعف ما للمرأة وإلا فسيصبح الرجل مظلوما ، فما نقص من ميراث المرأة يرد إليها فى المهر والنفقة ، ثم إنه ليس كل امرأة ترث نصف ما يرثه الرجل ، بل هناك صور من الميراث يتساوى الرجل والمرأة مثل الأب والأم إذا كان للميت ولد ، قال الله تعالى : ﴿ وَلأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ ﴾[3] ، وأحيانا تأخذ المرأة أكثر مما يأخذ الرجل ، فالبنت تأخذ نصف التركة وحدها والبنتان تأخذان الثلثين إذا لم يكن للميت ولد ذكر . وفى هذه الصورة يأخذ الرجل وهو أبو الميت السدس فقط ، قال تعالى : ﴿ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ ﴾[4] فالميراث فى الإسلام مبنى على الحكمة والعدل المطلق .

ميراث المطلقة :

المطلقة طلاقا رجعيا ومات زوجها وهى ما زالت فى العدة تلحق بالزوجة التى فى العصمة فترث زوجها المتوفى ولها الثمن إن كان له ولد أو الربع إن لم يكن له ولد ، وهو يرثها أيضا فى هذه الحال لو ماتت أثناء العدة .

أما المطلقة التى انتهت عدتها وطلقها زوجها فى حال صحته ثم مات فلا توارث بينهما بإجماع علماء الشريعة فإن عقد الزوجية قد انتهى ولا علاقة تربط بينها . فإن كانت هذه المرأة قد طلقت فى مرض الموت فإن الرجل لا يرثها لو ماتت قبله أما لو مات هو قبلها فقد اختلف العلماء فى هذه الصورة فذهب الشافعى إلى أن المطلقة طلاقا بائنا لا ترث من مطلقها سواء طلقها فى صحته أو فى مرضه ، وقال الأحناف إنها ترثه ما لم تنقض عدتها وقال الحنابلة إنها ترثه ولو انقضت عدتها ما لم تتزوج غيره ، ومذهب المالكية أنها ترثه ولو انقضت عدتها وتزوجت غيره معاملة له بنقيض قصده لاحتمال أنه طلقها فى مرض موته حتى لا ترثه . .

---

١ ـ سورة الطلاق ـ ٦ : ٧ .
٢ ـ سورة النساء ـ ٤ .
٣ ـ سورة النساء ـ ١١ .
٤ ـ سورة النساء ـ ١١ .

الرياضة للبنات :

الرياضة البدنية لها جانبان ، جانب يصل بالإنسان إلى كمال الأجسام وفتوة العضلات ، وقوة البنية ، وهذا بالرجال والشباب أليق . وجانب يحفظ للإنسان بدنه سليما معافى ، وهذا عام للرجال والنساء بشرط ألا يلهى عن ذكر الله والصلاة ، وبشرط ألا يقع الممارس لهذه الرياضة فى حرمة كأن يكشف عورة أو يثير فتنة . . والنساء - على وجه العموم - محظور عليهن ممارسة الرياضة البدنية أمام الأجانب ، فإن حركة المرأة الرياضية مهما كانت ملتزمة بالزى الإسلامى لا تليق أمام تجمعات الرجال . فإذا أضيف إلى ذلك عرى شبه كامل لبدن المرأة فهذا خزى وعار لا يليق بالمسلمة ، ولا يجوز تشجيعه والمساعدة عليه أو الإشراف ، وذلك كالجمباز والباليه وغير ذلك مما يندى له الجبين الحر وتبرأ منه المرأة الشريفة .

ولعل فى قوله : ﴿ وَلاَ يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ﴾[1] ما يوضح المعنى ، فإن المفسرين القدماء قالوا إن الآية تنهى عن مشية المرأة بطريقة تظهر ما خفى من زينتها كالخلخال فى رجلها فإنه لا يظهر لأن النساء كن يلبسن ثيابا سابغة ، فتتعمد بعض النساء مشية خاصة تجعل الخلخال يظهر أو يسمع صوته كما يدخل فى معنى الآية الكريمة النهى عن التعطر والتطيب عند خروج المرأة من بيتها فيشم الرجال طيبها ، وفى حديث رواه الترمذى قال رسول الله - ﷺ - : «**كل عين زانية والمرأة إذا استعطرت فمرت المجلس فهى كذا وكذا**» .

واليوم تمتد الآية الكريمة لتشمل الرقص بأنواعه كله ، فهو قائم على ضربة الرجل وحركتها بطريقة معينة تثير الغرائز وتذهب بحياء المرأة وتئد شرفها . ونحن نناشد وزارة التعليم أن تكون للطالبات والتلميذات مدرسات للتربية الرياضية ولاتسمح للمدرسين بتدريب الطالبات فى المدارس حتى لا نقع فى محظور أو فى أمر لا تحمد عقباه شرعا .

---

١ - سورة النور - ٣١ .

الزواج بغير المسلمين :

وهذا الموضوع ينقسم إلى عدة جوانب نوضحها فيما يلى :

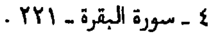
اولا : زواج المسلم أو المسلمة من المشركين والملحدين :

المشرك هو من اعتقد لله ندا ، أو آمن أن للعالم إلهين فأكثر ، أو عبد الأصنام والأوثان وغير ذلك مما تأباه العقول الراشدة وتنفر منه الفطر النقية . . قال الله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴾[1] ، وقال جل شأنه : ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾[2] .

والملحد هو من أنكر الألوهية وعالم الغيبيات وأمور الشرائع والأديان وقال كما حكى القرآن ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾[3] .

هؤلاء المشركون والملحدون لا يجوز شرعا مناكحتهم رجالا أو نساء ، فلا ينعقد زواج مسلم من مشركة أو ملحدة . . قال جل شأنه ﴿ وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ﴾[4] ، وعلل الله سبحانه ذلك النهى بقوله : ﴿ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ ﴾[5] فمعاشرة هؤلاء ومخالطتهم تبعث على التحلل من القيم والاستهتار بالفضائل فهم قد دنسوا إنسانيتهم وضيعوا معالم الحق والخير فيها . . ولكن الله يدعو الناس الى الصراط المستقيم وقيم الحياة المثلى ، ويرشدهم إلى طرائق السعادة ومعالم المجتمع الفاضل .

وفى سورة الممتحنة قال الله تعالى بالنسبة لزواج المسلمة من المشرك : ﴿ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ﴾[6] ، فهذه الآية حرمت المسلمات على المشركين وقد كان ذلك جائزا فى صدر الإسلام



١ ـ سورة الزمر ـ ١٧ .
٢ ـ سورة المؤمنون ـ ٩١ .
٣ ـ سورة الجاثية ـ ٢٤ .
٤ ـ سورة البقرة ـ ٢٢١ .
٥ ـ سورة البقرة ـ ٢٢١ .
٦ ـ سورة الممتحنة ـ ١٠ .



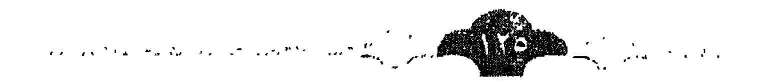
حيث لم يكن المسلمين سلطان ولا دولة . وقد تزوج بعض بنات سيدنا محمد - ﷺ - قبل البعثة من المشركين فتزوجت زينب كبراهن من أبى العاص بن الربيع بن عبد شمس وكانت أمه أختا لخديجة . وتزوجت رقية وأم كلثوم عتبة وعتيبة ابنى عمه أبى لهب ، فلما بعث سيدنا محمد - ﷺ - بالرسالة الخاتمة أسلمت بناته ولم يسلم أزواجهن وبقيت السيدة زينب مع زوجها ، وأمر أبو لهب ولديه بتسريح رقية وأم كلثوم اللتين تزوجتا عثمان بن عفان فيما بعد الواحدة تلو الأخرى . . وتحكى كتب السير أن أبا العاص بن الربيع وقع فى الأسر يوم بدر فبعثت امرأته زينب فى فدائه بقلادة لها كانت أهدتها إليها أمها السيدة خديجة - رضى الله عنها - ، فلما رآها رسول الله - ﷺ - رق لها رقة شديدة وقال للمسلمين : «**إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها مالها فافعلوا**» . فأطلقوا سراحه بشرط أن يترك السيدة زينب تهاجر من مكة إلى المدينة لتلحق بأبيها ، فوفى أبو العاص بذلك وبعثها مع زيد بن حارثة فأقامت بالمدينة من بعد غزوة بدر وكانت سنة اثنتين من الهجرة إلى أن أسلم زوجها أبو العاص بن الربيع سنة ثمان من الهجرة فردها الرسول الكريم إليه . .

وبالنسبة لزواج المسلم من المشركات قال الله تعالى فى نفس السورة ﴿ **وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ** ﴾[1] . وقد نزلت هذه الآية بعد صلح الحديبية تحسم هذا الأمر الذى كان موجودا بين المسلمين والمشركين ، وتحدد معالم الحياة الزوجية فى الإسلام حتى تصان عن العبث وضياع القيم . . وتحكى كتب السير أيضا أنه بعد هذه الآية طلق عمر بن الخطاب فاطمة بنت أمية بن المغيرة ، وأم كلثوم بنت عمرو الخزاعية وكانتا مشركتين ، كما طلق طلحة بن عبيد الله أروى بنت ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب . .

ثانيا : زواج المسلم من نساء أهل الكتاب :

أهل الكتاب هم اليهود والنصارى وقد أجاز الإسلام هذا الزواج ، قال تعالى : ﴿ **الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا**

١ - سورة الممتحنة - ١٠ .



آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذي أخدان ﴾[1] والشرط الوحيد الذى اشترطه الإسلام هو أن تكون النساء من أهل الكتاب محصنات ، والمراد أن تكون المرأة عفيفة لا تعرف الفاحشة والفجور ولا تجعل نفسها متعة لشياطين الإنس ولا تخون فراش الزوجية ، والزنا نوعان : السفاح وهو الزنا على سبيل الإعلان . واتخاذ الأخدان وهو الزنا فى السر ، وقد حرمهما الله تعالى وأباح التمتع بالمرأة على جهة الإحصان وهو التزوج . .

فلو كانت تقاليد بيئة المرأة من أهل الكتاب أو عادات أسرتها التى اكتسبتها لا تعرف معنى العفاف أو الشرف فلا يجوز اقتران المسلم بها لأنها بذلك تكون قد جمعت الخستين ضلال العقيدة ودنس العرض ، والمسلم يأبى أن تنشأ ذريته فى ذلك العبث الماجن . . وإن إجازة الإسلام للزواج من بين نساء أهل الكتاب إنما هو لقرب صلتها بالتدين ومعرفتها بقيم الأديان واستعدادها للتعرف على الإسلام دين الإنسانية الخاتم فضلا عن كونها فى عصمة الرجل المسلم صاحب القوامة على الأسرة .

هذا وقد تزوج جماعة من الصحابة ـ رضى الله عنهم ـ من نساء أهل الكتاب إلا أن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ كره ذلك لئلا يزهد الناس فى المؤمنات .

وكان ابن عمر يرفض هذا الزواج ويقول – كما فى البخارى– لا أعلم شركا أعظم من أن تقول إن ربها عيسى وقد قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ﴾[2]

ولكن الجمهور على جواز ذلك لأن القرآن المجيد قد أباح ذلك فى آية سورة المائدة وهى من آخر ما نزل من القرآن فتكون مخصصة للآية التى فى سورة البقرة .

ثالثا : زواج المسلمة من رجال أهل الكتاب :

هذا الزواج باطل ولا ينعقد لأنها لا تأمن على دينها ، فهو لا يعترف به بخلاف الكتابية تحت المسلم فإنه يعترف بصحته فى أصله الأول وأنها تنتمى إلى نبى يؤمن برسالته . . كذلك فإن قوامه الأسرة إنما هى للرجل ولا يليق بالمسلمة أن تخضع لغير دينها فإن الإسلام هو الأعلى .

---

١ ـ سورة المائدة ـ ٥ .

٢ ـ سورة البقرة ـ ٢٢١ .



فتاوى ساخنة

فى

الاستنساخ وتأجير الأرحام

والحمل من الزوج المتوفى

الاستنساخ أو تغيير خلق الله

أعلن إبليس اللعين منذ اللحظة الأولى لتمرده على الأمر الإلهى بالسجود لآدم عليه السلام أنه سيسعى إلى تغيير خلق الله وقال :

﴿ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ ﴾[١] .

وقد فسر العلماء هذا التهديد الشيطانى بأحد أمرين :

١ - المراد تغيير الدين الصحيح ، فالشيطان يسعى جاهدا إلى الانحراف بالإنسان عن الدين الحق ، ويرمى به فى متاهات الضلال العقدى ، كما جاء فى الحديث المتفق عليه : «**كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه . . .**» .

وكما فى الحديث القدسى : «**قال الله عز وجل : إنى خلقت عبادى حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم**» .

ولهذا جاء الأمر الإلهى بالتمسك بالدين الصحيح والإقامة عليه وعدم التحول عنه ، فقال تعالى : ﴿ **فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ** ﴾[٢] .

وقوله : ﴿ **لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ** ﴾ خبر بمعنى النهى ، أى : لا تبدلوا دين الله .

٢ - المراد بتغيير خلق الله : النهى عن الوشم والوصل والنمص وتفليج الأسنان ، كما فى الحديث الصحيح : «**لعن الله الواشمات والمستوشمات ، والنامصات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله**» .

وفى رواية : «**لعن الله الواصلة والمستوصلة**» .

وإنما كان الوشم مجلبة للعنة الله ؛ لأنه استبقاء لنجاسة الدم على ظاهر الجلد .

---

١ - سورة النساء - ١١٩ .　　٢ - سورة الروم - ٣٠ .



وكان النمص والوصل والتفلج[1] كذلك لما فيه من الخداع للخاطب والإيقاع به حين يظن أن المرأة هكذا خلقت ، فإذا بها تفتعل ذلك لتخدع به الرجال ، ففى الحديث المتفق عليه ، عن أسماء ـ رضى الله عنها ـ **أن امرأة سألت النبى ـ ﷺ ـ فقالت : يارسول الله ، إن ابنتى أصابتها الحصبة فتمرق[2] شعرها ، وإنى زوجتها أفأصل فيه؟ فقال : «لعن الله الواصلة والموصولة»** .

ونحن نرى أن إزالة الشعر فى حد ذاته ليس تغييرا لخلق الله ، فالمسلم يحلق رأسه كله أو يقصر شعره فى الحج ، وليس ذلك تغييراً لخلق الله .

ومن الفطرة التى نبهنا إليها رسول الله ـ ﷺ ـ : **«حلق العانة ونتف الإبط ، وتقليم الأظفار»** ، ولا يعد ذلك تغييرًا لخلق الله .

واليوم مع التقدم العلمى الرهيب ، أصبح مفهوم تغيير خلق الله أكثر وضوحا فبنك الأجنة ، والأرحام المؤجرة ، وهندسة الوراثة ، والاستنساخ صورة معاصرة لتغيير خلق الله ، والتدخل الشيطانى فى مسيرة الإنسان ، وتدمير كل معانى القيم الأخلاقية التى قامت عليها البشرية ، من الأسرة والأبوة والأمومة والرحم .

فمع بنك الأجنة يمكن للمرأة أن تحمل من رجل مات وأصبح عظاما نخرة ، ومع الأرحام المؤجرة يمكن للمرأة أن تلد غير بنيها ، وأن تحمل غير جنينها . ومع هندسة الوراثة[3] تتدخل يد الإنسان لتصنيع البشر وفق مقاييس ومواصفات معينة .

ومع الاستنساخ[4] يمكن التوالد بغير لقاء الرجل بالمرأة ، ومن غير معاشرة جنسية ، وبلا حاجة إلى منى يمنى .

وهكذا يكون الشيطان قد وصل إلى أعز أمانيه وأغلى أهدافه ، وهو تدمير الإنسان ، والقضاء على مقومات حياته الأساسية من الأسرة والزوجية والأبوة والأمومة والرحم .

إن هذه الصور العلمية الرهيبة لنا عليها ملاحظات :

---

١ - النمص : إزالة شعر الحاجب ، والوصل : زيادة شعر الرأس طولا أو كثرة بشعر غيره ، والتفلج : برد الأسنان وتحسينها .

٢ - تمرق : سقط .

٣- الهندسة الوراثية : هى نقل جين من كائن إلى كائن آخر ليكسبه صفة جديدة لم تكن به من قبل .

٤ - الاستنساخ : نزع النواة من خلية أى كائن ووضعها فى بويضة منزوعة النواة فتتكون بذلك الخلية الجنينية الأولى من غير تكاثر جنسى ومن غير التقاء الحيوان المنوى بالبويضة ، ثم تنقسم الخلية عدة انقسامات حتى يتكون الجنين ، ثم يتطور فى مراحل نموه المختلفة حتى تحين لحظة الميلاد . فالخلية الحية بها العديد من النواة التى تحمل البرنامج الوراثى الكامل للكائن الحى .

الملاحظة الأولى:

إن هذه الصور ليست تحديا لقدرة الله تعالى ، ولا خروجا على سلطانه وقهره ، ولا خلقا من العدم ، فإن النواة أو الخلية أو المنى أو البويضة كلها من صنع الله الذى أتقن كل شىء . وإن النواة التى تحمل البرنامج الوراثى الكامل للكائن الحى لم يخلقها بشر ، ولا يدرى العلماء كيف صنعت .

وإن الجينات بما تحمله من صفات لم يصنعها غير الله .

وإن البويضة التى نزعوا نواتها هى من إبداع الله وحده .

وصدق الله حيث يقول : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ (٧٣) مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾[١] .

فالإنسان إنما يستخدم سنة الله فى خلقه ويكتشف نواميسه الكونية ، ويوفر جوا أو مناخا ملائما لجريان السنة الإلهية ، والله وحده هو يتولى التخليق والتطوير للنواة أو الجين أو البويضة أو الخلية .

ولا يدعى بشر أنه يفعل شيئا بعد أن يغلق أنبوبة الاختبار ، أو بعد أن يضع البويضة فى الرحم .

ويبقى التحدى القرآنى قائما :

﴿ أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ (٥٨) أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴾[٢] .

ولقد جرت سنة الله فى خلق الإنسان على ضروب أربعة هى :

* خلق بلا أب ولا أم : مثل آدم .
* خلق بأب دون أم : مثل حواء .
* خلق بأم دون أب : مثل عيسى ابن مريم .
* خلق بأب وأم معا : مثل باقى البشر .

وما من مظهر من مظاهر القدرة الإلهية إلا ويمكن أن يكون للإنسان فيه نصيب ، بقدر ما يتلاءم مع الطاقة البشرية ولعل لفظ : (الخالقين) بصيغة الجمع يؤكد هذا المعنى فى قوله تعالى : ﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾[٣] .

---

١ ـ سورة الحج ـ ٧٣ : ٧٤ .   ٢ ـ سورة الواقعة ـ ٥٨ : ٥٩ .   ٣ ـ سورة المؤمنون ـ ١٤ .



وإذا كنا نحن البشر قد صنعنا الطائرات الأسرع من الطائرات ، والصواريخ عابرة القارات ، وسفن الفضاء ؛ فإن ذلك لا يتعارض مع معجزات الأنبياء كتسخير الريح لسليمان ـ عليه السلام ـ والإسراء لسيدنا محمد ـ ﷺ ـ ، فإن المعجزات أفعال إلهية خارقة للأسباب ، وما يفعله البشر قائم على أسباب وتحكمه نواميس ، وله نظم يعلمها من يعلمها ويجهلها من يجهلها .

الملاحظة الثانية :

إن العلم سلاح ذو حدين ، والعاقل هو من يحسن استخدام الحد النافع .

وكم عانت البشرية وضحت وخسرت فى سبيل إنتاج وتخزين السلاح النووى ، ثم هى اليوم تدمره بنفسها ، ويقوم مخترعوه بتفتيته ، والتخلص منه .

ولو كان هناك عقل شريف ، وتفكير سوى ؛ لانتفعت البشرية بالذرة والطاقة النووية فى الأغراض السليمة وكفى .

إن ثمن صاروخ واحد عابر للقارات يمكننا أن :

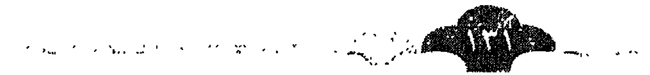
* نزرع به مائتى مليون شجرة .
* ونروى به اثنين ونصف مليون فدان .
* ونطعم خمسين مليون طفل جائع .
* ونشترى مليون طن من الأسمدة .
* ونبنى خمسة وستين ألف مركز للرعاية الصحية .
* ونبنى أربعين وثلاثمائة ألف مدرسة[1] .

إن موضوع الهندسة الوراثية والاستنساخ ، يصلح لتحسين السلالات فى الأنعام ، وإنتاج سلالات جديدة من النبات ، فتزداد بذلك الطاقة الاقتصادية للبشرية ونتغلب على كثير من مشكلات الفقر والقحط والجدب والتصحر .

أما استخدام هذه البحوث لإنتاج سلالات بشرية فينقل الإنسان إلى مرتبة حيوانات التجارب ، ويسلبه أعز ما يملك من مشاعر وقيم ، ويجعله يعيش معيشة حيوان الغاب بلا أسرة تأويه ، وبلا حب يؤلف بينه ، وبلا رحمة تجمعه بآخرين ، ومن غير نسب ولا ذرية .

---

١ ـ نقلا عن صحيفة الأهرام فى ١٩٨١/١١/١١م على لسان رئيسة وزراء الهند يومئذ «أنديرا غاندى» .



وقد حرص الإسلام منذ اللحظة الأولى على أن يكون العلم باسم الله ، ولخدمة الإنسان فقال الله تعالى : ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ. خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ. اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ. الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ. عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[1] .

وإن الانحرافات التى تحدث باسم العلم فى الجنس البشرى ، لن تختلف كثيرا عن الانحرافات الأخلاقية التى مارسها الإنسان ضد الفطرة ، فإذا كان الطفل قد يأتى إلى الحياة عن طريق الزنا مخالفا المنهج الشرعى فى الزواج ، فلا فرق بين ذلك وبين مجىء الطفل باسم العلم مخالفا السنة السوية فى لقاء الرجل بالمرأة .

فكلاهما عدوان على الفطرة ، وتمرد على الدين ، وإهدار لكرامة الإنسان .

الملاحظة الثالثة :

إن التجارب على الإنسان ليست مأمونة العواقب على قواه العقلية والإدراكية ، فهؤلاء العابثون إنما يقفون عند الجانب المادى من البدن الإنسانى ، وينسون الجانب الروحى فيه .

فالإنسان ليس مجموعة عناصر وتركيبات مادية فقط ، ولكنه قبل ذلك وبعده هو روح من أمر الله ، عبر عنها القرآن المجيد بالخلق الآخر فى قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ. ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ. ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾[2] .

وعبر عنها رسول الله - ﷺ - بنفخ الروح فى قوله : «**إن أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوما نطفة ، ثم يكون مثل ذلك علقة ، ثم يكون مثل ذلك مضغة ، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح**» .

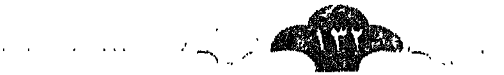
وما زالت الروح سرا غامضا لم يكتشفه أحد .

وإذا كان هؤلاء العابثون قد نجحوا فى استنساخ بعض الأنعام ، فإن هذه الحيوانات لا عقل لها ولا ذكاء ، ولا تعرف دينا وخلقا ، وليست مدنية بطبعها ، ولا تتصور الحياة الاجتماعية .

---

١ - سورة العلق - ١ : ٥ .

٢ - سورة المؤمنون - ١٢ : ١٤ .



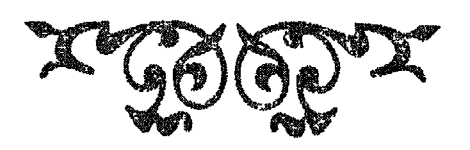
فهل سيكون الإنسان القادم من الهندسة الوراثية أو الاستنساخ بشرا سويا ، له فكر وعقل ، أو سيكون مسخا بشريا يستوى فيه مع القطعان الهائمة والأنعام السائمة؟ !

وإذا كانت المرأة الحامل يخشى عليها وعلى جنينها من تناول الأدوية والعقاقير وإجراء الأشعة ، فكيف يكون مصير الحمل ، وهو فى مراحله كلها مبنى على معاندة الطبيعة ومنافرة الفطرة ، ويخضع كل لحظة لأشعة غير معهودة ، وعقاقير غير مألوفة ، وأساليب ملتوية ؟ !

وفى خبر نشر أخيراً ، أن مستقبل الاستنساخ يواجه خطرا شديدًا بسبب ولادة الأغنام المستنسخة كبيرة الحجم بشكل غير طبيعى ، ووفاة معظمها عند الولادة .

وأقر «إيان ويلمات» رئيس الباحثين فى معهد «روزالين» الإسكتلندى ؛ بأن مشكلة ولادة أغنام عملاقة مستمرة على الرغم من محاولات حلها ، خاصة أن إحدى التجارب الحديثة أنتجت مجموعة من الخراف يزيد وزنها مرتين على المعدل الطبيعى .

الأمر الذى قد يؤدى إلى العودة إلى نقطة البداية لإجراء الأبحاث من جديد[1] !!



---

١ - صحيفة الأهرام بتاريخ ٢٨ / ٧ / ١٩٩٧ م .

رفقا بأعراض المسلمين :



يدور جدل صاخب حول قضية تأجير الأرحام ، وتتعالى الاتهامات بين الفريقين ، ويقع المتلقى المسلم فى حيرة حائرة ، وقد يتلقف الحوار دخلاء يبغون الفتنة ويريدونها عوجا . .

فأحببت أن أضع النقاط على الحروف فى إطار حوار عاقل ، ورغبة أمينة فى الوصول إلى الحق . .

أولاً :

ارتبط النسب فى الإسلام بالوالدين اللذين يجمعهما عقد شرعى ، ويمارسان حقهما فى المعاشرة الزوجية ، حتى تحمل الزوجة جنينها فى رحمها . .

فبغير العقد الشرعى لايعتد بالنسب حتى ولو كان كل من الرجل والمرأة معلومين على وجه اليقين ، فإن ماء الزنا مهدر ، لايترتب عليه حق النسب إلى الآباء ، ولكن ولد الزنا ينسب إلى أمه التى وضعته ويرثها وترثه . .

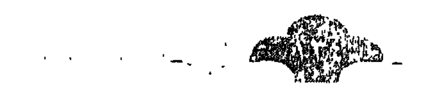
وفى صحيح البخارى بسنده عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ أن النبى ـ ﷺ ـ **«لاعن بين رجل وامرأته فانتفى من ولدها ، ففرق بينهما وألحق الولد بالمرأة»** .

وفى حديث آخر ، قال ابن شهاب : فكانت السنة بعدهما أن يفرق بين المتلاعنين وكانت حاملاً ، وكان ابنها يدعى لأمه ، قال : ثم جرت السنة فى ميراثها أنها ترثه ويرث منها ما فرض الله له .

ولابد من الممارسة الجنسية للزوجين كى يتم النسب ، فبغير هذه الممارسة لا يعتد بماء الرجل ، ولهذا كان من حق الزوج فسخ النكاح من الرتقاء والفتقاء وهما اللتان يعابان بانسداد يمنع المعاشرة الزوجية . .

ومن حق المرأة رفض الزوج العنين والمجبوب . .!!

بل لو ادعى زوج أنه لم يعاشر زوجته أو كان غائباً عنها ووجدها حاملاً فمن حقه شرعاً الملاعنة كى يثبت زناها وينفى وليدها قال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ



وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلاَّ أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ. وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾(١) .

وهناك حقوق شرعية تترتب على الدخول بالمرأة تزيد على الحقوق المترتبة على العقد .

فالمعقود عليها فقط لها نصف المهر عند طلاقها ولا عدة عليها ، أما المدخول بها فيثبت لها المهر كله وعليها عدة شرعية يجب استيفاؤها قبل زواجها بآخر .

ولكى يتم النسب الشرعى لابد من حمل جنينها فى رحمها ، وبغير رحم الزوجة لا يعتد بالنسب . . فحديث القرآن كله قائم على ذلك ، قال الله تعالى : ﴿ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلاثٍ ﴾(٢) .

فالأم هى التى حملت فى بطنها . .

وقال جل شأنه : ﴿ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلاَّ اللاَّئِي وَلَدْنَهُمْ ﴾(٣) .

فهذا أسلوب حصر يحتم أن الأم هى التى ولدت . .

وقال سبحانه : ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ ﴾(٤) ، وقال أيضاً : ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ﴾(٥) .

فالأم هى التى حملت ووضعت وتحملت المشاق . .

وقد قامت أحكام الشريعة فى العدة للمرأة بعد طلاقها أو وفاة زوجها – على أن استبراء الرحم أصل يجب التأكد منه قبل السماح بالزواج للمرأة المطلقة أو المتوفى عنها زوجها .

قال الله تعالى : ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ وَلا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾(٦) .

وقال جل شأنه : ﴿ وَأُوْلاتُ الأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾(٧) .

فإن الرحم خاص بماء الزوج وحده ولا يجوز شرعاً أن تحمل المرأة بغير ماء زوجها . .

* * *

---

١ ـ سورة النور ـ ٦ : ٧ . ٢ ـ سورة الزمر ـ ٦ . ٣ ـ سورة المجادلة ـ ٢ .
٤ ـ سورة لقمان ـ ١٤ . ٥ ـ سورة الأحقاف ـ ١٥ . ٦ ـ سورة البقرة ـ ٢٢٨ .
٧ ـ سورة الطلاق ـ ٤ .



ثانياً: إن مرحلة تلقيح البويضة خارج الرحم لا قيمة لها شرعا ولا يعتد بها فقها ما لم تصل إلى الرحم التى خرجت منها البويضة ، وكل ما يتم من تخصيب فى أنابيب الاختبار مقدمات مهدرة ما لم تصل إلى نتائجها داخل الرحم وقت قيام العلاقة الزوجية الصحيحة ، بل لو خرج طفل من أنبوبة اختبار (وهذا ما لم يحدث حتى الآن) فلا يصح شرعاً أن ينسب إلى والديه ، ويبقى لقيطاً كسائر اللقطاء الذين لا ينسبون إلى أحد من الرجال .

فمرحلة التلقيح فى الأنابيب هى ماء مهين ، والحياة الموجودة فى البويضة الملقحة هى امتداد لحياة الحيوان المنوى نفسه لا يترتب عليها أى حق شرعى . .

وقد ثبت فى صحيح الحديث أن الروح تنفخ فى الجنين بعد أربعة أشهر ، قال عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - : حدثنا رسول الله - ﷺ - وهو الصادق المصدوق : إن أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوماً نطفة ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات ، يكتب رزقه وأجله وعمله وشقى أو سعيد .

وقد اختلف الفقهاء فى حكم الإجهاض قبل هذا التاريخ ، فأجازه فريق منهم لأنه لا يعد بشراً سوياً ولا حرمة له ، ولا تثبت دية على من تسبب فى إسقاط قطعة لحم لم تتصور . .

فإذا كان هذا من التلقيح المستقر فى الرحم فهل يعقل أن يكون للتلقيح خارج الرحم قيمة شرعية أثناء هذا الوجود الخارجى؟!

* * *

ثالثا: ما يقال من أن عملية تأجير الأرحام لا تعد زنا ، هو من باب الخداع والتمويه ، فنحن لا نتكلم عن الزنا وأحكامه ، وإنما نتكلم عن النسب وحقوقه . .

إن الزنا لا يترتب عليه نسب ، فلو زنت امرأة وحملت سفاحاً فإن حملها لا ينسب إلى الزانى مطلقاً رغم أنه معلوم بيقين أن الولد تخلق من ماء الزانى . .

ولهذا نهى الله تعالى أشد النهى عن الزنا سواء كان للمتعة الحرام أو لنسب وليد إلى غير أبيه الشرعى . .

قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا

وَلا يَسْرِقْنَ وَلا يَزْنِينَ وَلا يَقْتُلْنَ أَوْلادَهُنَّ وَلا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(1) .

فقوله «ولا يزنين» نهى عن الزنا لمجرد المتعة الحرام ، وقوله ﴿ وَلا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ ﴾ نهى عن إلحاق أولاد ليسوا من الزوج ، فإن المرأة إذا حملت بغير ماء زوجها فقد حرم الله عليها الجنة لأنها أدخلت على فراش زوجها أجنبيا عنه يرثه من غير حق ويطلع على عورات المحارم بغير سند شرعى . .

وفى صحيح البخارى أن النبى - ﷺ - قال : **«من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام»** .

وفى سنن أبى داود أن النبى - ﷺ - قال : **«أيما امرأة أدخلت على قوم من ليس منهم فليست من الله فى شىء ولن يدخلها الله الجنة وأيما رجل جحد ولده وهو ينظر إليه احتجب الله منه وفضحه على رءوس الأولين والآخرين»** .

* * *

رابعاً: إن دعوى أن تأجير الأرحام يقاس على تأجير الرضاع – دعوى مرفوضة لأنه قياس خاطئ فلا قياس فى مقابلة النص ، ولأنه قياس مع الفارق فإن الرضاع ليس فيه خلط للأنساب وليس فيه شغل للرحم بماء أجنبى ، وليس فيه تعطيل لفراش الزوجية . .

فالرضيع معلوم نسبه ، ومحدد شخصيته ، وأجنبى عن الأسرة ، فإذا ما رضع من امرأة بضوابط معينة رتب الشارع أحكاماً على هذا الرضاع وهى قوله تعالى فى المحرمات من النساء ﴿ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللاَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ ﴾(2) .

وقوله - ﷺ - فى صحيح الحديث . . **«يحرم من الرضاعة ما يحرم من الولادة»** ، وفى رواية : **«إن الرضاعة تحرم ما تحرم الولادة»** . وانظر معى وتأمل هذه الكلمة النبوية . . ما يحرم من الولادة . فالولادة هى الأصل فى النسب ولا نسب بدون الولادة . .

فإذا جاء أحد اليوم ليفتح باب تأجير الأرحام فما هو الحكم الذى سيخترعه مترتبا على عملية الميلاد الجديد؟!

وما هى الآثار الشرعية التى سيجود بها على التشريع الإسلامى فى وحيه الجديد أو إلهامه الرشيد أو اجتهاده غير المسبوق؟!

---

١ - سورة الممتحنة - ١٢ .

٢ - النساء - ٢٣ .

خامساً: نتساءل : أى رحم يريدون تأجيرها؟!

هل يقبل الطبع السليم أن تقوم فتاة عذراء بتأجير رحمها لتحمل وتلد ، ثم نقول بعد ذلك إنها ما زالت بكراً؟!

هل يقبل الطبع السليم أن تقوم أرملة أو مطلقة بتأجير رحمها ، وتغدو وتروح بين الناس حاملاً بلا زوج؟!

هل يقبل الطبع السليم أن تقوم زوجة فى عصمة رجل بتأجير رحمها لتجمع على فراش الزوجية فى رحمها بين ماء زوجها وماء رجل أجنبى عنها؟!

وهل يثبت الولد حينئذ للفراش تصديقاً بحكم رسول الله - ﷺ - **«الولد للفراش وللعاهر الحجر»** أو يثبت النسب إلى الرجل الأجنبى ونضرب صفحاً عن حكم الله عز وجل؟! ألا يعلم هؤلاء أن رحم المرأة مطلقاً حرام على ماء الرجل بغير عقد شرعى؟! ألا يعلم هؤلاء أن حمل الأرحام المؤجرة هو من البهتان الذى حرمه القرآن فى قوله تعالى : ﴿ **وَلا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ** ﴾[1] .

وأى فتنة أعظم من هذه الفتنة ، وأى جرم أكبر من هذه الجريمة ، وأى قبح أشد من هذه الجرأة على الأعراض؟!

لقد اقترح بعضهم – سامحه الله – أن يكون القانون وسيلة لتنظيم عملية تأجير الأرحام وأن يكون هناك اتفاق وعقد وتوثيق فى الشهر العقارى . .

بالله عليكم هل العبث بالأعراض يصل إلى هذه المهزلة المأساوية؟

وإذا كنا نعانى اليوم من الزواج العرفى وتزوير الوثائق ودعاوى الخلع والطلاق والهجر ، وتتكاثر هذه القضايا أمام المحاكم فهل نضيف جرحاً آخر أعمق وأنكى فى جسم الأسرة المسلمة؟!

فلنتذكر قول الله تعالى :

﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ** ﴾[2] .

إن مسألة تأجير الأرحام قد تسوغ لدى مجتمعات لا تعرف شرف العرض ، ولا تحرص على صحة النسب ولا تؤمن بقيم الأسرة النبيلة .

---

١ ـ سورة الممتحنة ـ ١٢ .

٢ ـ سورة النور ـ ١٩ . .



وإن مؤتمرات عالمية ترعاها الأمم المتحدة تعمل جاهدة لتغيير مفهوم الأسرة لتشمل علاقة الرجل بالرجل ، وعلاقة المرأة بالمرأة ، وعلاقة الإنسان بالحيوان . . فهل من الحكمة أن نواكب هذه التطورات العالمية ونخسر ديننا وشرفنا؟!

سادساً: إن الله تعالى قسم الأرزاق ولم ينس أحداً ، والرزق قد يكون مالاً أو ولداً أو منصباً أو جاهاً أو صحة . . إلخ ، ومسألة الإنجاب فى النهاية متروكة للقدر الإلهى الأعلى ، قال تعالى : ﴿ **لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ. أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ** ﴾[1] .

ومن كان مريضاً أو به عائق من الحمل فليبحث بالوسائل المشروعة عن الإنجاب فإن الله تعالى لم ينزل داء إلا وأنزل له دواء . . لكن الغاية لا تبرر الوسيلة ، فالغاية الشريفة لها وسيلة شريفة ، ولا يعقل أن نبحث عن الولد بأى ثمن كان وبأية وسيلة نراها حتى ولو كانت مخلة بالآداب . .

فدعوى أن الضرورات هنا تبيح المحظورات - دعوى فى غير محلها ، تلقى بلا ضوابط شرعية ، فليست هنا ضرورة ، فيمكن للزوجين أن يتفرقا ويرزقهما الله الذرية بعد التفرق ، ويمكن للرجل أن يتزوج على امرأته كى ينجب من الثانية إذا تعذر الإنجاب من الأولى ، ويمكن للزوجين أن يمارسا العلاج المشروع حتى يأذن الله فقد جعل الله لكل شىء قدراً ، ويمكن للزوجين بعد استنفاد كافة الوسائل المشروعة أن يطمئنا إلى عدالة الله وحكمته ويعيشا حياتهما بلا إنجاب ، فقد يكون الأولاد أعداء لآبائهم وفتنة لأهليهم كما قال الله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ** ﴾[2] .

وقال جل شأنه : ﴿ **فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا** ﴾[3] .

ثم نقول : أى ضرورة يريدون ؟! هل هى مجرد عقم أحد الزوجين أو يمكن أن تتسع لتشمل جمال المرأة وشغلها فيسعى الرجل إلى إحضار خادمة للعمل المنزلى وأخرى للحمل والولادة؟!

ألا ساء ما يحكمون . .!!

---

١ - سورة الشورى - ٤٩ : ٥٠ .　　٢ - سورة التغابن - ١٤ .　　٣ - سورة النساء - ١٩ .

سابعاً: إذا كان بعض الأمهات اليوم يرفضن إرضاع أطفالهن لضيق الوقت أو حرصاً على جمالهن ، ويلجأن إلى الألبان الصناعية ، الأمر الذى أورث الجيل الجديد أمراضاً نفسية وعضوية ، وقطع أواصر الأسرة ، فكيف يكون الحال عندما تتخلى الزوجة عن الحمل والولادة والإرضاع؟!

ماذا بقى لها من مؤهلات الأمومة؟ وما علاقتها بالوليد الجديد حيث فقدت كل ألوان الارتباط به وتجاوزت كل الوسائل الفطرية التى هيأها الله تعالى للأمومة؟!

إن الأمومة تمر بمراحل عبَّرت عنها الآية الكريمة :

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَت دَّعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾(1) .

إن الأمومة الشرعية هى التى تنشأ عن زواج شرعى وتمر بالحمل وأثقاله ، وتخرج طفلاً للحياة . .

وإن القول بتأجير الأرحام مأساة دينية وأخلاقية واجتماعية . .

* * *

ثامناً: يبدو أن الأمر خرج عن كونه جدلاً علمياً إلى محاولة للتبرير والتمرير مهما كان الثمن ، لقد بدأت الفتوى المزعومة مرتبطة بالقانون والتوثيق فى الشهر العقارى منعا للنزاع ، وانتهت بأن أعلن صاحبها أن الأم الأصيلة والأم الحاضنة يجب أن تكونا زوجتين لرجل واحد . .!!

وبعيدا عن المحظورات الشرعية التى أشرنا إليها من قبل ، فبالله عليك أى امرأة تقبل أن تتحمل الهم والغم والكرب العظيم من أجل ضرتها التى فسدت أجهزتها التناسلية ولم تعد تصلح للحمل والإنجاب؟! هل هذه المرأة تخلت عن مشاعرها الإنسانية فأصبحت من الحور العين بلا غيرة ، أو باتت من أصحاب الأمراض العقلية بلا وعى؟!

إن مكائد الضرائر على مدى التاريخ الإنسانى مشهورة ومسجلة فى الكتب المقدسة ، ولم تسلم منها امرأة نبى ولا امرأة رجل الشارع . . ويكفى أن نقرأ صدر سورة التحريم ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(2) ، ويكفى أن نستعيد قصة سارة وهاجر مع إبراهيم عليه السلام . .

فيا صاحب الفتوى : إذا كانت إحدى الزوجتين لا تلد وضاقت عليها السبل الطبية فلترض بما قسم الله لها ، ولن تساعدها ضرتها الولود ، ويكفى لهذه الضرة أن تحمل لنفسها ، فالطاقة الإنسانية محدودة ، والرحم لا يستقر فيه شرعا إلا ما نشأ منه . .

---

١ ـ سورة الأعراف ـ ١٨٩ .

٢ ـ سورة التحريم ـ ١ .

حكم الإنجاب من الزوج المتوفى ؟!

نشرت صحيفة «صوت الأزهر» بتاريخ ٢٠٠١/٣/٩م سؤالاً موجهاً إلى دار الإفتاء المصرية ، هذا نصه :

زوجي توفى فى حادث مفاجئ ، وقبل وفاته قمنا بإجراء عملية التلقيح الصناعى ، وتم تخصيب البويضة بالحيوان المنوى لزوجى فى حياته ، وأرغب فى زرع البويضة المجمدة فى أحد مراكز أطفال الأنابيب لحاجتى إلى ولد ولرغبتى فى تخليد ذكرى زوجى ، مع العلم أن والد زوجى ووالدته موافقان على ذلك ولا خلاف على ميراث الزوج المتوفى وتركته فما هو الحكم الشرعى فى ذلك؟

وقد أجاب فضيلة الدكتور نصر فريد واصل مفتى الجمهورية بصحة الإنجاب من الزوج بشرط موافقة الورثة ورضا الزوج قبل وفاته على عملية التلقيح الصناعى وللمصلحة فى تخليد ذكرى المتوفى وللبعد عن شبهة الخلط بين الأنساب . .

ومع تقديرنا لفضيلة المفتى واحترامنا لاجتهاده فإن لنا تعليقاً على هذه الفتوى وتعقيباً . .

أولاً : إن مرحلة البويضة المخصبة خارج الرحم لا قيمة لها شرعاً ولا يترتب عليها فى حد ذاتها حكم شرعى يتعلق بالنسب ، فهى تعد مرحلة من ماء مهين . .

بل لو تم الجنين بهذه الصورة خارج الرحم وخرج طفلاً فلا يجوز شرعاً نسبته إلى صاحب الحيوان المنوى ، لأن الأصل فى النسب هو التواجد فى رحم امرأة لها حق الزوجية .

قال تعالى : ﴿ وَلا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾[1] .

---

١ ـ سورة البقرة ـ ٢٢٨ .

ثانياً: إن القياس على التلقيح الصناعى قياس مع الفارق ، فإن التلقيح الصناعى لابد أن تنقل فيه البويضة الملقحة إلى رحم الزوجة ، وبدون هذا النقل لا قيمة لهذا التلقيح .

وما ذكره فضيلة المفتى من نقول من كتاب «البحر الرائق» فى فقه الأحناف ، وكتاب «تحفة المحتاج بشرح المنهاج» . فى فقه الشافعية كقوله . . «**إذا عالج الرجل جاريته فيما دون الفرج فأنزل فأخذت الجارية ماءه فى شىء فاستدخلته فرجها فى حدثان ذلك – أى لحظة الإنزال – فعلقت الجارية وولدت ، فالولد ولده والجارية أم ولد**» .

هذا النقل وغيره لا يساند الفتوى لأكثر من سبب ، فهو رأى وليس نصاً شرعيا ، وهو مثال وليس حجة أصولية ، وهو تنظير مع الفارق فإن ما ذكر مرتبط بالاستدخال فى الرحم حال الحياة وفى لحظة الإنزال وهو يختلف عن مسألة الفتوى فى أن الزوج قد توفى قبل نقل البويضة إلى الرحم فلا يصح التنظير .

ثالثا: ذكر فضيلة المفتى أن بداية الحياة تكون منذ التحام حيوان منوى ببويضة ليكونا البويضة الملقحة . .

وأقول : نحن لا نتكلم عن الحياة الموجودة فى البويضة الملقحة باعتبارها بداية للحياة الإنسانية ، فالحيوان المنوى نفسه هو حى قبل التلقيح ولا اعتداد بهذه الحياة فى صحة النسب . .

ونحن إنما نتكلم عن جنين فى رحم امرأة ، فهذا هو مناط الحكم وأساس القضية ، فما لم يكن جنينا فى رحم المرأة فلا علاقة لنا به من جهة النسب صحة أو فسادا . .

وحديث القرآن كله عن النسب مرتبط برحم المرأة ، قال الله تعالى : ﴿**هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ**﴾[1] .

وقال جل شأنه : ﴿**اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ**﴾[2] .

وقال سبحانه : ﴿**وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً**﴾[3] .

فلا نسب قبل الإقرار فى الرحم ولا نسب بدون الخروج من الرحم .

---

١ ـ سورة آل عمران ـ ٦ . ٢ ـ سورة الرعد ـ ٨ . ٣ ـ الحج ـ ٥ .



رابعاً: إن الموت يقطع العلاقة الزوجية ولا يجوز إلحاق النسب بعد الوفاة إلا إذا كانت الرحم مشغولة بماء الزوج قبل وفاته ، فتكون المسألة استمرارًا لحياة جنين مستقر فى الرحم وليس إنشاء لجنين فى الرحم ، ولهذا كانت عدة الحامل المتوفى عنها زوجها بوضع الحمل ، كما قال تعالى : ﴿ وَأُوْلاتُ الأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾[1] أو أبعد الأجلين كما يرى فريق من الفقهاء . .

وما استدل به فضيلة المفتى من جواز تغسيل أحد الزوجين للآخر لا يفيدحكماً يتعلق بالفتوى ولا يستنتج منه شىء يفيد صحة النسب ، فمسألة الأعراض والأنساب من أخطر قضايا الدين وأجل وأعظم من مسألة التغسيل ، وهناك ما هو أبعد منها فيجوز للرجل أن يعالج المرأة ويمرضها وبالعكس عند الضرورة فتلك مسألة هينة . .

خامساً: إن رضا الزوج على العلاج بطريقة التلقيح الصناعى كان فى حياته وفى ظل استمرار العلاقة الزوجية ، لكن إذا مات الزوج قبل نقل البويضة إلى الرحم فقد انقطعت العلاقة الزوجية المتعلقة بالنسب وأصبحت البويضة المخصبة فى عداد الماء المهين لا يعتد بها شرعاً . .

فرضا الزرج رغبة لم تكتمل ، وأمنية حالت دونها المقادير ، ولا يجوز شرعاً أخذ رأى الورثة فى تلك المسألة فإن النسب ليس قائماً على الاقتراع أو الرغبات الشخصية ، فمتى ثبت الحمل الشرعى وجب النسب رضى الناس أم أبوا ، ومتى لم يكن شرعياً فلا قيمة لرأى الناس ولا اعتداد بهم .

وإذا ربطنا صحة النسب برغبة الزوجة السابقة أو التى أصبحت أرملة ، وبرغبة الورثة وباستصحاب رضا الزوج قبل وفاته فهذا يفتح باباً من الشر ، وفتنة لا تبقى ولا تذر وتؤدى إلى مفاسد عريضة وتجرنا إلى بنوك الأجنة والأرحام المؤجرة وما لا نعلم ممايأتى به البحث الأرعن البعيد عن أخلاقيات العلم . .

سادساً: إن مايقوله فضيلة المفتى :

«إننا نرى أن زرع هذه البويضة فى رحم الزوجة صاحبة البويضة بعد وفاة زوجها لحاجتها إلى الولد ، وتخليداً لذكرى زوجها جائز شرعاً بشرط أن يكون الزرع فى عدة وفاته لا بعدها . .» .

---

1 ـ سورة الطلاق ـ ٤ .

وأقول إن هذا التعليل فيه نظر ، فما علاقة تخليد الذكرى بالنسب صحة وفساداً؟ وهل تخليد الذكرى يكون وقفاً على الإنجاب؟ وأين هى الصدقات الجارية التى أمر الشرع بها؟ وما حاجة هذه الزوجة إلى ولد من زوجها المتوفى ويمكنها أن تتزوج بعده وتواصل مسيرة حياتها عسى الله أن يمنحها ما يشاء من الذرية؟ ولماذا تجتر هذه المرأة ذكريات الماضى وتتحمل مأساة طفل يتيم يولد فى غيبة الأب ، ولا تدرى مستقبله ولا تملك الاستمرار معه إلى الأبد؟!

إن الإسلام دين الفطرة منح المرأة بعد عدة الوفاة حق الزواج من شخص آخر لتعيش حياة هادئة متفائلة .

قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾(١) .



١ ـ سورة البقرة ـ ٢٣٤ .



أدب الحديث عن الله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ

مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ

أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ

مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ

الْمَوْتِ وَالْمَلائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ

الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ

غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾

[سورة الأنعام - ٩٣]



تمهيد

الوفاء لله هو مقدمة الوفاء للبشر . .

والالتزام بعهد الله هو مقدمة الالتزام بعهود البشر . .

والحفاظ على قدسية الله هو مقدمة الحفاظ على كرامة البشر . .

من هذا المنطلق آثرت إخراج تلك الصفحات رداً على ما أثاره الأستاذ توفيق الحكيم فى حديث الثلاثاء من :

تطاول على الذات العلية . .

ونيل من عرض الأنبياء . .

واستهزاء بآيات الله . .

فقد بدأ الأستاذ الحكيم ينشر حديث الثلاثاء فى صحيفة الأهرام يوم ١٩٨٣/٣/١ ، فقرأت الحديث وتقززت وآثرت الجانب القلبى ، وذلك أضعف الإيمان . . ولكن صديقاً لى جاءنى فزعاً وهو يقول :

إن لك قلما فى الصحافة ، وصوتاً فى الإذاعة . . فلم الصمت؟! فتحرك قلبى لكتابة مقال بعنوان «أدب الحديث عن الله» وذهبت به إلى مبنى الأهرام ، وحاولت الاتصال برئيس التحرير ، فلم أتمكن من مقابلته فأودعت هذا المقال لدى «السكرتارية» يوم السبت ١٩٨٣/٣/٥ وطبعاً لم ينشر المقال . .

فذهبت فوراً فى اليوم التالى لمجلة «اللواء الإسلامى» - جزى الله القائمين عليها خيراً - وكان العدد فى المراجعة الأخيرة فحذفوا مقالاً وسجلوا مقالتى ، وهذا شىء لا يحدث إلا للأمور المهمة ذات الطابع الملح . .

وخرج مقالى يوم الخميس ١٩٨٣/٣/١٠ ، ثم كتبت مقالاً آخر بعنوان «كبوة الحكيم فى القول بنسبية الأديان» صدر فى يوم الخميس ١٩٨٣/٣/١٧ .

ثم قامت «اللواء الإسلامى» بفتح حوار مع الأستاذ توفيق الحكيم اشترك فيه نخبة من العلماء . .

هنا تابعت كتابة تعليقاتى على أحاديث الثلاثاء كى أخرجها فى هذا البحث .

وأحب أن أؤكد أن وقفة العلماء أمام هذا التيار المنحرف قد آتت أكلها ، ونبهت الأذهان إلى حقائق الدين وأصول الإيمان . .



لقد بدأ الحكيم أحاديثه وهو ينوى الاستمرار فيها حتى يكون آخر ما كتب هو هذا الحوار مع الله تعالى ، وقال :

(فأنت تعرف يا ربى أنه لم يبق لى وأنا فى آخر أيامى غيرك . . وليس غيرك من أحب الحديث معه . . وأن يكون آخر ما أكتب هو هذا الحديث . . ولا يسقط القلم من يدى إلا وهو يخط اسمك الأكرم سبحانك) .

ويشاء الله أن يهب العلماء ، وتتكاتف الصحف الإسلامية وبعض الصحف القومية لمواجهة هذه البدعة السيئة ، ويفاجأ الحكيم تماما ، ويصدم بما لم يكن فى الحسبان . .

وأمام هذه الصدمة ، وتلك المفاجأة يتعثر القلم فى يدى الحكيم ، وتتوه الكلمات . . فيغير عنوان المقالات من «حديث مع الله» إلى «حديث إلى الله» . . فى المقال الثانى مباشرة . . ثم تحذف كلمة «الخالق» فى الحوار ، ويوضع مكانها مجموعة نقط (. . . .) .

وبعد أربعة أحاديث يخرج من الموضوع كلية ، ويختار ما أسماه «حديث مع نفسى» .

وبعد أسابيع أخرى ينقلب إلى «حديث إلى قرائى» .

وأيا ما كان فإن القضية ليست قضية شخص ، بقدر ما هى قضية القلم ، وشرف الكلمة ، وأمانة الدفاع عن القيم . .

وأرجو أن أكون قد وفقت فى أداء بعض الواجب الدينى والفكرى الذى يتحمله العلماء فى سبيل الله . .

﴿إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي

إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[1] .

١٠ من شعبان سنة ١٤٠٣ .

٢٣ من مايو سنة ١٩٨٣ .

أبو حذيفة

د. محمد سيد أحمد المسير

مدرس العقيدة والفلسفة - كلية أصول الدين

جامعة الأزهر الشريف

---

١ ـ سورة هود ـ ٨٨ .



تطاول على الذات الإلهية

هل نتحدث مع الله أم نتحدث عن الله؟!

سؤال أطرحه على الأستاذ توفيق الحكيم بمناسبة حديث الثلاثاء (١٩٨٣/٣/١) ، إن التحدث مع الله تعالى لا يكون إلا لنبى أو رسول ، وقد قال سبحانه :

﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾(١) .

ومع اعتراف الأستاذ الحكيم بذلك إلا أنه يصر على التحدث مع الله ، ويسمح لنفسه أن يقيم حواراً مع جنابه العالى ، ويتطاول ويسوق عبارات أقل وصف لها أنها جانبت التوفيق والحكمة . . . فهو يقول :

(ولكن الله فى حديثى هذا معه جعل يستمع فقط . . وتركنى أواصل كلامى) ويقول أيضاً :

(المخلوق : وأنت خالق الكون . . أى فوق القانون .

اللّه : لا . . أنا خالق القانون الذى يتم به تركيب الكون . . فإذا فسد القانون اختل تركيب الكون . . فأنا لست فوق القانون ولكنى حريص عليه) .

ثم إن الطامة الكبرى هى فى إقامة نفس هذا الحوار أساساً ، فهو افتراء وكذب وخداع . . ولا يغنى عن ذلك أن يقول الحكيم :

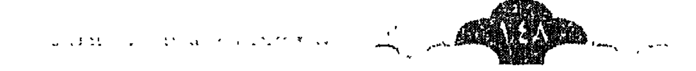
(أقيم أنا الحوار تخيلاً وتأليفاً . .)

فإذا كان الحكيم قد استنطق عصاه وحماره ، وجعل نفسه مفاوضاً عربياً مع الإرهابى الصهيونى «بيجين» فمن غير المعقول أن يستنطق الذات الإلهية هراء وعبثاً وتضليلاً . .!!

بل من غريب الأمر أن الحكيم حرص فيما نسبه إلى «بيجين» أن يعتمد على تصريحات أذاعها بيجين أو خطب ألقاها أو كلمات كتبها حتى لا ينسب إليه ما لم يقله . .

---

١ ـ سورة الشورى ـ ٥١ .



ورفض الحكيم أن يستعير اسم أحد الرؤساء العرب فى تلك المفاوضات الصحفية ، وتحمل هو عبء المفاوض العربى . .!!

فما باله اليوم - بلا استحياء أو وعى - يهزأ بالله ومع الله فيقول فى بدء حواره : فهل أنت موافق ياربى العظيم؟!!!

ثم يكذب الكذبة الكبرى فيقول :

(الله : قل على لسانى ما تشاء . . وأنت تعلم أولاً أنه ليس لى لسان مثلكم ، ولكن انسب وتخيل وألف . .!!) .

إننى أطالب بعودة الوعى . .!!

إننا - نحن المسلمين - نفاخر الدنيا كلها بما حبانا الله به من الإسناد فى النقل ، والدقة فى الرواية ، والصدق فى التحقيق حتى سلم لنا القرآن المجيد ، فهو النص الدينى الأوحد فى العالم ، الذى يقرأ بالنص الإلهى الأول بلا تحريف أو تزيد أو تبديل .

حتى حديث رسول الله - ﷺ - قد اصطنع له المسلمون علوماً شتى تخدمه فاهتموا برواة الحديث عدالة وضبطاً ، وميزوا بين طبقات الرواة ، وحققوا الأسانيد اتصالاً وانقطاعاً وقارنوا بين الأحاديث ، ونظروا فى كيفية الرواية هل هى قراءة أو كتابة أو مناولة أو إجازة . كل ذلك فى براعة نادرة ، واجتهاد مخلص ، وتحقيق علمى فذ .

وإذا كان علماؤنا - رضى الله عنهم - لم يستسيغوا التقول على رسول الله - ﷺ - لغرض شرعى فخلصوا السنة من الدخيل ورفضوا الموضوعات فى فضائل الأعمال .

بل كان تحرى صحابة رسول الله فى النقل عنه شديداً ، حتى إنك لتجد كلمة «أو» فى بعض الروايات وما شابهها - دليلاً على المحاولة الدءوبة للنقل السليم .

ففى صحيح الحديث قال - عليه الصلاة والسلام - : **«الساعى على الأرملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله - قال أبو هريرة وأحسبه قال - وكالقائم لا يفتر ، كالصائم لا يفطر»** .

فأين نحن اليوم مما يفتريه الحكيم فى مثل قوله :

(وفجأة - حدث العجب . . حدث ما كاد يجعلنى يغشى على دهشة فقد سمعت رداً من الله ، أو خيل إلى ذلك :

وهل إذا درست الحساب بنجاح والتحقت بمدارس العلوم كنت سترانى؟

هذا ما سمعته . . وهذا يكفى ليجعلنى أعتقد أن الله قد سمح أخيراً أن يدخل معى فى حديث) .

إن هذا الشكل من الحديث جرأة على الله ، وإهدار للمقدسات واعتداء على شرف الكلمة ، وضياع لمعالم الحق ، وتدليس شنيع ، يجب التوقف عنه وإيقافه . . حتى لا يسقط القلم من يدى الحكيم ويكون هذا آخر ما كتب . .!!

وإذا ظن الحيكم أنه لم يقدم خيراً لقرائه من خلال ثمانين عاماً مضت من حياته حيث يقول :

(فقد عشت الحياة التى قدرتها لى أكثر من ثمانين عاماً جعلت أهيم خلالها فى كل واد ، حاملا قلما أملأ به الأوراق بين جد وهزل . . ولا أظن أنى فعلت بذلك خيرا) .

فما أظنه اليوم يستطيع أن يقدم شيئاً . .!!

ولعل آية من كتاب ربنا تكون فيصلاً فيما نحن بصدده ، وهى قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾[1] .

هذه الآية الكريمة – وإن كانت أصلا فى المتنبئين وأشياعهم – إلا أن عمومها مراد . .

فليس هنا أحد أظلم ممن يفترى على الله الكذب سواء فى جعل الشريك وادعاء الولد أو استنطاق الذات الإلهية تخيلاً وتمثيلاً . .

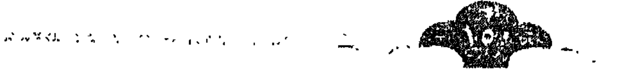
أو قال أوحى إلى زورا وبهتاناً أو ادعى أنه يسمع حديث الله تأليفًا واختراعا ، ونسب إلى الله ما لم ينزل به سلطاناً . .

أو قال سأنزل مثل ما أنزل الله على سبيل المعارضة للوحى الإلهى أو زعم أنه يسجل عن الله كما سجل الله عن نفسه .

إن هناك لحظة حق وصدق – لا محيص عنها سيأتيها الإنسان ولو كان فى بروج مشيدة وفى حماية الثقلين .

---

١ ـ سورة الأنعام ـ ٩٣ .



إنها لحظة الموت . .!!

﴿ كَلاَّ إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ . وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ . وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ . وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ . إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴾(١) .

فماذا أنت قائل أيها الإنسان عن كل هذا الهراء والكذب والافتراء؟!

وماذا أنت قائل عن التعالى على آيات الله ، والتباهى بالاستغناء عن نعيم الله ، والاستهزاء بعذاب الله؟!

إن الجزاء من جنس العمل .

﴿ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾(٢) .

ولنتأمل التعبير القرآنى «بما كنتم تقولون» أى أنه قول قد يصادف اعتقاداً وقد لا يصادف .

إن الأستاذ الحكيم يدعى أن هذا أسلوب جديد فى المناجاة ، وفتح لم يسبق فى أدب الحديث مع الله .

أى مناجاة تلك فى هذا الأسلوب الهابط . . ولنستمع :

(اللّه : تكلم .

المخلوق : إذا سمحت فلنواصل بمشيئتك الحديث فى الثلاثاء القادم)

إن المناجاة تقرب إلى اللّه ، وضراعة وتقديس ، ولا يتصور ذلك إلا بما شرع اللّه .

وبداية الطريق صدق الإيمان ، وصفاء اليقين ، ويتلوه الالتزام بفرائض اللّه ، فلا تقبل نافلة حتى تؤدى فريضة ، ولا يتصور أداء الفرائض مع ارتكاب المنكر ، فالتخلية مقدمة على التحلية ، ثم يعقب ذلك التقرب بمزيد الطاعة والبر والخير . .

وإلى هذا الإشارة بحديث رسول اللّه ـ ﷺ ـ كما أخرجه البخارى :

«وما تقرب إلىّ عبدى بشىء أحب إلىّ مما افترضته عليه ، ولا يزال عبدى يتقرب إلىّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها ، ولئن سألنى لأعطينه ولئن استعاذنى لأعيذنه» .

---

١ ـ سورة القيامة ـ ٢٦ : ٣٠ .

٢ ـ سورة الأنعام ـ ٩٣ .

إذن فمسألة الفيض والتجلى والمشاهدة إنما هى نهاية طريق طويل من المجاهدة والزلفى ، وليست مجرد كلمات عابرة أو أساليب جوفاء .

والمناجاة تأمل فى ملكوت السموات والأرض ، وذكر لآثار القدرة العلية ، وامتلاء النفس بالخشوع الضارع لرب العالمين . . ولا يعرف اللّه إلا اللّه . .

وسبحانك لا نحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك . .

وما قدروا اللّه حق قدره . .

ولنعلم أن الكتابة الدينية لا يجوز أن تكون ترفا عقليا ، ولايمكن اعتبارها فنا تكمل به الدائرة لدى الكاتب وكفى . .فالكتابة الدينية ترجمة صادقة وأمينة لعقيدة الكاتب وسلوكه ومشاعره ، ومركز الدائرة فيها صفاء الفهم لكتاب اللّه وسنة رسوله .

وكم عانى المسلمون من كتابات المستشرقين وأمثالهم ممن لا يرقبون فى مؤمن إلاّ ولا ذمة ، ولا يؤمنون باللّه ولا باليوم الآخر ، ولا يدينون دين الحق .

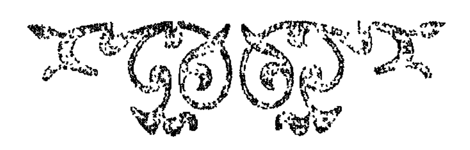
فهى كلمات لا مدلول لها ، وتعبيرات لا تجاوز اللسان ، وخدع لفظية لا تتعدى تسويد الصفحات . .

ونحن أحوج ما نكون إلى القدوة العملية قبل الكتابة الأدبية ، وإلى السلوك قبل القول .

فيأأيها الحكيم :

قليلاً من الرشد والحكمة . . وسق ما شئت من قضايا نناقشها معك ونستعرض أدلتها سوياً ، فالحق أحق أن يتبع .

ودعك من أسلوب العصا والحمار .



علماء الطبيعة بين الإيمان والكفر

يحاول الحكيم أن يستعيد قواه القانونية ويستخدم بيانه الأدبى كى يجادل اللّه تعالى فى شأن خلقه ، بل يتجاوز مرحلة الدفاع إلى مرحلة الحكم فيقول عن علماء الطبيعة الذين لم يؤمنوا بالوحى الإلهى ولم يصدقوا بالرسالة الخاتمة التى نزلت على سيدنا محمد - ﷺ - : (١٩٨٣/٣/١) :

(لذلك أعتقد أنه من الطبيعى والمنطقى أن مثل هؤلاء العلماء المؤمنين بك سوف يكون مصيرهم مغفرتك وأنت الغفور .

وتعليل هذا الحكم ووجوب تنفيذه لدى الحكيم للأسباب الآتية التى نحاول أن نسلسلها هكذا :

١ - كلما توغل العلماء فى العلم الطبيعى اقتربوا من الخشوع من اللّه .

٢ - شهادة لا إله إلا اللّه - شهادة لغوية لا علاقة لها بالإيمان .

٣ - أسلوب الخلق ولغة القوانين هى الطريق إلى اللّه ، وليس أسلوب اللغة العاجزة أو الملتوية .

وهنا نسائل الحكيم :

ما الدين؟ وما العقيدة؟

إن العقيدة الصحيحة ليست من اختراع البشر ، وإنما هى تكليف من اللّه تعالى لعباده بأصول تتعلق بالمبدأ والمعاد ، وعلاقة الخالق بالمخلوق على وجه محدد يأذن به اللّه . .

وهذه الأصول هى :

١ - الإيمان باللّه سبحانه واحداً أحداً ، وأسمائه الحسنى وصفاته المقدسة .

٢ - الإيمان بالملائكة الكرام البررة الذين لا يعصون اللّه ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون .

٣ - الإيمان بالكتب المنزلة لهداية البشر وليقوم الناس بالقسط .

٤ - الإيمان بالرسل والأنبياء الذين اصطفاهم اللّه من خلقه مبشرين ومنذرين .

٥ - الإيمان باليوم الآخر ، يوم الفصل بين العباد .

وقد سجل القرآن العظيم هذه الأصول للإيمان فى قوله تعالى :

﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾[1] .

والإيمان هو التصديق والإذعان والقبول ، فمجرد المعرفة لا تدل على الإيمان ، ولا تنبئ عن اليقين ، وكثير منا يعرف الشيوعية والاتجاهات المنحرفة فى الفكر ولكنه لا يعتقد فيها وبالتالى لا يؤمن بها .

وقد حدثنا القرآن المجيد عن جماعة يعرفون محمداً ـ ﷺ ـ حق المعرفة ، ومع ذلك لم يؤمنوا به فقال : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾[2] وقال : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ﴾[3] .

فإذا كان علماء الطبيعة يعرفون قدرة اللّه ، ومظاهر الإبداع الإلهى ، وآيات الآفاق ، فتلك قضية يستوى فيها المؤمن والكافر ، ولا يلزم منها صدق اليقين .

وماذا يقول الأستاذ الحكيم عن علماء الطبيعة الملحدين الذين يعرفون نفس المعرفة التى انبهر بها الحكيم ، ولا يعترفون بوجود اللّه وينسبونها إلى المصادفة أو الطبيعة أو المادية التاريخية أو النشوء والارتقاء أو ما شابه ذلك من أوهام؟!

ثم إن مسألة أسلوب الخلق وأسلوب اللغة ، واصطناع معركة بينهما – هى من القضايا الوهمية التى لا مدلول لها .

فالإنسان يعيش مع بنى جنسه باللغة ، ويتعامل مع ماضيه ومستقبله باللغة ، ولا تنفك حياة الإنسان عن لغة .

وما تنزلت آيات اللّه على ألسنة رسله إلا بلغة ، قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾[4] .

---

١ – سورة البقرة ٢٨٥ .

٢ – سورة البقرة ٨٩ .

٣ – سورة الأنعام ٢٠ .

٤ – سورة إبراهيم ٤ .

وقد جعل الله اللغة من مظاهر قدرته فقال :

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ ﴾[1] .

لقد جمعت هذه الآية بين أسلوب الخلق وأسلوب اللغة ولم تجعل بينهما صراعاً ولم تفصل بينهما ، والعالم الحقيقى هو الذى يتصل بالمبدأ الأول ، ويتعمق فى بواطن الآيات والدلائل ليصل إلى حقيقة الحقائق :

﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾[2] .

فالشهادة اللغوية هى ترجمة عن الشهادة القلبية ، وقد اعتنى القرآن كثيراً بالشهادة اللغوية والبيان الذى هو ميزة الإنسان فقال سبحانه وتعالى منبها إلى هذه الحقيقة :

﴿ الرَّحْمَنُ . عَلَّمَ الْقُرْآنَ . خَلَقَ الإِنسَانَ . عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾[3] .

فلابد للعلم من بيان ، ولابد للإنسان من لسان ، ولا بد للبشر من لغة .

وقد صرح القرآن بالجمع بين الشهادتين فقال :

﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾[4] .

كما عبر القرآن عن حوار حول هذا المعنى وأكد ضرورة الشهادة اللغوية المنبئة عن صدق اليقين والمعلنة عن جوهر الإيمان فقال :

﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُل لاَّ أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾[5] .

ولنلاحظ التعبير القرآنى «قل» ، فقد تكرر فى هذه الآية أربع مرات كما تكررت كلمة الشهادة نفس العدد – مما يؤكد الاتصال الوثيق بين الشهادة اللغوية واليقين القلبى .

١- سورة الروم ـ ٢٢ . ٢- سورة الحج ـ ٦٢ . ٣ ـ سورة الرحمن ـ ١ : ٤ .
٤- سورة آل عمران ـ ١٨ . ٥- سورة الأنعام ـ ١٩ .

فالنطق بكلمة التوحيد وإثبات الرسالة لسيدنا محمد - ﷺ - هو موقف أساسى فى منطق الإيمان لمن أراد أن يدخل فى الإسلام ويعيش معيشة المسلمين فى إجراء الأحكام الشرعية من التوراث والنكاح والصلاة خلفه وعليه والدفن فى مقابر المسلمين .

أما من كتم إيمانه فأمره مفوض إلى اللّه ، ولا علاقة لنا به فى إناطة التكاليف الشرعية به .

وقد فصل العلماء قضية النطق بالشهادتين فقالوا - كما فى حاشية الباجورى على الجوهرة- :

إن التصديق القلبى وإن كان إيماناً إلا أنه باطن فلابد له من علامة ظاهرة تدل عليه ، لتناط - أى تعلق - به تلك الأحكام .

فمن صدق بقلبه ولم يقر بلسانه لا لعذر منعه ولا لإباء بل اتفق له ذلك - فهو مؤمن عند اللّه ، غير مؤمن فى الأحكام الدنيوية .

أما المعذور إذا قامت قرينة على إسلامه بغير النطق كالإشارة فهو مؤمن فيهما .

وأما الآبى بأن طلب منه النطق بالشهادتين فأبى فهو كافر فيهما ، ولو أذعن فى قلبه فلا ينفعه ذلك ولو فى الآخرة .

ومن أقر بلسانه ولم يصدق بقلبه كالمنافق فهو مؤمن فى الأحكام الدنيوية ، غير مؤمن عند اللّه تعالى ، ومحل كونه مؤمناً فى الأحكام الدنيوية ما لم يطلع على كفره كسجود لصنم ، وإلا جرت عليه أحكام الكفر» .

فإذا جاء الحيكم وقال :

(ولكن يارب بعض رجال الدين عندنا يرون غير ذلك ، يرون مصير هؤلاء العلماء من غير المسلمين النار لأنهم لم يقولوا لا إله إلا اللّه شهادة لغوية)

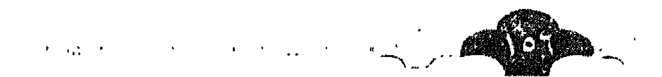
كان مضللاً لأنه أغفل أكثر من حقيقة .

فهؤلاء مصيرهم النار لأنهم لم يقروا للّه بالوحدانية الخالصة ، ولم يعترفوا بالنبوة الخاتمة ، ولم يؤمنوا بالقرآن المنزل .

ومسألة القوانين ولغتها ، وإدراك العلماء لناموس الكون مجرد إدراك دون يقين شرعى هو إدراك لا قيمة له ولا وزن له عند اللّه ، قال تعالى : ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ﴾[1] .

---

١ - سورة الفرقان - ٢٣ .



والقول الفصل حدده الله سبحانه فى كتابه فقال :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً . أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾(١) .

وأى وزن لمكتشف لقانون ، أو مخترع لآلة ، ثم هو عربيد ، بلا عمق إنسانى أو وعى حضارى ، وبلا عفاف عرض ، أو حياء خلق .

وقد نبه الإمام أبو حامد الغزالى منذ عشرة قرون إلى تلك القضية فقال :

(والصنف الثانى : الطبيعيون

وهم قوم أكثروا بحثهم عن عالم الطبيعة ، وعن عجائب الحيوان والنبات وأكثروا الخوض فى علم تشريح أعضاء الحيوانات ، فرأوا فيها من عجائب صنع الله تعالى ، وبدائع حكمته - ما اضطروا معه إلى الاعتراف بفاطر حكيم مطلع على غايات الأمور ومقاصدها ، ولا يطالع التشريح وعجائب منافع الأعضاء مطالع إلا ويحصل له هذا العلم الضرورى بكمال تدبير البانى لبنية الحيوان لا سيما بنية الإنسان .

إلا أن هؤلاء لكثرة بحثهم عن الطبيعة - ظهر عندهم لاعتدال المزاج تأثير عظيم فى قوام قوى الحيوان به ، فظنوا أن القوة العاقلة من الإنسان تابعة لمزاجه أيضاً ، وأنها تبطل ببطلان مزاجه فينعدم ، ثم إذا انعدم فلا يعقل إعادة المعدوم - كما زعموا-

فذهبوا إلى أن النفس تموت ولا تعود ، فجحدوا الآخرة وأنكروا الجنة والنار ، والحشر والنشر ، والقيامة والحساب ، فلم يبق عندهم للطاعة ثواب ولا للمعصية عقاب ، فانحل عنهم اللجام وانهمكوا فى الشهوات انهماك الأنعام .

وهؤلاء أيضاً زنادقة لأن أصل الإيمان هو الإيمان بالله واليوم الآخر ، وهؤلاء جحدوا اليوم الآخر وإن آمنوا بالله وصفاته»(٢) .

أيها الحكيم :

إن العلم المادى - وحده - لا يبنى خلقا ولا يربى إنساناً ولا يمنح البشرية الطمأنينة والسعادة ؛ وهو سلاح رهيب يستخدمه الطغاة والجبابرة فى سحق الإنسان وامتهان

١- سورة النساء ١٥٠ - ١٥١ .

٢- المنقذ من الضلال ص ٩٦ ط دار الكتب الحديثة .

كرامته ولا عاصم له إلا الدين الذى يتعاهد النفس الإنسانية من داخلها على أساس مبدأ الخشية للّه والمراقبة لحدوده . ذلك المبدأ الذى أكده القرآن فى قوله :

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَىٰ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[1] .

ولكن يبدو أن الحكيم حزين على أمثال «أينشتين» و «كاستلر» فقد نقل عن الأول قولّه :

(إنى أدين بأعمق الإجلال والتعظيم لهذه القدرة العجيبة التى تفصح عن نفسها فى كل جزىء من جزيئات الكون) .

ونقل عن الثانى قوله :

(كلما ازداد تعمقنا فى دراسة تركيب المادة تضاعف اقتناعنا بأننا ما عرفناها

فإن جزءا منها سوف يظل إلى الأبد بعيداً عن تعليلنا ، لأنه مخفى عنا ، مخفى بمن؟ مخفى بالمبدأ الأوحد : اللّه .

إن كل ما نعرفه عن العالم المحسوس لا قيمة له فى فهم العالم غير المحسوس)

فأحب أن أنبه الحكيم إلى نقطة مهمة وهى أن الثواب والعقاب الإلهيين موقوفان على بلوغ الدعوة على وجهها الصحيح ، فاللّه تعالى لم يكلف الناس إلا عن طريق الرسل فقال : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾[2] .

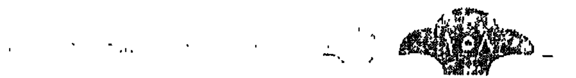
ومن لم تبلغه الدعوة لا يسأل عنها .

وهناك أبحاث مطولة ذكرها العلماء المسلمون حول هذه المسألة ، وقال الإمام أبو منصور عبد القاهر البغدادى :

«الكلام فى هذه المسألة مبنى على الخلاف فى وجوب المعارف العقلية ، فمن زعم أنها ضرورية قال فيمن لم تبلغه دعوة الإسلام :

إن كان قد عرف توحيد ربه ، وصفاته ، وعدله ، وحكمته بالضرورة فحكمه حكم المسلمين ، وهو معذور فى جهله بالنبوة وأحكام الشريعة .

١- سورة المجادلة ـ ٧ . ٢ - سورة الإسراء ـ ١٥ .



وإن لم يعرف التوحيد وعدل الصانع بالضرورة فلا تكليف عليه وليس له فى الآخرة ثواب ولا عقاب (بمعنى أنه تحت العفو الإلهى)

ومن ذهب إلى أن الواجب من المعارف العقلية مكتسب اختلفوا فيمن لم تبلغه الدعوة

فزعمت المعتزلة من هذه الفرقة إلى أن من كمل عقله واعتقد الحق فى العدل والتوحيد فهو معذور فى جهله بالرسل والشرائع .

ومن زاغ منهم عن اعتقاد الحق فهو كافر مستحق للوعيد .

وقال أصحابنا إن الواجبات كلها معلوم وجوبها بالشرع وقالوا فيمن كان وراء السد أو فى قطر من الأرض ولم تبلغه دعوة الإسلام ينظر فيه :

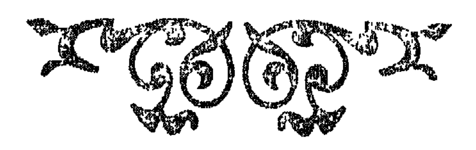
فإن اعتقد الحق فى العدل والتوحيد ، وجهل شرائع الأحكام والرسل فحكمه حكم المسلمين وهو معذور فيما جهله من الأحكام لأنه لم يقم به الحجة عليه .

ومن اعتقد منهم الإلحاد والكفر والتعطيل فهو كافر بالاعتقاد وينظر فيه :

فإن كان قد انتهت إليه دعوة بعض الأنبياء ـ عليهم السلام ـ فلم يؤمن بها كان مستحقا للوعيد على التأبيد .

وإن لم تبلغه دعوة شريعة بحال لم يكن مكلفاً ولم يكن له فى الآخرة ثواب ولا عقاب»[1] .

هذه حقائق ودراسات إسلامية كان أجدر بالحكيم أن يفقهها قبل أن يخوض فيما لا يعلم . .



١- أصول الدين ص ٢٦٢ ط بيروت .

تهافت القول بنسبية الأديان

فى حديث الأستاذ توفيق الحكيم عن النسبية وقوانينها وأن العالم الآخر لا يخضع للقوانين البشرية قال (١٩٨٣/٣/١) :

(ومعنى ذلك عندى أن انتقالنا إلى العالم الآخر سيضعنا فى عالم لا نخضع فيه للقوانين البشرية . وقد جاءت إشارة إلى ذلك فى قرآنك الكريم ياربى (سورة الطلاق) حيث قلت فى هذه الآية : ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾[1] .

ولست أدرى أيها الحكيم وجه الاستشهاد بالآية الكريمة .

نعم إن قوانين المادة محكومة بعالمها ، أما ما وراء الطبيعة فشىء خارج عن نطاق كل النواميس الكونية التى يتعارف عليها البشر .

قال تعالى : ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾[2] .

أما الآية التى ساقها الحكيم فهى إشارة إلى عالم الحياة الدنيا ونواميسه وآيات الآفاق التى تتبدى للناس يوماً بعد يوم .

ولكن الحكيم يزيد الأمر تخليطاً فيقول :

(وجاء فى تفسير القرطبى نقلاً عن الماوردى : على أنها سبع أرضين بعضها فوق بعض تختص دعوة أهل الإسلام بأهل الأرض العليا ولا تلزم من فى غيرها من الأرضين وإن كان فيها من يعقل من خلق مميز) .

ثم يطل علينا الحكيم بعبقريته فيسوق اكتشافه المذهل فيقول :

(معنى ذلك أن الأديان نسبية تختص بها أرض دون أرض لأن البشرية نفسها نسبية) .

---

١ ـ سورة الطلاق ـ ١٢ .   ٢ – سورة إبراهيم ـ ٤٨ .



وليعلم الحكيم أن ما نقله عن الماوردى مجرد رأى ليس له قدسية الإلزام ، وحقيقة السموات السبع والأرضين السبع ما زالت من عجائب الكون التى لم يقل العلم فيها كلمته الأخيرة ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾[1] .

والذى نعرفه شرعاً عن الكائنات أن العقلاء من خلق اللّه ثلاثة :

١ - الملائكة وهم مفطورون على الطاعة ﴿ لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾[2] وهؤلاء الملائكة لا يتزاوجون ولا يتناسلون ، من وصفهم بالذكورة فسق ، ومن وصفهم بالأنوثة كفر لمخالفته صريح القرآن فى قوله : ﴿ وَجَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴾[3] .

٢ - الجن وهو عالم غير منظور يعيش حولنا ومكلف مثلنا ومنه الصالح والفاسد قال اللّه تعالى على لسان الجن ﴿ وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا ﴾[4] .

والجن يتناكحون ويتناسلون ، قال تعالى عن إبليس : ﴿ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً ﴾[5] .

٣ - الإنسان . . وقد روى مسلم فى صحيحه أن رسول اللّه ـ ﷺ ـ قال : «خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار وخلق الإنسان مما وصف لكم» .

هذه هى الأنواع الثلاثة العاقلة من خلق اللّه ، وهناك بعد ذلك كائنات أخرى من فصائل الحيوان والطير والدواب لا يعلم عددها إلا اللّه ، قال سبحانه : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ﴾[6] .

فالذى نعلمه بيقين أن التكليف الإلهى خاص بالإنس والجن وحدهما قال تعالى : ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنفُسِنَا ﴾[7] .

---

١ ـ سورة يوسف ـ ٧٦ .
٢ ـ سورة التحريم ـ ٦ .
٣ - سورة الزخرف ـ ١٩ .
٤ ـ سورة الجن ـ ١١ .
٥ - سورة الكهف ـ ٥٠ .
٦ - سورة الشورى ـ ٢٩ .
٧ - سورة الأنعام ١٣٠ .

ويبقى بعد ذلك الملائكة وهم مفطورون على الطاعة ، والدواب والحيوان لا تكليف عليها وقد تكون فى الأرض أو فى كواكب أخرى .

وعلى هذا فاكتشاف الحكيم الجديد بأن الأديان نسبية تختص بها أرض دون أرض لأن البشرية نسبية هو اكتشاف خاص به لا يسيغه منطق ولا يؤيده برهان .

وماذا يعنى الحكيم من نسبية الأديان؟!

هل عقيدة التوحيد نسبية؟!

إن الأنبياء جميعاً جاهدوا من أجل كلمة التوحيد ، وما من نبى إلا ودعا قومه إلى إفراد اللّه بالألوهية والربوبية . . قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾[1] .

إن قضية الألوهية فى وحدانيتها وجلالها وكمالها هى الحق المطلق وكل ما فى الكون من آيات الأنفس والآفاق ينطق بلسان لا ترد حجته بأن له واهبا أعطى كل شىء خلقه ثم هدى .

﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾[2] .

هل عقيدة اليوم الآخر والبعث والنشور والجنة والنار نسبية؟!

إن حكمة الوجود وفلسفة الحياة تحتم أن يكون للإنسان غد ولأعماله ميزان ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ﴾[3] .

وإن قصة الإنسانية أعمق من أن تنتهى بالقبر ، وإن القدرة الإلهية مطلقة . . ﴿ مَا خَلْقُكُمْ وَلا بَعْثُكُمْ إِلاَّ كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾[4] .

---

١ - سورة الأنبياء - ٢٥ .
٢ - سورة الحج - ٦٢ .
٣ - سورة آل عمران - ٣٠ .
٤ - سورة لقمان - ٢٨ .

وسيظل القرآن ينادى صباح مساء منبها الإنسان إلى حتمية البعث والمساءلة :

﴿ أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى . أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ . ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ . فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَىٰ . أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴾[1] .

إن أصول الدين واحدة على لسان كل نبى :

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾[2] .

أما التشريعات فهى نسبية تختص ببيئة دون أخرى وبزمان دون آخر ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾[3] لأن الأنبياء كانوا يبعثون لأقوامهم خاصة ويعالجون قضايا معينة ، إلى أن تكاملت الشرائع بالإسلام الخاتم لوحى اللّه إلى البشر ، والعام لجميع الأزمنة والأمكنة إلى أن يرث اللّه الأرض ومن عليها . . قال تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ﴾[4] .

فالإسلام هو عقيدة الإنسان الواجبة تكليفاً عليه فى أرض اللّه الواسعة وعلى تعاقب البشر إلى يوم الدين .

وعموم الدعوة هو من خصائص رسالة سيدنا محمد ـ ﷺ ـ ، وتلك حقيقة أكدتها آيات القرآن منذ أوائل الوحى المكى ، فقال تعالى فى سورة القلم وهى الثانية نزولاً بعد سورة العلق ﴿ وَمَا هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴾[5] .

وتعاقب التأكيد تلو التأكيد فى أكثر من موضع فقال سبحانه :

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾[6] .

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾[7] .

---

١ ـ سورة القيامة ـ ٣٦ : ٤٠ .
٢ – سورة البقرة ـ ٨٣ .
٣ – سورة المائدة ـ ٤٨ .
٤ – سورة المائدة ـ ٣ .
٥ ـ سورة القلم ـ ٥٢ .
٦ – سورة الأعراف ـ ١٥٨ .
٧ – سورة الأنبياء ـ ١٠٧ .



وكان التحدى بالقرآن عاماً للثقلين ودليلاً على استمرار الرسالة والمعجزة فقال جل شأنه :

﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾(١) .

إن تاريخ الرسالات الإلهية لا يمكن أن يكون خيال شاعر أو وهم فيلسوف أو حيلة ذكى بل هو الحق فى أجلى صوره وأصدق معانيه .

ومن أراد أن يعرف حقيقة الوحى الإلهى ، وتاريخ الرسالات السماوية وسيرة الأنبياء والمرسلين فليتجه فى بحثه إلى الإسلام ورسوله الخاتم محمد - ﷺ - ، ومعجزته الكبرى القرآن المجيد .

فإن المصطفى من بين شخصيات العالم - قديماً وحديثاً - حقيقة تاريخية أجمع المؤرخون - أعداؤه وأحبابه - على معالم حياته وخصائص سيرته من مولده إلى انتقاله إلى الرفيق الأعلى .

وقامت براهين العقل على أن القرآن الذى نقرأه اليوم هو هو بعينه الذى بلغه محمد - ﷺ - وتعهده من بعده أصحابه والمسلمون كافة حتى عرفوا كل شىء عن سوره وآياته ، ومواطن نزوله ووجوه قراءاته وإعراب كلماته ، وهو النص الوحيد فى العالم أجمع الذى يقرأ بالأسلوب الإلهى الأول الذى نزل به الروح الأمين . .

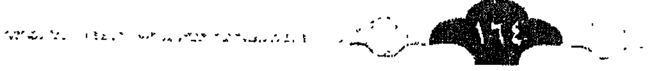
﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ . لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾(٢) .





١ - سورة الإسراء - ٨٨ .

٢ - سورة فصلت - ٤١ ، ٤٢



افتراءات حول الأنبياء

مازال حديث الثلاثاء للأستاذ توفيق الحكيم ينضح بأفكار عرجاء ومواقف خاطئة ، ولنقرأ هذه الفقرة (١٩٨٣/٣/١) :

(اللّه : الأنبياء معصومون من الفعل .

المخلوق : وليس من النية ، لأن يوسف هم بها وهمت به . . أى تمت النية ولكنه توقف عن الفعل ، لأنه رأى برهان ربه ، أى تدخلت أنت ياربى وعصمته من الفعل .

اللّه : نعم أعصم من أحب عن الفعل ، أما النية فهى لصيقة الغريزة البشرية) .

قبل أن ندخل فى تفاصيل موقف يوسف ـ عليه السلام ـ من امرأة العزيز ، يحسن أن نبين للحكيم مراتب قصد الشيء كما ذكرها علماؤنا ، وهى خمس :

الهاجس : وهو ما يلقى فى النفس .

الخاطر : وهو ما يجرى فى النفس .

حديث النفس : وهو ما يقع فى النفس من التردد بين الفعل والترك .

الهم : وهو ترجيح قصد الشيء .

العزم : وهو جزم بالشيء ، فإن اقترن بمباشرة الشيء فهو النية . .

وقد ذكر العلماء – رضى الله عنهم – أن الهاجس لا يؤاخذ به العبد ولو كان كفراً ، لأنه ليس من فعله ، وإنما هو شيء طرقه قهراً عنه .

وما بعده من الخاطر وحديث النفس وإن قدر على دفعهما ، لكنهما مرفوعان بالحديث الشريف وهو قوله ـ ﷺ ـ : **«إن اللّه سبحانه وتعالى تجاوز لأمتى ما حدثت به أنفسها ما لم تتكلم أو تعمل به»** .

وهذه المراتب الثلاث لا أجر فيها فى الحسنات أيضاً لعدم القصد القوى . .

أما الهم فقد بين حكمه الحديث الشريف فى قوله ـ ﷺ ـ : **«فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها اللّه عنده حسنة كاملة ، وإن هم بها فعملها كتبها اللّه عنده عشر حسنات ، إلى سبعمائة ضعف ، إلى أضعاف كثيرة ، وإن هم بسيئة فلم يعملها كتبها اللّه عنده حسنة كاملة ، وإن هم بها فعملها كتبت سيئة واحدة»** .

والعزم يؤاخذ به الإنسان على التحقيق لقوله - ﷺ -: «إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى النار، قيل يا رسول الله: هذا القاتل، فما بال المقتول؟

قال: إنه كان حريصاً على قتل صاحبه».

وعلى هذا فتسوية الحكيم بين النية والهم فيه مغالطة واضحة..

أما موقف سيدنا يوسف - عليه السلام - فهو الطهر كله والنقاء بأجمعه، والقصة قائمة على الإعلاء من شأن يوسف، وقوة إيمانه، وعفاف عرضه..

لقد واجه يوسف المرأة الفاجرة فى عنفوان كبريائها وقال:

﴿ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾[1].

وأمام نسوة المدينة تفصح المرأة عن دناءة نفسها وطهر يوسف فتقول:

﴿ ..وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ.. ﴾[2].

والتعبير بكلمة «استعصم» فيه من القوة والمبالغة ما يدل على العصمة الكاملة ليوسف الصديق..

ثم تجأر المرأة بصوت الشهوة الرخيص فتقول:

﴿ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ ﴾[3].

ولكن الإيمان أقوى، وعزيمة الرشد أشد فيلجأ الصديق إلى الله ضارعاً: ﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ﴾[4].

وتدور الأيام ويلقى بيوسف فى السجن زورا وبهتانا، وتتعاقب الأحداث إلى أن تتجلى الحقيقة وتتراءى للناس جميعاً، فتعلن نسوة المدينة شهادتهن:

﴿ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ ﴾[5].

وتقر امرأة العزيز وتعترف بحقيقة الموقف:

﴿ الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴾[6].

أظن أن الأمر بعد هذا لا يحتاج إلى اجتهاد.

---

١ - سورة يوسف - ٢٣.
٢ - سورة يوسف - ٣٢.
٣ - سورة يوسف - ٣٢.
٤ - سورة يوسف - ٣٣.
٥ - سورة يوسف - ٥١.
٦ - سورة يوسف - ٥١.



والتعبير القـرآني : ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ ﴾[1] يفهم على وجه يليق بيوسف ـ عليه السلام ـ ويتناسب مع السياق الموضوعي للآيات القرآنية . .

فالمرأة قد طعنت في كبريائها عندما صرحت ليوسف برغبتها ، وفاجأها يوسف بالرفض القاطع ، فهمت به تجبره على ما تريد وهمّ بها يدفعها عن نفسه ، وكادت تقع مصادمة لولا أن هيأ اللّه الظروف واستبقا الباب وألفيا سيدها عنده . . .

أو المعنى ﴿ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ ﴾ على حد قولهم : قتلته لو لم أخف اللّه ، يريدون مشارفة القتل ومشافهته كأنه شرع فيه . .

والمقصود أن كل الظروف مهيأة ، والمرأة مصابة بسعار جنسي ، ويوسف شاب قوي مكتمل الرجولة ، ومع ذلك فعصمة يوسف وقوة إيمانه تغلبت على كل الشهوات ، وبقي يوسف صاحب النفس الكبيرة التي لا تطاول .

ولكن الحكيم يغض الطرف تماماً عن كل هذا السمو ، ويتضاءل عقلا ويتصاغر فهما ، ويسوق إسرائيليات في تعليق له (١٩٨٣/٣/٨) ويجعلها من التفسيرات المختلفة ويحكي أقوالا شاذة ومنكرة حول حل الهميان وتكة السراويل والقعود بين شعبها الأربع .

وكم جاهد العلماء في تخليص كتب التراث من هذه الإسرائيليات ومع ذلك يصر الحكيم على إحيائها والترويج لها . . ولعله ممن يقصدهم الإمام الزمخشري في تفسيره حين قال :

وهذا ونحوه مما يورده أهل الحشو والجبر الذين دينهم بهت اللّه تعالى وأنبيائه .

وأهل العدل والتوحيد ليسوا من مقالاتهم ورواياتهم بحمد اللّه بسبيل ، ولو وجدت من يوسف ـ عليه السلام ـ أدنى زلة لنعيت عليه وذكرت توبته واستغفاره ، كما نعيت على آدم زلته ، وعلى داود ، وعلى نوح ، وعلى أيوب ، وعلى ذي النون ، وذكرت توبتهم واستغفارهم .

كيف وقد أثنى عليه وسمى مخلصاً ، فعلم بالقطع أنه ثبت في ذلك المقام الدحض ، وأنه جاهد نفسه مجاهدة أولي القوة والعزم . .

---

١ ـ يوسف ـ ٢٤ .

ثم يقول الإمام الزمخشري : ولو أن أوقح الزناة وأشطرهم وأحدهم حدقة وأجلحهم وجهاً لقى بأدنى ما لقى به نبى الله مما ذكروا لما بقى له عرق ينبض ولا عضو يتحرك ، فياله من مذهب ما أفحشه ومن ضلال ما أبينه» .

ولننتقل إلى موقف آخر غريب ساقه الحكيم فى حديث الثلاثاء (١٩٨٣/٣/٨) يتعلق بسيدنا إبراهيم الخليل . . وإليك نص عبارته :

(الخالق : الشك أنواع .

المخلوق : نعم هناك الشك المغتفر الذى قال فيه إبراهيم ﴿لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ وهناك الشك الآثم للإنكار والإلحاد) .

والحكيم عندما ينسب الشك إلى سيدنا إبراهيم - عليه السلام - يقع فى متاهة عقلية شاذة ، لا ينجيه منها أن يصف الشك بأنه مغتفر . . فإن أى نبى أو رسول إنما يستقر فى قلبه الاستقرار الأكمل - كل عقائد الدين وقضايا الملة وخاصة أمور الألوهية والمعاد . . وما من نبى إلا ودعا قومه إلى التوحيد ، وحذرهم مغبة اليوم الآخر . . وإبراهيم أبو الأنبياء وخليل الرحمن يقول لأبيه :

﴿يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا . يَا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا . يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾[١] .

فنحن هنا أمام علم جاء إبراهيم وليس شكا . .

وأما تساؤل إبراهيم عليه السلام فى قوله تعالى : ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾[٢] .

فالتعبير القرآنى أبعد ما يكون عن موضوع الشك ، ولو كان للحكيم حاسة لغوية لفقه الأمر . . فالسؤال ورد بلفظ «كيف» وليس بلفظ «هل» ، والآية أثبتت اليقين ونفت الشك بكلمة «بلى» .

---

١ - سورة مريم ٤٣ - ٤٥ .
٢ - سورة البقرة - ٢٦٠ .

والآية عللت السؤال بطلب المعاينة المضمومة إلى الاستدلال فى قوله ﴿لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ فهو انتقال من علم اليقين إلى عين اليقين . .

وهناك حديث شريف رواه الثقات فى كتب الصحاح أن رسول اللّه - ﷺ - قال : «**نحن أحق بالشك من إبراهيم - ﷺ - إذ قال رب أرنى كيف تحيى الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى**» .

وأسوق للحكيم جزءاً من شرح الإمام النووى على هذا الحديث : اختلف العلماء فى معنى «**نحن أحق بالشك من إبراهيم**» على أقوال كثيرة أحسنها وأصحها ما قاله الإمام أبو إبراهيم المزنى صاحب الشافعى وجماعات من العلماء معناه أن الشك مستحيل فى حق إبراهِيم ، فإن الشك فى إحياء الموتى لو كان متطرقا إلى الأنبياء لكنت أحق به من إبراهيم وقد علمتم أنى لم أشك فاعلموا أن إبراهيم - عليه السلام - لم يشك .

وإنما خص إبراهيم - ﷺ - لكون الآية قد يسبق إلى بعض الأذهان الفاسدة منها احتمال الشك ، وإنما رجح إبراهيم على نفسه - ﷺ - تواضعاً وأدباً أو قبل أن يعلم - ﷺ - **أنه خير ولد آدم**»[1] .



---

١ - شرح النووى على مسلم ص ١٨٣ -جـ ٢

تجاهل معجزات الرسول ﷺ

يفترى الحكيم على الوحى الإلهى كما افترى على الأنبياء ، ويسوق عبارات جوفاء ويدعى ادعاءات مطاطة فيقول (١٩٨٣/٣/٨) :

(ولم تجعل رسولك محمداً يقنع البشر بالمعجزات كما كان الحال مع الأنبياء الذين سبقوه ، عندما كانت البشرية في مراحل الطفولة والصبا والشباب ، ولم يكن قد حان الحين بعد لإقناع البشر بوجود الله ورسله بالإدراك وحده عن طريق العقل) .

ماذا يعنى الحكيم بالمعجزات؟!

وهل رسالة سيدنا محمد - ﷺ - بلا معجزة؟!

وماذا يرى الحكيم فى القرآن العظيم ألا يكفى معجزة لإثبات الرسالة المحمدية؟!

إن كل رسول لابد له من معجزة مؤيدة لدعوى الرسالة ومصدقة لها ، كل ما فى الأمر أن هذه المعجزة تتناسب والعصر الذى بعث فيه النبى ، والبيئة التى هى مجال دعوته .

والقرآن العظيم هو المعجزة الخالدة التى تحدى بها سيدنا محمد - ﷺ - الثقلين أن يأتوا بمثلها . . . وقد وقع التحدى فى العهدين المكى والمدنى للوحى القرآنى . .

ففى سورة الإسراء يقول الله تعالى :

﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾(١) .

ثم خفف القدر المتحدى به فقال تعالى فى سورة هود :

﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾(٢) .

ثم تنزل لهم فى التحدى فقال فى سورة يونس :

﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾(٣) .

---

١ - سورة الإسراء - ٨٨ . ٢ - سورة هود - ١٣ . ٣ - سورة يونس - ٣٨ .



هذه الآيات مكية ، ثم تحداهم أيضاً فى المدينة فقال فى سورة البقرة :

﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾[1] .

نعم عجزوا عن المعارضة وهم يرونه مكتوباً ويسمعونه مقروءا بلسان عربى مبين ، فليس هو من الأحاجى والألغاز ، ولا من الطلاسم والأسرار ، وليس محجوباً عنهم ولا خافياً . .

نعم عجزوا عن المعارضة وهو يقول لهم «ولن تفعلوا» وهو أسلوب يفيد تأكيد نفى المستقبل . .

وهذا هو منتهى التحدى لهم والإحباط من جانبهم . .

لكن الأستاذ توفيق الحكيم لا يعد القرآن معجزة ويزعم أن الناس لم يسلموا إقراراً بالإعجاز القرآنى .!!

إن ما نسيه الحكيم أو تغافله هو الفرق بين المعجزة العقلية والمعجزة الحسية ، فالأنبياء السابقون كانت معجزاتهم حسية مثل قلب العصا حية لموسى ـ عليه السلام ـ ، وإبراء الأكمه والأبرص لدى عيسى ـ عليه السلام ـ . . .

أما محمد ـ ﷺ ـ فكانت معجزته عقلية تتناسب ورسالته الكبرى العالمية ، ولذا كانت وجوه الإعجاز متعددة فى النظم والأسلوب والتشريع والإخبار بالغيب وكشف خفايا الكون والكائنات . . إلخ ، والقرآن يحمل دليله معه على أنه وحى إلهى ، وينادى صباح مساء :

﴿ وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ . نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ . عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ . بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾[2] .

فالقرآن العظيم هو المعجزة الكبرى للرسول وبه وقع التحدى للثقلين ،لكن قد أيد اللّه تعالى رسوله محمداً ـ ﷺ ـ بخوارق للعادات حسية وردت بها الأحاديث الصحيحة مثل نبع الماء من بين أصابعه الشريفة عندما التمس الناس الوضوء فلم يجدوه ، فوضع الرسول الكريم كفه الشريف فى ماء قليل فتوضأ جميع أصحابه وكانوا زهاء ثلاثمائة . .

١ ـ سورة البقرة ـ ٢٣ .
٢ – سورة الشعراء ـ ١٩٢ : ١٩٥ .



ومن المشهور حنين الجذع وأنينه فقد كان النبى - ﷺ - إذا خطب يقوم إلى جذع نخلة فلما صنع له المنبر بكى الجذع وسمع له صوت أنين حتى جاء الرسول - ﷺ - ووضع يده عليه فسكن .

ولعل قصة الإسراء والمعراج من أكبر الخوارق الحسية الدالة على إكرام اللّه تعالى لنبيه محمد - ﷺ - . . .

ومع كل ذلك فإن هذه الخوارق الحسية لم تكن كلها فى مقام التحدى للمشركين ولم تكن فى المقام الأول لدى الذين آمنوا ابتداء بالرسالة لسيدنا محمد - ﷺ - ، فهى قد وقعت لتثبيت قلب النبى والذين آمنوا معه ، وإظهار كفالة اللّه لهم ، وعنايته بأمر نبيه ومصطفاه . .

هذا ومن قضايا الوهم التى يثيرها الحكيم ادعاؤه بأن الرسل السابقين لم يقنعوا البشر بوجود اللّه عن طريق العقل والإدراك الفكرى . .

ولست أدرى هل هناك إنسان بلا عقل على مر التاريخ؟!

وهل العقل هو ميزة القرون الحديثة وكان مفقوداً لدى أسلاف الإنسان؟!

إن هذا تخليط ووهم وخرافة . . فإن حضارات العالم القديم شاهدة بالمقدرة العقلية الفائقة ، وما زال الناس إلى اليوم عاجزين عن إدراك سر بناء الأهرام وتحنيط الموتى . . .

ومن بدهيات الأمور التى تعلمناها أن الأنبياء جميعاً تجب لهم الفطنة والذكاء وقوة الحجة ويقين البرهان ، وأنهم جميعاً قد استطاعوا تبليغ الرسالة على الوجه الأكمل وألزموا قومهم ، وقد سجل القرآن العظيم هذا المعنى ، فقال بالنسبة لنوح عليه السلام :

﴿ قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا ﴾[1] .

وقال بالنسبة لإبراهيم الخليل :

﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ ﴾[2] .

وقال بالنسبة لشعيب :

﴿ قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيراً مِّمَّا تَقُولُ ﴾[3] .

---

١ - سورة هود - ٣٢ . ٢ - سورة الأنعام - ٨٣ . ٣ - سورة هود - ٩١ .



وقال بالنسبة لهود :

﴿ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ ﴾[1] .

وقد دعا الأنبياء جميعاً أقوامهم إلى اللّه تعالى بالاستدلال بآيات الأنفس والآفاق ، أو قوانين العلم ولغته التى يحاول الحيكم أن يقدمها لنا كاكتشاف جديد منه . .

ولنقرأ قول نوح لقومه : ﴿ مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا . وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا . أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا . وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا . وَاللَّهُ أَنْبَتَكُم مِّنَ الأَرْضِ نَبَاتًا . ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا . وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ بِسَاطًا . لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلاً فِجَاجًا ﴾[2] .

فالإنسان هو الإنسان منذ كان ، والإدراك العقلى هو طريقه إلى اللّه رغم أنف أنصار نظرية «دارون» (١٨٠٩ - ١٨٨٢م) وواقعية «أوجست كونت» (١٧٩٨ - ١٨٥٧) .

واقتراح الحكيم بإنشاء قسم أعلى بالأزهر يختار له مالا يزيد على خمسين عالماً من المتفوقين فى الرياضيات العليا من فيزياء وكيمياء وفلك وغير ذلك وينقطع هؤلاء للبحوث العميقة فى العلم والدين . . هذا الاقتراح - بعدما سبقه من افتراءات - هو كذر الرماد فى العيون ، وهو أشبه بالمثل القائل تمخض الجمل فولد فأرا . .

ولعل الحكيم استقى هذا الاقترح من الفيلسوف الإنجليزى «فرنسيس بيكون» (١٥٦١ - ١٦٢٦) فى آخر كتاب له يسمى «أطلانطس الجديدة» تخيلها مدينة يحكمها رجال الفن والمهندسون وعلماء طبقات الأرض ولايحكمها سياسيون . .

ومع هذا فنحن أوفياء لكتاب اللّه المقروء والمنظور . .

ونحن أمناء على آيات اللّه القرآنية والكونية . .

وتلك بضاعتنا . .

وعسى أن ترد إلينا . .

---

١ - سورة الشعراء - ١٣٦ .   ٢ - سورة نوح ١٣ - ٢٠ .



اقتراح لتقريب الأديان

يثير حديث الثلاثاء للأستاذ توفيق الحكيم كثيراً من التخليط ، وتتداخل فيه جوانب الحق والباطل ، وتتوه فيه معالم الرشد الإنسانى .

ولنقرأ هذه العبارة (١٩٨٣/٣/٨) :

(المخلوق : ثم إنك يا ربى تذكر فى قرآنك دائماً بهذا الترتيب التوراة ، والإنجيل والقرآن ، مع أن القرآن ختام كتبك السماوية فما قصدك من ذلك؟

بقدر علمى وفهمى تريد أن نتذكر دائماً أن ما خلقت وأوجدت فى الماضى لا تريد إلغاءه أو إعدامه ، إنما أنت تضيف وتعدل ولا تلغى ما أوجدت) .

ليعلم الحكيم أن عقيدة المسلم هى أن التوراة والإنجيل أنزلهما اللّه تعالى على موسى وعيسى ـ عليهما السلام ـ لبنى إسرائيل خاصة . . قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ. وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾»[١] .

والتوراة والإنجيل يمثلان مرحلتين من مراحل التشريع الإلهى لبنى إسرائيل ، ففى التوراة وضع اللّه تشريعات خاصة تعالج قسوة بنى إسرائيل وغلظتهم وجبروتهم . . قال سبحانه : ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيراً ﴾[٢] .

فلما جاء عيسى بالإنجيل خفف اللّه عنهم بعض التشريعات فقال : ﴿ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ﴾[٣] .

---

١ - سورة الصف ـ ٥ ، ٦ .   ٢ - سورة النساء ـ ١٦٠ .   ٣ - سورة آل عمران ـ ٥٠ .

وهاتان المرحلتان قد انتهيا ببعثة محمد - ﷺ - الذى جاء بالحق وصدق المرسلين ، ورفع عن كاهل الإنسانية القوانين الاستثنائية - إن صح هذا التعبير - فقال سبحانه : ﴿ يُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾(1) .

ولذا كان من دعاء أمة محمد - ﷺ - :

﴿ رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ﴾(2) .

فاللّه تعالى يخلق ما يشاء ويختار ، وله الحكمة البالغة ، وقد حدد لكل أمة كتاباً ، ونسخ من الشرائع ما هو به أعلم ، وأتى من الشرائع ما هو به حكيم . . قال سبحانه : ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾(3) .

ومن هنا فنحن - كمسلمين - نقر ونعترف بكل ما أنزل اللّه فى الزمن الذى حدده اللّه وبالكيفية التى أرادها اللّه . . فالتوراة والإنجيل كتابان أنزلهما اللّه هداية لبنى إسرائيل .

هذا هو الأصل . . وذلك هو المبدأ . . ولكن ماذا حدث؟!

لقد أثبت القرآن أن اليهود والنصارى حرفوا وبدلوا وغيروا ما أنزل اللّه وطمسوا معالم الحق وضيعوا أصول الدين وافتروا على اللّه الكذب .

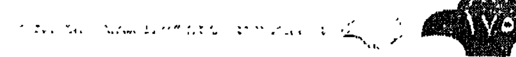
قال اللّه تعالى : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾(4) .

وقال جل شأنه :

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴾(5) .

---

١ - سورة الأعراف - ١٥٧ . ٢ - سورة البقرة - ٢٨٦ . ٣ - سورة البقرة - ١٠٦ .
٤ - سورة البقرة - ٧٩ . ٥ - سورة المائدة - ١٥ .



والحكيم لا يستطيع أن يفرق بين المبدأ وما طرأ عليه فهو يقول : (فوجود موسى وعيسى قبل محمد ليس معناه إلغاءهما وإلا ما كنت ذكرتهما بالتكريم فى قرآنك الخالد) .

إن موسى وعيسى نبيان من أولى العزم من الرسل ، وهما كذلك إلى الآن وإلى يوم القيامة لا يمكن أن يمسهما سوء أو ينال من شرفهما وعصمتهما ومنزلتهما إنسان مسلم .

وهذا غير ما يدعيه اليهود والنصارى حولهما ، فنحن لا نؤمن بما اخترعه الوهم من أساطير وخرافات ، ولا نؤمن بما نسجه الخيال المريض لدى الأحبار والرهبان .

وقد سجل القرآن هذا .

فقال عن اليهود :

﴿ وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾[1] ﴿ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾[2] .

﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾[3] .

﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُوْلَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾[4] .

وقال عن النصارى :

﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ . لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلاَّ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[5] .

---

١ – سورة البقرة ـ ٨٠ .   ٢ – سورة البقرة ـ ٨٧ .   ٣ – سورة آل عمران ـ ١٨١ .
٤ – سورة المائدة ـ ٦٠ .   ٥ – سورة المائدة ـ ٧٢ : ٧٣ .



وقد سجل القرآن على اليهود والنصارى معاً خطيئة التحريف للوحى الإلهى فقال ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾(1) .

وعلى هذا فليس هنالك اليوم كتاب مقدس صحيح النسبة إلى الوحى الإلهى إلا القرآن العظيم .

ونحن نسائل الحكيم :

هل إنجيل متى ويوحنا وبولس ومرقص هو إنجيل عيسى؟!

وهل المزامير وسفر التكوين ونشيد الإنشاد . . هى توراة موسى؟!

وإذا كانت المرحومة زوجة الحكيم تقرأ - كما يقول - الكتب السماوية الثلاثة باعتبار أن القرآن ذكرها بالتكريم وهى حسنة الإسلام - فليس فعلها حجة علينا ولا قدوة لنا ولا تمثل بالنسبة للمسلمين شيئاً . فالتعبد إلى اللّه تعالى إنما يكون بقراءة القرآن فقط فهو وحده الذى يتعبد بتلاوته ويتقرب إلى اللّه به .

أما قراءة ما يسمى الآن بالتوراة والإنجيل فلا يمكن أن يكون على وجه التعبد فلا يعقل أن يتقرب إلى اللّه بكفريات وأساطير وأوهام .

ولعله من البين مدى ما فى العهد القديم من افتراء على اللّه ورسله .

فالإله فى زعم اليهود - يقضى ليله فى النحيب والبكاء حزناً عليهم .

وإبراهيم - فى منطق التوراة المحرفة - يتاجر بامرأته ويدعها تمارس الفاحشة مع ملوك مصر .

ولوط يسقى الخمر من ابنتيه ويضاجعانه .

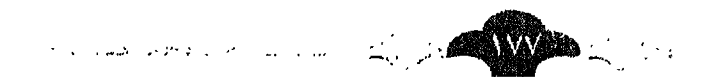
وداود يغرم بجمال امرأة قائده فيقضى منها وطره ويحتال على زوجها فيرسله إلى ميدان المعركة ليقتل .

بل إن نشيد الإنشاد وهو أحد الأسفار المقدسة لديهم عبارة عن قصة غرام وعشق وفيه تشبيب بالمرأة ووصف كامل لجسدها .

واقتراح الحكيم على رجال الدين أن يقرأوا كل الكتب السماوية الأخرى لا تحمله على وجه التعبد وإنما نقرأها دراسة وبحثاً ومقارنة وهذا ما يقوم به الأزهر الشريف فى

---

٤ - سورة آل عمران ـ ٧٨ .



علوم مقارنة الأديان والملل والنحل تلك العلوم التى لها الأصالة الإسلامية ولها تراثها الضخم فى الفكر الإسلامى من أمثال كتب الشهرستانى وابن حزم وغيرهما .

ولست أدرى ماذا يقصد الحكيم من قوله :

(ولقد أرادت حكمتك حث المسلمين على قراءة كتبك السماوية للتقريب بين أديانك) .

أى حكمة عقلتها أيها الحكيم؟!

وأى إنباء عن اللّه وصل إليك؟!

إنى أسوق إليك حديثاً خرجه البخارى فى صحيحه لعله يكون فيصلا فيما نحن بصدده :

قال ابن عباس - رضى اللّه عنهما - : كيف تسألون أهل الكتاب عن شىء وكتابكم الذى أنزل على رسول اللّه - ﷺ - أحدث ، تقرأونه محضا لم يشب وقد حدثكم أن أهل الكتاب بدلوا كتاب اللّه وغيروه وكتبوا بأيديهم الكتاب وقالوا هو من عند اللّه ليشتروا به ثمنا قليلاً؟!

ألا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم؟!

لا واللّه ما رأينا منهم رجلاً يسألكم عن الذى أنزل عليكم» .

وفى البخارى أيضاً :

كان أهل الكتاب على عهد رسول اللّه - ﷺ - يقرأون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام فقال - عليه الصلاة والسلام - :

لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا باللّه وما أنزل إلينا وما أنزل إليكم» .

أيها الحكيم :

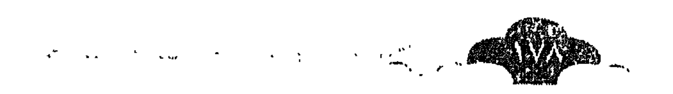
ليس هنا تقريب بين يهودية المادة ونصرانية الثالوث وإسلام التوحيد .

وإنما هناك فقط تقريب بين أتباع هذه الأديان فى تعايش سلمى عبر عنه القرآن العظيم فى قوله :

﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾[1] .

---

١ - سورة الممتحنة - ٨ .





إن لدى الحكيم غرورا متواضعاً أو تواضعاً مغروراً - إن صح هذا التعبير - فهو يصف نفسه أمام خالقه سبحانه بأنه حشرة أو أقل ثم يسوق عبارته التى تخفى عن غروره فيقول : (١٩٨٣/٣/١٥) :

(ولا أظن أن القلادتين الأسمى فى الدولة «الجمهورية والنيل» قد منحتا لشخص واحد . . والأخيرة دعيت ولم أذهب لتسلمها حتى الآن) .

وسواء كان الحكيم راغباً فى القلادتين أو متعالياً عليهما فذلك موقف لا يسوغ له التعالى أمام ثواب اللّه تعالى والاستهزاء بعقابه . . فمن يكون الحكيم أمام اللّه أحكم الحاكمين! .

إننا نجده يسوق عبارات جافة وجوفاء فى هذا المقام فيقول :

(المخلوق : لا أتطلع إلى الجنة لأنها جزاء المتقين .

وأنا لا أريد جزاء ومكافأة على حبك وتقواك .

الخالق : والنار .

المخلوق : لن تجعلها تمسنى) .

موقف غريب وشاذ ومتهافت .

الحكيم محب للّه وعلى تقوى .

ومع هذا فهو لا يريد جزاء ولا شكوراً .

ولا يرضى بالجنة مستقراً ومقاماً .

إن استقراء الكتب السماوية وتتبع جميع الرسالات الإلهية يؤدى إلى نتيجة واحدة هى أن للناس موعداً لا يخلف للحساب والمساءلة إن خيراً فخير وإن شراً فشر . .

والكلمة التى بلغها رسل اللّه جميعاً عبر عنها القرآن العظيم فى قوله سبحانه : ﴿ مَا يُقَالُ لَكَ إِلاَّ مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴾[1] .

---

١ - سورة فصلت - ٤٣ .

والقرآن فى كل مناسبة يجمع بين الجنة والنار فى سياق واحد ، يكاد لا يتخلف ، فلا تذكر الجنة إلا ويقترن بها ذكر النار ، والترغيب والترهيب قانونان متلازمان فى أسلوب الدعوة إلى اللّه سبحانه ، وشأن المؤمن أن يستقر فى قلبه الرجاء من اللّه والخوف منه .

وليفتح الحكيم المصحف الشريف حيث شاء ليجد صدق ما نقول .

وليقرأ – على سبيل المثال – قوله تعالى :

﴿ فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ . وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[1] .

ولكن الحكيم يؤكد تأكيداً قوياً أنه لن تمسه النار مطلقاً ؛ وهو فى هذا الادعاء قد فاق اليهود فى جرأتهم على اللّه فهم يقولون :

﴿ لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ﴾[2] .

فرد اللّه عليهم بقوله :

﴿ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾[3] .

ثم ذكرهم بالقانون العام :

﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٨١) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[4] .

وصاحبنا الحكيم يتعالى ويفرض لنفسه العصمة ويقول :

(فأنا لم أرتكب كبائر ، ولكننى مرتكب لكثير من الصغائر ، وأكثر ما اقترفت من الشر هو بالنية دون الفعل . .) .

---

١ ـ سورة البقرة ٢٤ : ٢٥ .

٢ ـ سورة البقرة ـ ٨٠ .

٣ ـ سورة البقرة ـ ٨٠ .

٤ ـ سورة البقرة ـ ٨١ ، ٨٢ .

فإذا علمنا أن مذهب الحكيم أن اللّه عصم الأنبياء من الفعل دون النية أدركنا المنزلة التى يضع الحكيم فيها نفسه غروراً وجهلاً . . ويستمر حديث الاستهزاء والغرور فيصل إلى حد الطعن فى أسلوب القرآن العظيم فيقول : (١٩٨٣/٣/١٥) .

(ولكنها قدرتك ومعجزتك يا ربى أن تختار ديناً راقياً كالإسلام لينزل فى صحراء قاحلة وقوم بدائيين ، وكان لابد لحكمتك من أن تخاطبهم أحياناً على قدر عقولهم . . وكان أرقى ما اشتغلوا به وقتئذ هى التجارة فاستخدمت فى جذبهم إلى دينك الجديد عبارات مغرية لهم مثل :

﴿ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾(١) .

﴿ إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ ﴾(٢) .

أيها الحكيم .

إن العرب يوم جاءهم الإسلام لم يكونوا أسوأ الأمم ولا أدناهم وإنما هم قوم صفت قرائحهم ، وسلمت لهم طباع كثيرة . ولم يعرفوا الذلة والهوان والاستخذاء ، وعشقوا الطبيعة ، وأحاطوا بالبيت العتيق فى هذه البقعة المباركة التى لم تزل محفوظة من اللّه بالعناية وملحوظة منه سبحانه بالرعاية . . قال تعالى : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴾»(٣) .

والقرآن العظيم لم يخاطب العرب الجاهلين وحدهم وإنما خاطب العالمين من مهبط الوحى من أم القرى ، وأول آية نزلت هى :

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ. خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ. اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ. الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ. عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾(٤) .

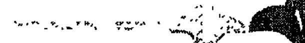
وحدث ما شئت عن :

الخلق – والعلق – والقلم – وما لم يعلمه الإنسان . .

هل هذه مخاطبة على قدر عقل ضامر أو فكر سطحى أو مجاراة لخرافة أو استبقاء لجهالة . .

---

١ ـ سورة الأنعام ـ ١٦٠ .
٢ ـ سورة التغابن ـ ١٧ .
٣ ـ سورة آل عمران ـ ٩٦ .
٤ ـ سورة العلق ـ ١ : ٥ .



ثم هل التجارة من خصائص المجتمع الجاهلى دون سواه؟!

إن التجارة هى لغة الأمس واليوم والغد .

وليس العصر الجاهلى بأحوج إلى التجارة من عصر القمر والصاروخ . . وماذا تفعل وزارات الاقتصاد والتجارة الخارجية والتعاون الدولى والاستثمار وما مشاكل ذلك فى كل بلاد العالم؟!

ثم هل فى لغة الوحى عبارات مغرية تخدع الناس بلا حقائق وتستهويهم بلا اقتناع؟!

إن مضاعفة الحسنات فضل من اللّه .

ومكافأة السيئات عدل إلهى .

وقد وعد سبحانه – ووعده الحق – مضاعفة الحسنة بعشر أمثالها وهذه هى المرتبة الدنيا ، فهناك بعد ذلك الوعد بالحسنة سبعمائة ضعف ، وهناك الوعد ثوابا بغير حساب . . قال تعالى : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[١] .

إن الحكيم يغالى فى غروره فيقول :

(الخالق : الناس تريد الجنة ويعبدون اللّه من أجلها

المخلوق : لست أطلبها .)

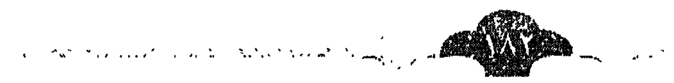
أى جرأة على اللّه فى هذا القول السامج!!

إن الحكيم يزعم أنه يريد المعرفة والجمال ، ويعتبر ذلك مطلباً لم يمنحه اللّه للرسل ولا للملائكة ، ويحاول أن يسند دعواه بأن الرسول ـ ﷺ ـ أوحى إليه ﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾[٢] ثم يسوق الحديث القائل «إن اللّه جميل يحب الجمال» ويقول إن رسول اللّه كان يسافر بالمشط والمرآة والدهن والسواك والكحل .

والغريب فى هذا الاستشهاد أن الرجل متناقض مع نفسه فقد رأيته على شاشة التليفزيون مساء يوم السبت ١٩٨٣/٣/١٩ فى حوار مع الأستاذ فاروق شوشة يقول : إن

---

١ – سورة البقرة ـ ٢٦١ .   ٢ ـ سورة الإسراء ـ ٨٥ .



الناس فى الأربعينيات كانوا يقولون فى الأذان عن رسول اللّه - يا كحيل العين يا أحمر الخدين . .

ووصفهم الحكيم بأنهم جهلاء عاميون وأن ذكر هذه الأوصاف دخيل على الإسلام وأنه يجب أن نتذكر آفاقاً عليا فى حياة الرسول تتصل بالعقل والفكر والتأمل .

فما باله فى حديث الثلاثاء يرجع القهقرى ويستشهد بالمشط والمرآة والكحل والسواك؟!

ومع أن مطلب الحكيم - كما يزعم - هو المعرفة والجمال والحب للّه فإنه يصل فى النهاية إلى تخليط كامل فيجعل عاقبة هذا المطلب هو ضياع معالم الرشد الإنسانى فيقول : (١٩٨٣/٣/١٥) .

(وجاء فى كتابى «أرنى اللّه» عام ١٩٥٣ أن رجلا ذهب إلى ناسك من رجال الدين وقال له : أريد أن أرى اللّه .

فأجابه أن اللّه لا يرى بحواسنا الجسدية ولكنه ينكشف لروحك إذا ظفرت بحبه .

فسأل الرجل : كم مثلاً؟!

فقال الناسك : حذار الطمع ، مستحيل لبشر أن يطيق مثقال ذرة من حبه تعالى ولكنى أسأل اللّه لك ربع ذرة من حبه .

واستجاب اللّه وإذا بالرجل يفقد عقله . .

وحاول الناس أن يكلموه فلم يسمع . .

فقال الناسك للناس : لا جدوى كيف يسمع كلام الآدميين من كان فى قلبه ربع ذرة من حب اللّه ، واللّه لو نشرتموه بالمنشار لما علم بذلك .

إن ربع ذرة من نور اللّه تكفى لتحطيم تركيبنا الآدمى وإتلاف جهازنا العقلى) .

باللّه عليك أى خرافة تلك التى يقدمها لنا الحكيم؟!

إن تركيبنا الآدمى وجهازنا العقلى هو مناط التكريم الإلهى للإنسان .

وإن الأنبياء - وهم صفوة الخلق وأعرف الناس باللّه وجلاله وكماله - عاشوا بين الناس . .

تلقوا الوحى وسمعوا كلام البشر .

عاينوا الملأ الأعلى ومشوا فى الأسواق .

أحبوا اللّه أقدس حب وتزوجوا النساء .

قال تعالى :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ . وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لاَّ يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ . ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنجَيْنَاهُمْ وَمَن نَّشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ﴾[1] .

وأخيراً . . لقد علمنا الأنبياء أن نقف عند حد الأدب أمام اللّه رب العالمين ، فهذا هو رسول اللّه - ﷺ - يقول - كما رواه الشيخان :-

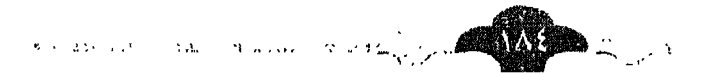
لن ينجى أحداً منكم عمله قالوا : ولا أنت يا رسول اللّه؟

قال : ولا أنا إلا أن يتغمدنى اللّه برحمته .

ولكن سددوا وقاربوا واغدوا وروحوا ، وشىء من الدلجة والقصد القصد تبلغوا» .



١ - سورة الأنبياء ـ ٧ : ٩ .



إلى المتباكين على حرية الفكر

عندما بدأ العلماء يبينون للناس حقائق الدين التى شوهها الحكيم ، تعالت الصيحات ، وولول البعض على الحرية الموءودة ، وتباكوا على ما اسموه الإرهاب الفكرى ، واعتبروا الدفاع عن الدين تطاولاً على العمالقة .

ولعل أخطر ما قيل فى هذا المجال هو ما جاء فى الصفحة الأولى لجريدة الأهرام (١٩٨٣/٣/٢٩) :

(وفى الأسابيع الماضية ظل الحكيم فى حالة مناجاة علوية للذات العلية . . وبكل القدسية والخشوع ، وبكل إيمان المجتهدين تكلم عن النفس ، وعن حركة الكون ، وعن قدرة اللّه الذى ليس كمثله شيء . .

كان قمة فى مناجاة الحضرة العلية .

وكان عملاقاً فى رؤيته لحركة الحياة وفلسفة الإيمان . .)

ثم يغلو الأهرام ويغالى فيقول :

وإذا كان الحكيم فى عمق تفكيره ، وفى صفاء إيمانه قد جسد الشموخ الفكرى فى مناجاته للذات العلية ، وتعرض لما تعرضت له حرية الرأى التى كانت عماد الفلسفة الإسلامية فى حركة التنوير – فإن الأهرام لن يسمح بأن يكون نافذة أو منبرًا لأى إرهاب فكرى يدعى لنفسه حقاً إلهياً فى مصادرة فكر أو تكفير صاحبه) .

وفى الحقيقة فإن هذه العبارات الجوفاء ، والأحكام المتسرعة ، والشطحات الصحفية لم تكن إلا لتزيين القبيح ، وتضليل العامة ، ومجاوزة الخطيئة التى تردت إليها الصحيفة .

وأدع الحكيم نفسه يزن أحاديثه ، ويعطينا الخلفية التى صدرت عنها : هل هى الشموخ الفكرى أم الفراغ الذهنى؟!

وهل هى صفاء الإيمان أم أضغاث أحلام؟!

يقول الحكيم فى ندوة اللواء الإسلامى (١٩٨٣/٤/١٤) :

(هذا الأسلوب لم أتكلفه ، وإنما هو وليد ظروف خاصة بى ، أجتمع فيها مع اللّه سبحانه وتعالى فى حجرة مغلقة بمسكن ليس فيه إلا أنا وهو ، بعد أن وجدت نفسى لا عائلة لى ولا ملاذ إلا هو ، فجاء هذا الحديث كما نشر .

ولم أتوقع أن هذا الحديث يمكن أن يمس عقيدة الناس ، لأنه فى الواقع صدر عن عقيدة مؤمنة بنوع من الإيمان عميق ، والذى جاوز حدود الشكليات والصياغات اللغوية والصياغات حتى الدينية ، لأنه لم يخطر لى أن أكلمه فى خلوة بأساليب دينية لأن هذا فى الواقع كان شعوراً داخلياً .

وشىء آخر هو الذى جعلنى أكتب ، فأنا أنام فى الساعة الحادية عشرة ، وأصحو فى غاية النشاط فأنظر فى الساعة فأجدها الثالثة صباحاً ، أى ليس ميعاد الاستيقاظ ، فماذا أفعل من الثالثة صباحاً حتى السابعة والثامنة؟!

من هنا جاءت الفكرة بأن أستغل هذا الوقت إما بالقراءة أو الكتابة ، فقلت أكتب مناجاتى له فكتبت هذا) .

ومما يؤكد أن قول الصحيفة لم يكن إلا تغطية ساذجة بلهاء لموقفها - أن الحكيم نفسه قد ألقى باللائمة عليها .

ففى ندوة اللواء الإسلامى (١٩٨٣/٣/٢٤) قال الحكيم :

(كان يجب أن يراجعنى من سيقوم بالنشر ، وأنا لا أريد أن ألقى مسئولية ، وإنما هم فى هذا الموقف ، يعنى لو كانت مجلة دينية كنت أنا مطمئناً وهم مطمئنون لأن هناك مراجعة من وجهة نظر الذى سيقرأ . .) .

وفى ندوة اللواء الإسلامى (١٩٨٣/٤/١٤) قال الحكيم :

(بعد ذلك جاء بالمصادفة خبر هذه المقالات لبعض زملائنا هنا فى صحفية الأهرام فقالوا لى : أنت كتبت إذن نحن ننشر . .!!

قلت لهم : لا ، هذه المقالات ليست للنشر ، انظروا فيها أولاً فنظروا فيها وإذا هم ينشرونها .

ولم أتوقع أبدا أن تنشر مناجاتى للّه بهذا الأسلوب الذى اعتدته . .)

أظن بعد هذا أنه قد برح الخفاء ، وظهر الصبح لذى عينين ، وكانت الحقيقة التى حاول الأهرام إخفاءها بهذه الكلمة التى صدرها فى صفحته الأولى .

وأحب أن أقول لكل من يتباكى على حرية الفكر :

إن القرآن العظيم قد أرسى قواعد البحث وأصول التفكير كما يلى :

١ – حرر العقل من رواسب التقليد وعادات البيئة فقال : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلا يَهْتَدُونَ ﴾(١) .

٢ – نعى على اتباع الظن والهوى فقال :

﴿ وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴾(٢) .

٣ – أرشد إلى العناية بحواس الإنسان واستخدامها فيما خلقت له فقال :

﴿ وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً ﴾(٣) .

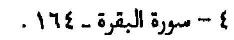
٤ – أمر بالبحث فى ملكوت السموات والأرض فقال :

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾(٤) .

٥ – لفت النظر إلى قوانين الاجتماع ونواميس الكون ، وأكد استمرارها ولن تجد لسنة اللّه تبديلا فقال :

﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ. هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾(٥) .

والقرآن المجيد قد أحصى الجدل الذى دار على عهد النبوة إحصاء دقيقاً ، وفصل الشبهات تفصيلاً تاماً فى الألوهية والوحدانية ، والبعث والنشور ، والنبوة والرسالة .



١ – سورة البقرة ـ ١٧٠ .   ٢ – سورة النجم ـ ٢٨ .   ٣ – سورة الإسراء ـ ٣٦ .

٤ – سورة البقرة ـ ١٦٤ .   ٥ – سورة آل عمران ـ ١٣٧ : ١٣٨ .



وأردفها بالدليل والبرهان ، وكان الشعار دائما هو :

﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾[1] .

﴿ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا ﴾[2] .

وهكذا فنحن أحرص الناس على حرية الفكر الراشد والنقد البناء .

كما أحب أن أقول لكل من يتباكى على عمالقة الفكر :

إن المنهج الإسلامى علمنا مجموعة أصول صارت مضرب الأمثال :

١ - اعرف الرجال بالحق ولا تعرف الحق بالرجال .

فنحن جميعاً نلتقى على مقاييس عادلة وموازين صادقة نابعة من قيم الدين والعقل الراشد والمثل العليا نقيس بها الرجال ومواقفهم .

فمن صادف الحق فهو أهل للتكريم ومن نأى عنه أخذنا منه حذرنا ونصحنا له ثم هو بعد لا يضر إلا نفسه .

٢ - كل إنسان يؤخذ منه ويرد عليه إلا صاحب الروضة الشريفة . . فلا كبير على النقد ولا عظيم على الحق ، والكل تحت لواء الإسلام يأمر بالمعروف أو يأتمر به ، وينهى عن المنكر أو ينتهى عنه ، ولا خير فيمن لا يقول كلمة الحق ولا خير فيمن لا يقبلها . .

وبذلك نعلى صرح الحرية المسئولة .

٣ - هم رجال ونحن رجال .

فالعقل ليس حكراً على أحد بعينه فهو أعدل الأشياء قسمة بين البشر . .

ولكن لكل إنسان مجاله الذى تمرس فيه .

والدين ليس كهنوتا له سدنته ، وشرع اللّه للجميع عقيدة وسلوكاً .

ولكن الفقه فى الدين له رجاله الذين يدعون إلى اللّه على بصيرة ، والاجتهاد مباح لكل من يملك مؤهلاته .

وقوله عليه ـ الصلاة والسلام ـ كما فى صحيح مسلم ـ : «إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر» .

---

١ ـ سورة البقرة ـ ١١١ .　　٢ ـ سورة الأنعام ـ ١٤٨ .



قال الإمام النووى :

قال العلماء أجمع المسلمون على أن هذا الحديث فى حاكم عالم أهل للحكم فإن أصاب فله أجران أجر اجتهاده وأجر إصابته وإن أخطأ فله أجر اجتهاده .

وأما من ليس بأهل للحكم فلا يحل له الحكم فإن حكم فلا أجر له بل هو آثم ولا ينفذ حكمه سواء وافق الحق أم لا ، لأن إصابته اتفاقية ليست صادرة عن أصل شرعى فهو عاصٍ فى جميع أحكامه سواء وافق الصواب أم لا ، وهى مردودة كلها ولا يعذر فى شىء من ذلك ، وقد جاء فى الحديث فى السنن :

«القضاة ثلاثة قاض فى الجنة واثنان فى النار ، قاض عرف الحق فقضى به فهو فى الجنة .

وقاض عرف الحق فقضى بخلافه فهو فى النار . .

وقاض قضى على جهل فهو فى النار»[1] .

وهذا التحقيق فى القضاء هو بعينه ما يجب أن يكون عليه الفكر ، فليس كل من خط بالقلم مفكراً .

وليس كل من كتب مجتهداً .

وليس كل خلاف جاء معتبراً إلا خلاف له حظ من النظر

وأخيراً : فيهمنى جداً ويسعدنى أن أسجل كلمة للأستاذ توفيق الحكيم قالها فى مفتتح حديثه الأخير (١٩٨٣/٣/٢٢) :

(المخلوق : ألهمنى الصواب يا ربى ، فأنا أخشى أن أكون مخطئاً فى حديثى إليك ، فلقد أنشأت فى هذا الحديث علاقة بذاتك العلية ليست مما يستسيغه الناس بين الخالق والمخلوق ، ولم يفهموا أنها مجرد مناجاة من مخلوق لخالقه ، مناجاة حب علوى ليس مما يفهم أو يؤخذ بالمدلول العادى ، من أنه تطاول على الذات الإلهية ، وهو ما لا يمكن أن يخطر على بال أى مؤمن بالله ورسوله .

وحسبى الله ونعم الوكيل فيمن فهمنى خطأ ورمانى بالضلال دون أن ينتظر حسابك أنت يا ربى يوم الحساب ، ومع ذلك ألتمس منك المغفرة لمن ظلمنى ولى إذا كنت سهوت أو أخطأت .

وأنت الغفور الرحيم . .)

---

١ - شرح النووى على صحيح مسلم جـ ١٢ ص ١٣ .

والشيء بالشيء يذكر ، فإذا كان كتاب «خريف الغضب» لرئيس تحرير الأهرام الأسبق (محمد حسنين هيكل) ومقالات الطبيب - كاتب الأهرام المختار (يوسف إدريس) ، قد أثارت الدوائر السياسية والشعبية ، ونبهت الأذهان إلى قضايا :

كرامة الموتى - وأمانة العرض - والانتماء الوطنى .

فما موقف الأهرام من طبيبها الخاص صاحب المفكرة؟!

لقد نشرت من مفكرته الكثير مما يسيء إلى سياسة الدولة وينال من كرامة الزعماء .

ووقف رئيس الجمهورية فى خطاب أول مايو سنة ١٩٨٣ يندد بفكره وينذر من الاستمرار فى هذا الخط الفكرى المنحرف . . وإذا بالأهرام نفسه بين عشية وضحاها ينادى بشرف مصر ويكتب رأيه فيقول : ١٩٨٣/٥/٢

(هل تستحق مصر الحضارة والعراقة والكبرياء ، مصر النضال والشرف والإرادة ما يفعله بها بعض بنيها من أهل العقوق والمروق والنكران؟

هل تستحق مصر الديمقراطية والحرية والبناء ، هذه المعاول التى تهوى عليها من بعض الشواذ الحانقين الذين يريدون تصفية حسابات وأهواء شخصية على حساب أمجاد مصر ، وهم فى ذلك يتنكرون لكل القيم والتقاليد والأعراف والأخلاق ، التى هى الكيان الروحى والقيمة العظمى لمصر - فى منطقتها وفى العالم على مدار التاريخ؟

ألا عرف هؤلاء أن الحرية دائما ترتهن بحريات الآخرين ، وأن هناك حدوداً للممارسات الخاصة ، هى العرف والأخلاق التى سرت فى دمائنا جميعاً مع مياه نيلنا العظيم ، كما أن هناك حدوداً للممارسة العامة هى الالتزام والواجب إزاء حقوق المجتمع ككل ، مجتمع مصر التكافل والمبادئ والترفع؟

ألا يدرك هؤلاء أن الانسياق فى تيار الأهواء بدعوى الحرية ، إنما هو انفلات وتهتك فى المسيرة الخاصة ، ودعوة إلى الفوضى والتدهور فى المسيرة العامة ، وهو أمر مرفوض على الوجهين فى أى مجتمع يحترم نفسه ، ويحترم تقاليده الأخلاقية والسياسية .

فما بالنا بمجتمع مصر الحضارة والتاريخ الذى وردت الأمم جميعاً على منابع عظمته) .

خبرونى بالله عليكم :

فما الفرق بين هذه القضية وقضية الحكيم؟!



هل هذه القضية سياسية وتلك قضية دينية؟

وهل للسياسة أنصار وليس للدين علماء؟

وهل ملاحقة الانحراف السياسى واجب قومى وملاحقة الانحراف الدينى كهنوت أزهرى؟

أيها السادة :

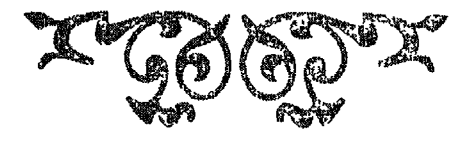
إن الوفاء للّه مقدمة الوفاء للبشر .

وإن الالتزام بعهد اللّه مقدمة الالتزام بعهود البشر .

وإن الحفاظ على قدسية اللّه مقدمة الحفاظ على كرامة البشر .

ولن يكون هناك قيم أو أخلاق أو مثل إلا من خلال الإيمان باللّه والاستقامة على دينه .

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾[1] .



---

١ - سورة فصلت ـ ٣٣ .

الرسول الداعية
ورجل الإعلام الإسلامى الأول

بحث

قدم إلى :

ندوة الإعلام الإسلامى
بين تحديات الواقع وطموحات المستقبل
التى نظمتها مؤسسة «اقرأ» الخيرية
بالتعاون مع جامعة الأزهر
فى ذى القعدة ١٤١٢هـ
مايو ١٩٩٢م

بين الدعوة والإعلام

إن رسالة الإسلام عالمية الزمان والمكان ، فلا تقف عند زمن معين ، ولا يحدها مكان خاص ، ولا تخاطب جنساً دون جنس ، فهى رسالة موجهة إلى العالمين . . وقد أكد القرآن المجيد مراراً أن دعوة الإسلام موجهة إلى العرب بخصوصهم ، وإلى غير العرب بعمومهم ، فقال اللّه تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ . وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾[1] .

فالأميون هم العرب لأنهم أمة أمية لا تقرأ ولا تكتب ، ولم ينزل عليهم كتاب من قبل ، ولا بعث إليهم رسول منذ إسماعيل ـ عليه السلام ـ .

والآخرون هم غير العرب من أى جنس كان . .

وقال اللّه تعالى : ﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ . . ﴾[1] فالخطاب لأهل مكة فى قوله ﴿ لأُنذِرَكُم بِهِ ﴾ ، والمراد بقوله «ومن بلغ» كل من بلغه القرآن من العرب والعجم إلى يوم القيامة .

وقيل فى معنى «من بلغ» أى احتلم وبلغ سن التكليف ، وهو دليل أيضاً على عموم الدعوة ، فكل من وصل إلى سن التكليف من العرب والعجم فهو مطالب شرعاً بعقيدة الإسلام وشريعة القرآن . .

وجاءت آية من كتاب اللّه تعالى تصف القرآن بأنه عربى وتؤكد فى الوقت ذاته أنه رسالة عالمية موجهة إلى الناس فى أم القرى وما حولها . . قال اللّه تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴾[3] .

فالوصف بأم القرى يعنى العموم من حيث إن مكة المكرمة هى قبلة أهل الأرض

---

١ - سورة الجمعة ـ ٢ : ٣ .　　٢ - سورة الأنعام ـ ١٩ .　　٣ - سورة الشورى ـ ٧ .



بالكعبة المشرفة حجاً وصلاة ، وقوله تعالى﴿ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ لا يقتصر على بقعة أو بيئة بل تمتد الحولية حتى نهاية العالم . .

وعندنا يوصف القرآن بأنه حكم عربى لا يعنى أكثر من أن أمة العرب تتحمل أمانة الدعوة إلى هذا الدين القيم وتأتى فى المقدمة وتتلوها أم الأرض . . قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَئَابِ . وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلا وَاقٍ ﴾[1] .

وعربية اللسان لا تمنع عالمية الدعوة والرسالة ، وليس معقولاً أن ينزل القرآن بجميع اللغات ، وقد جرت سنة الله أن ينزل الوحى بلسان واحد هو لسان البيئة التى نشأ فيها الرسول ، قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ ﴾[2] .

وقد جاءت آيات من القرآن المجيد تتخطى تحديد طوائف المكلفين بأوصافهم الخاصة كعربى وعجمى ، ويهودى ونصرانى ، وإنس وجن – إلى التعبير العام الشامل الذى لا يند عنه أحد . .

ففى سورة القلم وهى الثانية نزولاً بعد سورة العلق جاء ختامها قوله تعالى : ﴿ وَمَا هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴾[3] .

وفى سورة التكوير وهى مكية أيضاً جاء قوله تعالى : ﴿ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴾[4] ، وفى مفتتح سورة الفرقان جاء قوله تعالى : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً ﴾[5] .

وجاء فى سورة الأنبياء نمط آخر للتعبير عن هذه العالمية بوصف الرسالة المحمدية بأنها رحمة عامة فقال : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾[6] .

ولعل الوصف بالذكر فى سورتى القلم والتكوير ، ثم الإنذار فى سورة الفرقان ، ثم الرحمة فى سورة الأنبياء – له دلالته ، فالإسلام شرف لمن اعتقده وصدق به ، ثم إذا لم يستجب البعض فلا بد من ملاحقة العدل الإلهى لهؤلاء المكذبين ، وعلى كل فالرحمة لا تنفك عن الدعوة فى حال التصديق بها أو التكذيب ، كما قال تعالى :

---

١ – سورة الرعد ٣٦ : ٣٧ .
٢ – سورة إبراهيم ـ ٤ .
٣ ـ سورة القلم ـ ٥٢ .
٤ ـ سورة التكوير ـ ٢٧ .
٥ ـ سورة الفرقان ـ ١ .
٦ ـ سورة الأنبياء ـ ١٠٧ .



﴿ لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾[1] .

وفى سورة الأعراف توجهت الآيات إلى مخاطبة أهل الكتاب من اليهود والنصارى وألزمتهم ضرورة التصديق بالنبى الأمى الذى يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والإنجيل ، ثم جاء الخطاب عاماً شاملاً فى قوله تعالى :

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[2] .

هذه العقيدة الإسلامية وتلك الدعوة العالمية تحتاج إلى بلاغ وتبليغ وإعلام فالإنسان يعيش مع بنى جنسه ، ويتعامل مع ماضيه ومستقبله باللغة ولا تنفك حياة الإنسان عن لغة .

وقد جعل اللّه تعالى اللغة من مظاهر قدرته وقرنها بإبداع السموات والأرض فقال : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ ﴾[3] .

وقد اهتم القرآن كثيراً بالشهادة اللغوية النابعة من صدق اليقين والمعلنة عن جوهر الإيمان فقال : ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُل لاَّ أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾[4] .

ولنلاحظ التعبير القرآنى «قل ، فقد تكرر فى هذه الآية أربع مرات ، كما تكررت كلمة الشهادة نفس العدد – مما يؤكد الاتصال الوثيق بين الشهادة اللغوية واليقين القلبى . .

وقد ربط اللّه تعالى تكليف البشر ببعثة الرسل وتبليغهم الرسالة فقال : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾»[5] .

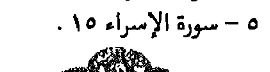
فالثواب والعقاب الإلهيان موقوفان على بلوغ الدعوة على وجهها الصحيح ، ومن لم تبلغه الدعوة لا يسأل عنها . .

وكل هذا يؤكد الرباط المقدس بين الدعوة والإعلام .

---

١ – سورة الممتحنة ٨ .　٢ – سورة الأعراف ١٥٨ .　٣ – سورة الروم ٢٢ .

٤ – سورة الأنعام ١٩ .　٥ – سورة الإسراء ١٥ .



الرسول الداعية

(أ) شخصية الداعية

إن الإسلام يوم دعا الناس فى مكة إلى عقائده لم يكن لديه مغريات مادية يقدمها للناس ، فالحق وحده له سناؤه وصولته ، وشخصية الداعية هى محور الدائرة فى نجاح الدعوة .

وشخصية سيدنا محمد - ﷺ - أعمق من أن تصفها كلمات أو عبارات ، وحسبك أن يجد فيها كل إنسان مناط قدوة حسنة فى كافة الأحوال ، سرّائها وضرّائها ، يسرها وعسرها . .

وأهم ما يميز شخصية الداعية هو الثبات على المبدأ والاعتزاز به مهما كانت العوائق والمثبطات . .

وتحدثنا كتب السيرة أن وفدًا من قريش ذهب إلى أبى طالب وقال له :

يا أبا طالب إن لك سنا وشرفاً ومنزلة فينا ، وإنا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنه ، وإنا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا وتسفيه أحلامنا وعيب آلهتنا حتى تكفه عنا ، أو ننازله وإياك فى ذلك حتى يهلك أحد الفريقين . .

فلما عرض أبو طالب الأمر على رسول الله - ﷺ - حلق ببصره إلى السماء ثم قال -كما أخرج الطبرانى والبخارى فى التاريخ :-

والله ما أنا بأقدر أن أدع ما بعثت به من أن يشعل أحدكم من هذه الشمس شعلة من نار .

ومرة أخرى انحنى التاريخ وهو يسجل هذه العبارة لرسول الله - ﷺ - :

- يا عم والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته» .

وشأن الداعية أن يبدأ بأهله وعشيرته وأقربائه ليكونوا سنداً له ، أو ليكونوا حجة له ، وهذا ما حدث من رسول الله - ﷺ - ، فعندما نزل قوله تعالى ﴿ **وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ** ﴾[1] - خرج حتى علا المروة ونادى على بطون قريش ، فلما حضروا قال لهم :

---

١ - سورة الشعراء ٢١٤ .

إن اللّه أمرنى أن أنذر عشيرتى الأقربين ، وأنتم الأقربون من قريش ، وإنى لا أملك لكم من اللّه حظا ، ولا من الآخرة نصيباً إلا أن تقولوا لا إله إلا اللّه ، فأشهد بها لكم عند ربكم وتدين لكم العرب وتذل لكم بها العجم»

وفى رواية أنه - ﷺ - صعد الصفا ثم نادى : يا صباحاه - وهى كلمة استغاثة ، فاجتمع الناس إليه ، فقال - عليه الصلاة والسلام - :

يا بنى عبد المطلب ، يا بنى فهد ، يا بنى كعب . . أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم صدقتمونى؟ قالوا : نعم ، قال : فإنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد ، فقال أبو لهب : تبا لك سائر اليوم أما دعوتنا إلا لهذا ؟! فأنزل اللّه عز وجل ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾[1] . .

والحق لا يقاس بالأعداد ولا يعرف بالرجال ، وإنما يعلمنا المنهج الإسلامى أن الرجال يعرفون بالحق ويوزنون به ، ولهذا لا يضير الداعية قلة الأتباع أو انصراف الناس عنه فى لحظة من اللحظات ، وحسبه أن يقف معه من آمن على بصيرة ، وصدق ما عاهد اللّه عليه ، وفى صحيح الحديث أن الرسول - ﷺ - قال لعلى بن أبى طالب يوم خيبر : فوالله لأن يهدى اللّه بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم .

وحمر النعم هى الإبل حمراء اللون ، وكان العرب يعدونها من أنفس الأموال .

وداعية الحق والصدق يعرف دائماً أن العاقبة للمتقين وأن فجر النصر حليف المؤمنين مهما طال الليل ، وهذا ما يجب أن يشعر به الدعاة من تفاؤل كبير وثقة بوعد اللّه فى مثل قوله تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ﴾[2] .

وأخرج أحمد والطبرانى عن تميم الدارى - رضي الله عنه - قال : سمعت رسول اللّه - ﷺ - يقول :

«ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار» .

أى سينتشر فى الآفاق ويعيش المسلمون أوفياء لدينهم فى مشارق الأرض ومغاربها . .

---

١ - سورة المسد - ١ .

٢ - سورة النور - ٥٥ .



وقد صدق اللّه وعده ونصر عبده وأعز جنده ، وقامت حضارة الإسلام وحققت فى دنيا الناس الفردوس الأرضى فى ظلال المنهج الإلهى الأسمى . .

(ب) أدب الدعوة

جاء فى صحيح البخارى عن عائشة زوج النبى - ﷺ - أنها قالت للرسول الكريم : هل أتى عليك يوم كان أشد من أحد؟!

فقال - عليه الصلاة والسلام - : **لقد لقيت من قومك ما لقيت ، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة (يوم الطائف) إذ عرضت نفسى على ابن عبد ياليل بن عبد كلال ، فلم يجبنى إلى ما أردت ، فانطلقت وأنا مهموم - على وجهى فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب ، فرفعت رأسى فإذا أنا بسحابة قد أظلتنى ، فنظرت فإذا فيها جبريل فنادانى فقال :**

إن اللّه قد سمع قول قومك لك وما ردوا به عليك ، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم .

فنادانى ملك الجبال فسلم علىّ ثم قال :

يا محمد الأمر لك ، فما شئت ، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين؟ (وهما جبلان محيطان بمكة) .

ماذا كان رد الرسول الداعية فى هذا الموقف الذى دميت فيه قدماه الشريفتان من الحجارة التى رضخه بها السفهاء والصبيان من أهل الطائف؟!

لقد قال عليه الصلاة والسلام : **بل أرجو أن يخرج اللّه من أصلابهم من يعبد اللّه وحده لا يشرك به شيئاً . .!!**

إن الدعوة إلى اللّه تعالى ليست تسلطا على رقاب الناس ، وليست لعنات تصب عليهم ، وإنما هى حكمة وموعظة حسنة ، وشعور من الأخوة فياض يسعى إلى أن يكون الناس سعداء بدين اللّه . .

ويعبر عن هذا المعنى قول اللّه تعالى على لسان نبى اللّه شعيب : ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[1] .

---

١ - سورة هود ٨٨ .



لقد كان من عادة سيدنا محمد - ﷺ - أن يعمم النصيحة ولا يجابه أحداً بما يكره ما دام هذا كافياً للإصلاح ، فشعاره الدائم :

ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا . .!!

حتى فى أصعب المواقف وأشدها على النفس ، وآلمها على القلب ، مثل حادثة الإفك التى روج لها عبد اللّه بن أُبىّ زعيم المنافقين ورأس الفتنة ، وقف الرسول - ﷺ - على المنبر وقال : **يا معشر المسلمين من يعذرنى من رجلٍ قد بلغنى أذاه فى أهلي ، فواللّه ما عملت على أهلى إلا خيراً ، ولقد ذكروا رجلاً ما عملت عليه إلا خيراً ، وما كان يدخل على أهلى إلا معى . .**

هذا ومن واجب الداعية وأدب الدعوة معاً أن يبادر المرء إلى تصحيح الخطأ ولفت الأنظار إلى الحق ، مع عدم استغلال الأحداث فى اصطناع مجد زائف أو بطولة متهافتة . .

وذات يوم انكسفت الشمس على عهد رسول اللّه - ﷺ - ، وصادف ذلك يوم مات ابنه إبراهيم فقال الناس : انكسفت الشمس لموت إبراهيم . .

لقد ظن الناس يومئذ أن كسوف الشمس لون من ألوان الحداد الكونى على موت إبراهيم ابن المصطفى الكريم . .

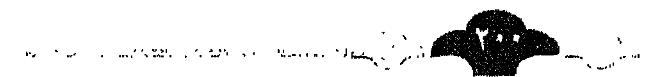
ولكن الرسول الإنسان – وهو فى موقفه العصيب – لم ينس واجب الدعوة وضرورة تصحيح مفاهيم الناس ، فقام مسرعاً يجر رداءه حتى دخل المسجد وجمع الناس لصلاة جامعة ثم قال :

«إن الشمس والقمر آيتان من آيات اللّه لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته فإذا رأيتم ذلك فصلوا وادعوا اللّه حتى ينكشف ما بكم» . .

ومن أدب الدعوة أيضاً الرفق بالجاهل وتعليمه فى أناة وصبر من غير تعنيف وتسفيه ، وأسوق هنا واقعة لو رآها أحد اليوم ما سلمت من جلبة وعنف وشحناء . .

ففى الحديث الصحيح عن أنس بن مالك - رضى اللّه عنه - قال : بينما نحن فى المسجد مع رسول الله - ﷺ - إذ جاء أعرابى فقام يبول فى المسجد ، فقال أصحاب رسول اللّه - ﷺ - : مه . . مه .

قال - عليه الصلاة والسلام - : **لا تزرموه (لا تقطعوا عليه بوله) ، دعوه ، فتركوه حتى بال . .**



ثم إن رسول اللّه ﷺ دعاه فقال له :

«إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر ، وإنما هى لذكر اللّه عز وجل والصلاة وقراءة القرآن» . .

ثم أمر الرسول رجلاً من القوم فجاء بدلوا من ماء فشنه عليه (أى صبه على موضع النجاسة) .

وهكذا أمرهم الرسول الداعية بالكف عن الأعرابى الجافى ارتكاباً لأخف الضررين ، لأنه إن قطع بوله أضر بنفسه وإن استمر ربما نفر فنجس مواضع أخرى من المسجد ، وقد ينجس بدنه فيزداد الأمر اتساعاً وتزداد النجاسة انتشاراً ، ولهذا تركه الرسول الداعية حتى انتهى فدعاه وعلمه فى رفق ناصح وليس فى عنف معير . .

(جـ) بأساء الدعوة :

الصراع بين الحق والباطل قديم قدم الإنسان ، عميق عمق التاريخ ، باق إلى أن يرث اللّه الأرض ومن عليها . . قال اللّه تعالى : ﴿ **وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ** ﴾[1] .

والشدائد محك الرجولة ومجال تربية العزائم ، ومن الخير أن تظهر النفسيات على حقيقتها ، وصدق اللّه حيث يقول : ﴿ **وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ** ﴾[2] .

وعلى هذه السنة كان سير الدعوة الإسلامية ، فقد أذن سيدنا محمد - ﷺ - فى قومه بالتوحيد والفضيلة وعز الدارين ، فما كان من قومه إلا النفور والاستكبار وقلب الحقائق ، وقالوا ، كما حكى القرآن : ﴿ **أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ** ﴾[3] .

وفى رفضهم للدعوة وعنادهم للحق سلكوا مسالك شتى :

بدأوا مرحلة من الإيذاء الفردى فأطلقوا أيديهم وألسنتهم بالسوء على الرسول والمسلمين . .

---

١ - سورة البقرة ٢٥١ . ٢ - سورة محمد ٣١ . ٣ - سورة ص ٥ .



وقـد أخـرج البـخـارى عـن عـروة - ﷺ - قـال : سـألت ابـن العـاص - ﷺ - ، فـقلت : أخبـرنى بأشـد شىء صنعـه المشركـون برسـول اللّـه - ﷺ - قـال : بينـمـا النبى - ﷺ - يصلـى فى حجـر الكعبة إذ أقبـل عقبة بن أبـى معيط فوضـع ثوبـه على عنقـه فخنقـه خقـناً شديداً ، فأقبـل أبو بكـر - ﷺ - حتى أخـذ بمنكـبه ودفعـه عـن النبى - ﷺ - وقـال : ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ ﴾[1] .

وقد سجل القرآن ما وصف به المشركون رسول اللّه عليه وسلم من السحر والشعر والكهانة والجنون والكذب فى أكثر من آية وفى أكثر من سورة . . قال اللّه تعالى : ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا إِفْكٌ مُّفْتَرًى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾[2] .

ولما فشل المشركون فى هذا الجانب لجأوا إلى المساومة والإغراء ، فجاء أشراف قريش وعرضوا عرضاً سخياً على رسول اللّه - ﷺ - وقالوا : إن كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب به مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً ، وإن كنت تطلب به الشرف فينا فنحن نسودك علينا ، وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا ، وإن كان هذا الذى يأتيك رئياً تراه قد غلب عليك – وكانوا يسمون التابع من الجن رئياً – فربما كان ذلك ، بذلنا لك أموالنا فى طلب الطب لك حتى نبرئك منه أو نعذر فيك . . .

فقال - عليه الصلاة والسلام - :

ما بى ما تقولون ، ما جئت بما جئتكم به أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم ولكن اللّه بعثنى إليكم رسولاً ، وأنزل علىّ كتاباً ، وأمرنى أن أكون لكم بشيراً ونذيراً ، فبلغت رسالات ربى ونصحت لكم ، فإن تقبلوا منى ماجئتكم به فهو حظكم فى الدنيا والآخرة . وإن تردوه علىّ أصبر لأمر اللّه حتى يحكم بينى وبينكم»[3] .

---

١ - سورة غافر - ٢٨ . ٢ - سورة سبأ - ٤٣ .

٣ - راجع سيرة ابن هشام جـ١ ص٢٩٥ ط الحلبى سنة ١٩٥٥م

حينئذ تابع المشركون وسائل العنف والإكراه وتحولوا إلى سياسة التجويع والمقاطعة فتركوا بنى هاشم وبنى المطلب جميعاً فى شعب بالجبل فى عزلة تامة ومنعوا عنهم كل أسباب الحياة مدة ثلاث سنين أكل المسلمون خلالها أوراق الأشجار . .

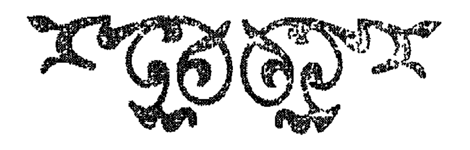
ووسط هذه المحن وقف الرسول الداعية وأصحابه كالطود الشامخ ، فما زلزل أقدامهم وعيد ولا نال من عقيدتهم تعذيب ، واطمأنوا إلى وعد اللّه تعالى فى مثل قوله : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ وَلا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴾[٤] .

وعندما هاجر الرسول - ﷺ - من مكة إلى المدينة بعدما ائتمر به المشركون ليقتلوه - خرج وهو يتلفت إلى موطنه مولدا ونشأة وأهلاً ، ويقول : واللّه إنك لأحب أرض اللّه إلى اللّه وأحب أرض اللّه إلىّ ، ولولا أن قومك أخرجونى ما خرجت . .!!

ولما أذن اللّه تعالى لنبيه والمسلمين بالقتال رداً للعدوان ودفعا للظلم وتأميناً للعقيدة ، وقعت شدة شديدة وبأساء مؤلمة ، فقد كسرت رباعية رسول اللّه يوم أحد ، وشج فى رأسه ، وقتل عمه حمزة ، وكثر الشهداء من المسلمين على مدى عشر سنوات ، هى مدة إقامته بالمدينة بعد الهجرة . .

ومع ذلك فقد جاء نصر اللّه والفتح ودخل الناس فى دين اللّه أفواجاً . . فالإيمان ليس شهوة نفس ومتعة حياة ، ولكنه قيم فاضلة ومثل رائدة فى حياة المجتمع المثالى . .

والإسلام لا يقدم للناس إغراء مادياً أو جنسياً ولكنه الدين القيم والرسالة الخاتمة والحق الذى يهدى للتى هى أقوم . .



١ - سورة يوسف ١١٠



وسائل الدعوة النبوية

استخدم الرسول الداعية فى دعوته وسائل متعددة وأساليب مختلفة خاطبت الناس على قدر عقولهم وواجهت كل موقف بما يناسبه . .

لقد واجه الرسول - ﷺ - رجالاً ونساء وصبية ، وخاطب عرباً وعجماً ، وناقش مسلمين ويهوداً ونصارى ، وتعاهد مع المشركين وأهل الكتاب ، واستقبل أعداء وأصدقاء . .

ويصعب علينا استقصاء تلك الأساليب والوسائل ، ويكفى أن نوجزها ونشير إليها فيما يلى ؛ على أن نعود إليها مرة أخرى بتوسع فى كتاب مستقل إن شاء الله :

١ - الخطبة:

للخطابة دور مهم على مدار التاريخ الإنسانى عامة والتاريخ الإسلامى خاصة ، وقد استخدمها الرسول - ﷺ - فى اللقاءات العامة والجمع والأعياد ، وفى مناسبات شتى كالجهاد والنكاح والموت والكسوف والخسوف وغير ذلك . .

وجاء فى صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله قال : كان رسول الله - ﷺ - إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش ويقول : **صبحكم ومساكم ، ويقول : بعثت أنا والساعة كهاتين ، ويقرن بين أصبعيه السبابة والوسطى ، ويقول : أما بعد - فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدى هدى محمد ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل بدعة ضلالة ، ثم يقول : أنا أولى بكل مؤمن من نفسه ، ومن ترك مالاً فلأهله ، ومن ترك ديناً أو ضياعاً[1] فإلىّ وعلىّ . .**

يبين لنا هذا الحديث الشريف حرص سيدنا رسول الله على أمته ، فعند الخطبة المتعلقة بأمر جلل ينفعل انفعالاً يتناسب مع الموقف ، وقد سجل القرآن المجيد هذا المعنى فى قوله تعالى : ﴿ **لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ** ﴾[2] .

---

١ - أولادا صغارا .

٢ - سورة التوبة - ١٢٨ .



لكن هذا الانفعال لا يخرج عن حدوده المعقولة ، ولا ينقلب إلى حركة هوجاء ، وقد أخرج مسلم فى صحيحه أن عمارة بن رؤيبة رأى بشر بن مروان على المنبر رافعاً يديه فقال «**قبح الله هاتين اليدين ، لقد رأيت رسول الله ـ ﷺ ـ ما يزيد على أن يقول بيده هكذا ، وأشار بأصبعه المسبحة**» .

ولم تكن خطبة رسول الله طويلة مملة ، بل كانت صلاته قصدا وخطبته قصدا ، وليست القضية متعلقة بالكم الذى يقال ، وإنما هى أساساً متعلقة بصدق العبارة وإخلاص القصد وحكمة التوجيه ومراعاة مقتضى الحال .

وفى أول خطبة وجهها الرسول ـ ﷺ ـ إلى قومه بمكة يدعوهم فيها إلى الإيمان قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه :

إن الرائد لا يكذب أهله ، والله لو كذبت الناس جميعاً ماكذبتكم ، ولو غررت الناس جميعا ما غررتكم ، والله الذى لا إله إلا هو إنى لرسول الله إليكم خاصة وإلى الناس كافة .

والله لتموتن كما تنامون ، ولتبعثن كما تستيقظون ، ولتحاسبن بما تعملون ، ولتجزون بالإحسان إحسانا وبالسوء سوءا ، وإنها لجنة أبداً أو لنار أبداً» .

٢ - الحـــوار:

الحوار مجال واسع لنقل العقائد والآراء ، ومناقشتها وتقديمها للآخرين بما يقنعهم وييسر لهم فهمها وإدراك مقاصدها . .

ولقد حاور الرسول ـ ﷺ ـ كثيراً من الناس حوارا فردياً وجماعياً ، فى السلم والحرب ، فى الحضر والسفر ، وفى كافة شئون الحياة . . وهذه بعض النماذج :

حول أركان الإسلام :

أخرج مسلم بسنده عن أنس بن مالك قال : نهينا أن نسأل رسول الله ـ ﷺ ـ عن شيء ، فكان يعجبنا أن يجيء الرجل من أهل البادية العاقل فيسأله ونحن نسمع ، فجاء رجل من أهل البادية فقال : يا محمد أتانا رسولك فزعم لنا أنك تزعم أن الله أرسلك . .

قال صدق ؛ قال (الرجل) : فمن خلق السماء؟ قال (الرسول) : الله ، قال : فمن خلق الأرض؟ قال : الله ، قال فمن نصب هذه الجبال وجعل فيها ما جعل؟ قال : الله .

قال : فبالذى خلق السماء وخلق الأرض ونصب هذه الجبال الله أرسلك؟ قال : نعم .

قال : وزعم رسولك أن علينا خمس صلوات فى يومنا وليلتنا؟ قال : صدق . .

قال : فبالذى أرسلك الله أمرك بهذا؟ قال : نعم .

قال (الرجل) : وزعم رسولك أن علينا زكاة فى أموالنا ، قال : صدق .

قال : فبالذى أرسلك الله أمرك بهذا؟ قال : نعم .

قال : وزعم رسولك أن علينا صوم شهر رمضان فى سنتنا ، قال : صدق .

قال : فبالذى أرسلك الله أمرك بهذا؟ قال (الرسول) : نعم .

قال : وزعم رسولك أن علينا حج البيت من استطاع إليه سبيلا قال : نعم .

ثم ولى وقال : والذى بعثك بالحق لا أزيد عليهن ولا أنقص منهن .

فقال النبى ﷺ : لئن صدق ليدخلن الجنة . .

حول الحج

أخرج مسلم بسنده عن أبى هريرة - ؓ - قال :

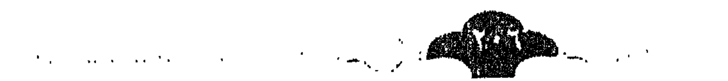
خطبنا رسول الله - ﷺ - فقال : يا أيها الناس إن الله قد فرض عليكم الحج فحجوا ، فقال رجل : أكل عام يا رسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثاً فقال : لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم ، ثم قال : ذرونى ماتركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فإذا أمرتكم بشىء فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شىء فدعوه .

حول مكارم الأخلاق

أخرج الإمام أحمد بإسناد جيد عن أبى أمامة - ؓ - أن غلاماً شاباً أتى النبى - ﷺ - فقال : يا نبى الله أتأذن لى فى الزنا؟!

فصاح الناس فقال النبى - ﷺ - قربوه ، أدن ، فدنا حتى جلس بين يديه فقال له النبى - ﷺ - : أتحبه لأمك؟!

فقال : لا . . جعلنى الله فداك ، قال : كذلك الناس لا يحبونه لأمهاتهم ، أتحبه لابنتك؟! قال : لا . . جعلنى الله فداك . .



قال (الرسول) : كذلك الناس لا يحبونه لبناتهم ، أتحبه لأختك؟

وزاد ابن عوف :

حتى ذكـر العمـة والخالـة وهو يقـول فى كل واحـدة : لا . . جـعلنى الله فداك ، وهو - ﷺ - يقول : كذلك الناس لا يحبونه .

فوضع رسول الله - ﷺ - يده على صـدره وقال : اللهم طهر قلبه ، واغـفر ذنبه وحصن فرجه ، فلم يكن شىء أبغض إليه منه ، يعنى الزنا .

مع اليهـود:

أخرج مسلم بسنده عن ثوبان مولى رسول الله - ﷺ - قال :

كنت قائماً عند رسول الله - ﷺ - فجاء حبر من أحبار اليهود فقال : السلام عليك يا محمد ، فدفعته دفعة كاد يصرع منها فقال : لم تدفعنى؟ فقلت : ألا تقول يا رسول الله؟!

فقال اليهودى : إنما ندعوه باسمه الذى سماه به أهله .

فقال رسول الله - ﷺ - : إن اسمى محمد الذى سمانى به أهلى .

فقال اليهودى : جئت أسألك .

فقال له رسول الله - ﷺ - : أينفعك شىء إن حدثتك؟!

قال : أسمع بأذنىّ

فنكت رسول الله - ﷺ - بعود معه فقال : سل .

فقال اليهودى : أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات؟

فقال رسول الله - ﷺ - : هم فى الظلمة دون الجسر .

قال : فمن أول الناس إجازة؟

قال : فقراء المهاجرين . .

قال اليهودى : فما تحفتهم[1] حين يدخلون الجنة؟

قال : زيادة كبد النون[2]

قال : فما شرابهم عليه؟

قال : من عين فيها تسمى سلسبيلا .

قال اليهودى : صدقت ، وجئت أسألك عن شىء لا يعلمه أحد من أهل الأرض إلا نبى أو رجل أو رجلان .

---

١ - التحفة ما يهدى للرجل ويلاطف به .

٢ - النون هو الحوت وزيادة الكبد طرفه وهو أطيبها .



قال الرسول ـ ﷺ ـ : ينفعك إن حدثتك؟

قال : أسمع بأذنيَّ ، جئت أسألك عن الولد ؟

قال الرسول ـ ﷺ ـ : ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر ، فإذا اجتمعا فعلا منى الرجل منيّ المرأة أذكرا بإذن الله ، وإذا علا منى المرأة منى الرجل آنثا بإذن الله .

قال اليهودى : لقد صدقت وإنك لنبى ثم انصرف فذهب فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : لقد سألنى هذا عن الذى سألنى عنه ومالى علم بشىء حتى أتانى الله به .

مع النصارى

روى الإمام أحمد والترمذى وابن جرير عن عدى بن حاتم ـ رضي الله عنه ـ : أنه لما بلغته دعوة رسول الله ـ ﷺ ـ فرّ إلى الشام وكان قد تنصر فى الجاهلية . .

فأسرت أخته وجماعة من قومه ، ثم مَنَّ رسول الله ـ ﷺ ـ على أخته وأعطاها . .

فرجعت إلى أخيها فرغبته فى الإسلام وفى القدوم على رسول الله ، فتقدم عدى إلى المدينة ، وكان رئيساً فى قومه طىء ، وأبوه حاتم الطائى المشهور بالكرم ، فتحدث الناس بقدومه . .

فدخل على رسول الله ـ ﷺ ـ وفى عنق عدى صليب من فضة ، ورسول الله يقرأ هذه الآية . . ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾(1) .

فقال عدى : إنهم لم يعبدوهم .

فقال الرسول : بلى إنهم حرموا عليهم الحلال وأحلوا لهم الحرام فاتبعوهم فذلك عبادتهم إياهم .

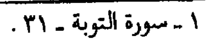
وقال رسول الله ـ ﷺ ـ : يا عدى ما تقول؟ أيضرك أن يقال الله أكبر؟ فهل تعلم شيئاً أكبر من الله؟

ما يضرك؟ أيضرك أن يقال لا إله إلا الله؟ فهل تعلم إلها غير الله؟

ثم دعاه إلى الإسلام فأسلم وشهد شهادة حق . .

قال عدى : فلقد رأيت وجهه استبشر .

ثم قال رسول الله : إن اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون . .


١ ـ سورة التوبة ـ ٣١ .



٣ - البيعة :

البيعة والمبايعة عهد على الولاء والوفاء ، وإطلاق هذا اللفظ من باب التشبيه بالمعاوضات المالية . .

وقد كان للبيعة دور مهم فى تاريخ الدعوة الإسلامية على عهد رسول الله - ﷺ - .

ومن المشهور فى السيرة النبوية بيعة العقبة الأولى والثانية ، لقد حرص رسول الله على أن يلقى الناس فى أماكن تجمعاتهم وموسم حجهم وأسواق تجارتهم ، وبينما الرسول الكريم عند العقبة – لقى رهطاً من الخزرج أراد الله بهم خيرا ، فعرض عليهم الإسلام وتلا عليهم القرآن ، فأدرك هؤلاء الرهط صدق الرسول - ﷺ - وتذكروا أن هذا هو النبى الذى ينتظره أهل الكتاب ، لأن اليهود فى يثرب كانوا يتوعدون أهلها ويقولون : إن نبياً مبعوث الآن ، قد أطل زمانه ، نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم . .

فحاول هؤلاء الرهط من الخزرج أن يسبقوا إلى الإسلام ويفوزوا بشرف النصرة لرسول الله فأسلموا ثم انصرفوا راجعين إلى يثرب . .

فلما كان العام المقبل قدم من الأنصار اثنا عشر رجلاً ، فلقيهم الرسول - ﷺ - عند العقبة وبايعوه على :

أن لا نشرك بالله شيئاً ، ولا نسرق ، ولانزنى ، ولا نقتل أولادنا ، ولا نأتى ببهتان نفتريه من بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه فى معروف .

وقال لهم - عليه الصلاة والسلام - :

فإن وفيتم فلكم الجنة وإن غشيتم من ذلك شيئاً فأخذتم بحده فى الدنيا فهو كفارة له ، وإن سترتم عليه إلى يوم القيامة فأمركم إلى الله عز وجل إن شاء عذب وإن شاء غفر . .

وتسمى هذه البيعة بيعة العقبة الأولى ، فلما انصرف القوم بعث الرسول - ﷺ - معهم مصعب بن عمير ، وأمره أن يقرئهم القرآن ويعلمهم الإسلام ويفقههم فى الدين . .

فلما مضى العام وحان موسم الحج عاد مصعب إلى مكة ومعه وفد من الأنصار المسلمين وواعدوا رسول الله بالعقبة فى ليلة من أوسط أيام التشريق .

وحين مضى ثلث الليل خرجوا من رحالهم يتسللون تسلل القطا ، مستخفين حتى اجتمعوا فى الشعب وهم ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان هما نسيبة بنت كعب وأسماء بنت عمرو بن عدى . .

وبينما هم مجتمعون إذ حضر الرسول الكريم ومعه عمه العباس وهو يومئذ على دين قومه إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق له .

فتكلم الرسول - ﷺ - وتلا القرآن ودعا إلى الله ورغب فى الإسلام ثم قال : تبايعونى على السمع والطاعة فى النشاط والكسل ، والنفقة فى العسر واليسر ، وعلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وأن تقولوا فى الله لا تخافوا فى الله لومة لائم ، وعلى أن تنصرونى فتمنعونى إذا قدمت عليكم مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم ولكم الجنة» .

فأخذ البراء بن معرور بيده ثم قال :

نعم والذى بعثك بالحق نبياً لنمنعنك مما نمنع منه أزرنا[1] فبايعنا يا رسول الله ، فنحن والله أبناء الحرب وأهل الحلقة[2] ورثناها كابراً عن كابر .

وقد نوقشت هذه البيعة قبل إتمامها مناقشة موضوعية هادئة ، وقلبت فيها الأمور على كافة وجوهها ، حتى قال أسعد بن زرارة ، وهو من أصغرهم :-

رويدا يا أهل يثرب ، فإنا لم نضرب إليه أكباد الإبل إلا ونحن نعلم أنه رسول الله ، وإن إخراجه اليوم مناوأة للعرب كافة ، وقتل خياركم ، وتعضكم السيوف . .

فإما أنتم قوم تصبرون على ذلك فخذوه وأجركم على الله ، وإما أنتم قوم تخافون من أنفسكم خيفة فذروه ، فبينوا ذلك فهو أعذر لكم عند الله .

لقد أراد أسعد أن يستوثق من قومه ويضعهم أمام مسئولياتهم ، وسألهم سؤالا مؤداه : هل أنتم على استعداد لتحمل البأساء فى سبيل حماية الرسول - ﷺ - ؟!

فقالوا : أمط عنا يا أسعد ، أى أبعد عنا ، فوالله لا ندع هذه البيعة ولا نسلبها أبداً . .

وكما استوثق أسعد من قومه فقد استوثق بعضهم من رسول الله فقام أبوالهيثم بن التيهان وقال : يا رسول الله إن بيننا وبين الرجال حبالاً وإنا قاطعوها -

---

١ - أُزُر كحُمُر : جمع إزار ، ويكنى به عن المرأة .
٢ - الحلقة : السلاح .



يعنى اليهود ، فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟!

فتبسم رسول الله - ﷺ - ثم قال : بل الدم الدم ، والهدم الهدم ، أنا منكم وأنتم منى ، أحارب من حاربتم ، وأسالم من سالمتم . .

والمعنى أن طالب دمكم طالب دمى ، ومن أهدر دمكم فقد أهدر دمى لاستحكام الألفة والمودة بيننا كأننا جسد واحد . .

وتسمى هذه البيعة بيعة العقبة الثانية . .

ومن المبايعات التى سجلها القرآن المجيد بيعة الرضوان فى قوله تعالى : **﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا . وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً ﴾**[1] .

وقد وقعت عند الحديبية قرب مكة فى العام السادس للهجرة ، وقد دعا الرسول الناس إلى البيعة على الثبات وعدم الفرار حتى يقضى الله أمرا كان مفعولاً بعدما بعث الرسول - ﷺ - عثمان بن عفان ليفاوض قريشاً بشأن دخول المسلمين مكة فاحتبسوه بعض الوقت ونقل الخبر إلى المسلمين على أن عثمان قتل . .

وكان عدد المسلمين يومئذ ألفا وأربعمائة ، وقد وصفهم رسول الله بأنهم خير أهل الأرض . .

وحين أصبحت مكة فى حمى المسلمين بعد فتحها فى العام الثامن للهجرة استفتى الناس رسول الله عن الهجرة والبيعة بشأنها ، وفى صحيح البخارى بسنده عن مجاشع ابن مسعود قال : **انطلقت بأبى معبد إلى النبى - ﷺ - ليبايعه على الهجرة فقال : مضت الهجرة لأهلها ، أبايعه على الإسلام والجهاد . .**

وللنساء مبايعات لرسول الله ﷺ ، وكانت أحيانا جماعية وأحيانا فردية ، وتولاها الرسول بنفسه وأناب عنه عمر بن الخطاب فى بعضها . .

---

١ - سورة الفتح ١٨ ، ١٩ .



ونصوص البيعة هى قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(1) .

ووقعت هذه البيعة لما قدم رسول الله - ﷺ - المدينة فجمع نساء الأنصار فى بيت ثم أرسل إليهن عمر بن الخطاب ، كما كان يتعاهدها الرسول مع النساء يوم العيد عقب الخطبة ، فيشق صفوف الرجال حتى يأتى النساء ويأخذ عليهن البيعة ، كما تولاها الرسول مع النساء المهاجرات عقب صلح الحديبية ليتبين إيمانهن فيمنعن من العودة للمشركين ، فكان الرسول يمتحن المهاجرة بالله ما خرجت من بغض زوج ، وباللّه ما خرجت رغبة عن أرض إلى أرض ، وبالله ما خرجت التماس دنيا ، وبالله ما خرجت إلا حبا لله ولرسوله . .

٤ - البعوث :

أدت البعوث النبوية دورا فى نشر الدعوة الإسلامية وبيان حقيقة ذلك الدين القيم وتعليم الناس معالم إسلامهم . .

ومن أوائل البعوث فى ذلك بعث مصعب بن عمير إلى يثرب مع وفد بيعة العقبة الأولى قبيل الهجرة ، وقد أمره رسول الله - ﷺ - **أن يقرئهم القرآن ويعلمهم الإسلام ويفقههم فى الدين وكان يسمى المقرئ بالمدينة وكان يصلى بهم . .**

تحمل مصعب فى سبيل دينه البأساء والشدة . .

قال سعد بن أبى وقاص : كان مصعب بن عمير أنعم غلام بمكة وأجوده حلة مع أبويه ثم لقد رأيته جُهد فى الإسلام جهدا شديداً حتى لقد رأيت جلده يتحشف كما يتحشف جلد الحية .

وقال الواقدى : كان مصعب بن عمير فتى مكة شباباً وجمالاً وسبيباً(2) ، وكان أبواه يحبانه ، وكانت أمه تكسوه أحسن ما يكون من الثياب ، وكان أعطر أهل مكة ، وكان رسول الله - ﷺ - يذكره ويقول : ما رأيت بمكة أحسن لمة(3) ولا أنعم نعمة من مصعب بن عمير .

---

١ - سورة الممتحنة ١٢ .
٢ - السبيبة : الثياب الرقيقة .
٣ - اللمة - بكسر اللام - شعر الرأس إذا ألم بالمنكبين .



ولقد مضى شهيدا يوم أحد ويقال فيه نزلت وفى أصحابه الآية الكريمة : ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً ﴾ . . (سورة الأحزاب الآية ٢٣)

لقد مات لا يترك إلا ثوبا ، إذا غطوا رأسه خرجت رجلاه ، وإذا غطوا به رجليه خرج رأسه فقال رسول الله - ﷺ - : «غطوا رأسه واجعلوا على رجليه الإذخر»[١] .

ومن بعوث رسول الله - ﷺ - : أبو موسى الأشعرى ومعاذ بن جبل وقد بعث بهما إلى اليمن مع توجيهات حكيمة . . وفى صحيح البخارى قال لهما : يسرا ولا تعسرا ، وبشرا ولا تنفرا ، وتطاوعا ، فقال أبو موسى : يا نبى الله إن أرضنا بها شراب من الشعير : المِزْر ، وشراب من العسل : البتع ، فقال : كل مسكر حرام . فانطلقا فقال معاذ لأبى موسى : كيف تقرأ القرآن؟

قال : قائماً وقاعداً وعلى راحلتى وأتفوقه تفوقاً[٢] .

قال معاذ : أما أنا فأنام وأقوم ، فأحتسب نومتى كما أحتسب قومتى . .[٣]

ومن المواقف المشهودة فى هذا المجال ما حدث فى بئر معونة عندما بعث الرسول - ﷺ - سبعين من القراء ليفقهوا الناس فى الدين فغدروا بهم وقتلوهم فظل رسول الله يدعو على هذه القبائل شهرا . .

٥ - الوفود :

لقد توالت الوفود على رسول الله - ﷺ - تعلن ولاءها للدين القيم أو تعقد معاهدات مع المسلمين أو تتعرف على الإسلام . .

ومع أن الوفود كانت على أيام الدعوة الإسلامية كلها فى مكة والمدينة إلا أن العام التاسع للهجرة يعرف فى تاريخ السيرة النبوية بعام الوفود . .

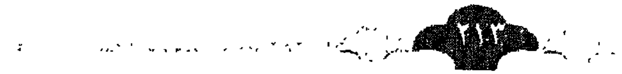
وكانت الوفود فرادى وجماعات ، وتدور مناقشات ومساجلات وتحدث مواقف وأحداث . .

---

١ - الإذخر - بكسر الهمزة - حشيش طيب الرائحة ، وراجع الترجمة فى أسد الغابة جـ ٤ ص ٤٠٥ . ط دار الفكر .

٢ - ألازم قراءته ليلاً ونهارا شيئاً بعد شيء ، من فواق الناقة وهو أن تحلب ثم تترك ساعة ثم تحلب وهكذا .

٣ - معنى ذلك أنه يطلب الثواب فى الراحة كما يطلبه فى التعب لأن الراحة إذا قصد بها الإعانة على العبادة حصلت الثواب .



ومن أوائل الوفود فى العهد المكى ما جاء فى صحيح البخارى بسنده عن ابن عباس قال :

لما بلغ أبا ذر مبعث رسول الله - ﷺ - قال لأخيه :

اركب إلى هذا الوادى فاعلم لى علم هذا الرجل الذى يزعم أنه نبى يأتيه الخبر من السماء فاسمع من قوله ثم ائتنى .

فانطلق الأخ حتى قدمه وسمع من كلامه ثم رجع إلى أبى ذر فقال له : رأيته يأمر بمكارم الأخلاق ، وكلاماً ما هو بالشعر . .

فقال : ما شفيتنى مما أردت .

فتزود وحمل شنة[1] له فيها ماء ، حتى قدم مكة ، فأتى المسجد فالتمس رسول الله - ﷺ - ولا يعرفه وكره أن يسأل عنه ، حتى أدركه بعض الليل .

فرآه على بن أبى طالب فعرف أنه غريب ، فلما رآه تبعه ولم يسأل واحد منهما صاحبه عن شىء حتى أصبح ثم احتمل قربته وزاده إلى المسجد .

وظل ذلك اليوم ولا يراه النبى - ﷺ - حتى أمسى فعاد إلى مضجعه فمرّ به علىّ ، فقال : أما آن للرجل أن يعلم منزله فأقامه فذهب به معه ، لا يسأل واحد منهما صاحبه عن شىء حتى إذا كان اليوم الثالث فعاد على بن أبى طالب على مثل ذلك فأقام معه ، فقال ألا تحدثنى بالذى أقدمك؟

قال : إن أعطيتنى عهدا وميثاقاً لترشدننى فعلت ، ففعل ، فأخبره .

قال : فإنه حق وإنه رسول الله - ﷺ - ، فإذا أصبحت فاتبعنى فإنى إن رأيت شيئا أخاف عليك قمت كأنى أريق الماء ، وإن مضيت فاتبعنى حتى تدخل مدخلى .

ففعل فانطلق يقفوه حتى دخل على النبى - ﷺ - ودخل معه ، فسمع من قوله وأسلم مكانه .

فقال له النبى - ﷺ - : ارجع إلى قومك فأخبرهم حتى يأتيك أمرى ، فقال : والذى نفسى بيده لأصرخن بها بين ظهرانيهم .

فخرج حتى أتى المسجد فنادى بأعلى صوته : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، ثم قام القوم فضربوه حتى أضجعوه ، فأتى العباس فأكب عليه

---

١ - الشنة - بفتح الشين - القربة الخلق .

فقال : ويلكم ألستم تعلمون أنه من غفار وأنه طريق تجارتكم إلى الشام؟! فأنقذه منهم ، ثم عاد من الغد لمثلها ، فضربوه وثاروا عليه فأكب العباس عليه . .

ومن الوفود المشهورة وفد نصارى نجران وفى شأنه نزل صدر سورة آل عمران ودعاهم الله فيها إلى الحق فى المسيح عليه السلام ورسالة التوحيد التى جاء بها فإن أبوا دعاهم إلى المباهلة فى قوله تعالى : ﴿ **فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ** ﴾[1] .

كما نزلت سورة الحجرات بشأن وفد تميم الذين نادوا رسول الله - ﷺ - من وراء الحجرات : أن اخرج إلينا يا محمد . .

٧ - الرسائل :

حين استقر الأمر للمسلمين فى المدينة المنورة بصلح الحديبية فى العام السادس للهجرة اتجه الرسول - ﷺ - إلى مخاطبة ملوك العالم وأمراء الجزيرة العربية ، وبعث رسائل شخصية إلى هرقل عظيم الروم ، وكسرى عظيم فارس ، والنجاشى فى الحبشة والمقوقس فى مصر ، وملوك عمان واليمامة والبحرين واليمن . .

ومن نماذج الرسائل النبوية رسالة هرقل ، ونصها كما فى صحيح البخارى :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم .

سلام على من اتبع الهدى

أما بعد . .

فإنى أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين[2] ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون» .

---

١ - سورة آل عمران ٦١ .

٢ - الأتباع والرعايا .

وقد أمر الرسول زيد بن ثابت أن يتعلم العبرانية ليترجم له الرسائل التى ترد إليه فتعلمها زيد فى سبع عشرة ليلة . .

ومن أواخر الرسائل النبوية الرسالة إلى مسيلمة الكذاب ، فقد بعث مسيلمة رسالة يقول فيها :

من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله .

سلام عليك أما بعد . .

فإنى قد أشركت فى الأمر معك ، وإن لنا نصف الأرض ولقريش نصف الأرض ولكن قريشا قوم يعتدون . .

وقدم بهذا الكتاب رسولان لمسيلمة ، وحين قرأ الرسول ـ ﷺ ـ كتاب مسيلمة قال لهما : فما تقولان أنتما؟ قالا : نقول كما قال ، فقال عليه الصلاة والسلام أما والله لولا أن الرسل لا تُقتل لضربت أعناقكما . .

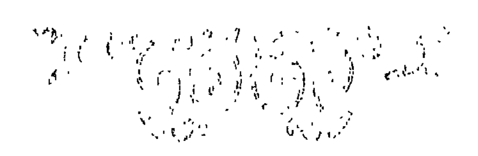
ثم كتب إلى مسيلمة : بسم الله الرحمن الرحيم

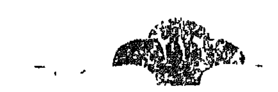
من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب

السلام على من اتبع الهدى

أما بعد . .

فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين . .





رجل الإعلام الإسلامى

إن مناط القدوة فى الرسول الداعية تجعل رجل الإعلام الإسلامى على مستوى رفيع فكرا وعقيدة وسلوكاً ومنهجاً . .

ومن خلال القدوة برسول الله - ﷺ - نرى مايلى :

١ - إننا فى حاجة ماسة إلى رجل إعلام يؤمن بقضيته ويقتنع بها وتملك عليه مشاعره ، ويعيش بها ولها . .

ومن هنا فالمسئولون عن الإعلام فى أرض الإسلام اليوم يجب أن يراجع اختيارهم ، فهم يتحكمون فى أخطر وسائل بناء الشخصية الإنسانية فما لم يكونوا على مستوى الأمانة والمسئولية ضاعت الأمة وشقيت وتفككت أواصرها . .

٢ - إن رجل الإعلام الإسلامى قدوة فى نفسه وأهله ، ولا يفترق عن رجل الدعوة فكلاهما أمين على نفسه وأهله قبل أن يؤتمن على أخلاق الناس وسلوكياتهم . .

ولسنا فى حاجة إلى أدعياء الكلمة وتجار المواقف ومنافقى كل راية . . فهؤلاء أخطر على الأمة من أعدائها المعلنين بعداوتهم . .

٣ - إن الأخطار المحدقة بالأمة الإسلامية كثيرة ومتعددة الوسائل ، وتحتاج إلى خبرة وكفاءة ممتازة تستطيع المواجهة وتملك المقدرة ، وتستوعب تكنولوجيا الإعلام وتحسن السيطرة عليها وتوجيهها الوجهة الإسلامية الصحيحة . .

٤ - إن اتفاقيات التعاون الإعلامى بين الدول الإسلامية يجب أن تضع فى مقام الصدارة خدمة الإسلام كعقيدة وشريعة ، وتقديم المنهج الإسلامى لبناء الحياة المثلى وصياغة الفكر الإنسانى صياغة علمية أمينة . .

٥ - إن إبراز الواقع الإسلامى الصحيح من واجبات الإعلام الإسلامى التى يسعى فيها إلى تجسيد الواقع السليم وتقديمه كنماذج واقعية لأمة الإسلام تؤكد الانسجام بين النظرية والتطبيق . .

وإن الجهود الجبارة التى تقوم بها الجمعيات الخيرية على مستوى العالم الإسلامى لجديرة بالمتابعة الإعلامية المرئية والمسموعة والمقروءة .

وكذلك مشروعات التنمية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية فى أى موقع من بلاد المسلمين . .

٦ - إن التبادل الإعلامى بين الدول الإسلامية ودول العالم الأخرى يحتاج إلى انتقاء فى الاستقبال والإرسال ، بحيث نقدم لهم شعائر الإسلام ومناهج العبادة والحياة الإسلامية فى نماذجها الصحيحة بصورة شائقة تجذب المتلقى غير المسلم وتستحوذ على مشاعره . .

ونأخذ من إعلامهم ما يتعلق بالبحث العلمى ومظاهر الطبيعة وتطور العمران ونبتعد عن سلوكياتهم الشائنة واجتماعياتهم المستقبحة وأخلاقياتهم الذميمة . .

٧ - الإعلام الإسلامى مطالب بشدة كى يركز على الأقليات الإسلامية فى دول العالم الأخرى حماية لحقوقهم ، وتربية لسلوكهم ، وحفاظا على عقيدتهم حتى لا يشعروا بالغربة وحتى يظل الشعور مرتبطاً بالوطن الإسلامى الكبير . .

٨ - إن للإعلام الإسلامى دوراً فى مجال الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر قد يكون أشد أثرا . . ولهذا فنحن نرفض المقولة الهزيلة «المستمع يريد ذلك» . . لتبرير ما يسىء إلى القيم والأخلاق . . وننادى بمقولة «المستمع ينهض بذلك ويسعد» . . حتى نأخذ بيد المتلقى المسلم إلى آفاق المجد والحضارة والرقى . .

﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ .



المؤلف في سطور

دكتور / محمد سيد أحمد المسير

- أستاذ العقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين - جامعة الأزهر .
- عمل أستاذاً مشاركاً ، ثم رئيساً لقسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية فى كلية التربية - فرع جامعة الملك عبد العزيز بالمدينة المنورة ١٩٨٣ - ١٩٨٧م .
- أعير أستاذاً فى كلية الدعوة وأصول الدين - جامعة أم القرى بمكة المكرمة ١٩٩٣ - ١٩٩٨م .
- شارك فى عضوية المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بوزارة الأوقاف .
- شارك فى عضوية جمعية الدراسات الإسلامية بالزمالك .
- يشارك فى عضوية الجمعية الفلسفية المصرية .
- يكتب المقالات فى المجلات والصحف الإسلامية فى مصر والعالم الإسلامى .
- يشارك فى البرامج الإذاعية والتليفزيونية لمصر والعالم الإسلامى .
- كان الأول على طلاب الجمهورية فى الشهادة الإعدادية عام ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م . من معهد شبين الكوم .
- كان السادس عشر على طلاب الجمهورية فى الثانوية الأزهرية عام ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩م ، وكانت المرحلة الثانوية يومئذ خمس سنوات .
- حصل على تقدير ممتاز مع مرتبة الشرف فى الشهادة العالية من قسم العقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين بالقاهرة عام ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣م .
- حصل على الدكتوراة بمرتبة الشرف الأولى من جامعة الأزهر عام ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨م .

● شارك فى المؤتمرات والملتقيات الفكرية مثل :

- المؤتمر الحادى عشر لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر فى رجب ١٤٠٨ هـ .
- ندوة الفقه الإسلامى فى سلطنة عمان فى شعبان ١٤٠٨ هـ .
- الموسم الثقافى لشهر رمضان فى دولة الكويت ١٤٠٩ هـ .
- الندوة القومية لمواجهة الدس الشعوبى فى بغداد من ٢٢ - ٢٤ لشهر جمادى الأولى ١٤١٠ هـ .
- المؤتمر الإسلامى العالمى لمناصرة العراق المنعقد فى بغداد ، فى شهر ذى القعدة ١٤٢٠ هـ «قبل الغزو» .
- المؤتمر القومى الذى نظمه المركز العربى للإعلام بالقاهرة تحت عنوان «الإدمان قضية العصر» من ١٨ - ٢٠ صفر ١٤١١ هـ .



- المؤتمر الإسلامى العالمى لمناقشة أزمة الخليج ، الذى نظمته رابطة العالم الإسلامى بمكة المكرمة من ٢١ - ٢٣ صفر ١٤١١ هـ .
- الندوة العالمية لمناقشة حقوق الإنسان بين الإسلام والغرب ، فى طهران بتاريخ ٩ - ١٢ سبتمبر ١٩٩١م .
- المهرجان الإسلامى العالمى فى الكويت للإفراج عن الأسرى والمحتجزين فى سجون العراق من ١٩ - ٢١ يناير ١٩٩٢ م .
- الموسم الثقافى لشهر رمضان فى دولة الإمارات العربية المتحدة ١٤١٢ هـ .
- ندوة الإعلام الإسلامى بين تحديات الواقع وطموحات المستقبل ، التى نظمتها مؤسسة «اقرأ» الخيرية ، بالتعاون مع جامعة الأزهر فى ذى القعدة ١٤١٢ هـ - مايو ١٩٩٢م .
- سافر مع وزير الأوقاف المصرى ضمن وفد رسمى لزيارة دول الكومنولث الإسلامية بتاريخ ١٣ - ٢٥ سبتمبر ١٩٩٢ م .
- المؤتمر الثانى عشر لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر من ٢ - ٥ لشهر جمادى الأولى سنة ١٤١٣ هـ .
- مؤتمر التوجيه الإسلامى للعلوم الذى نظمته رابطة الجامعات الإسلامية بالاشتراك مع جامعة الأزهر سنة ١٤١٣ هـ .
- شارك فى لجان الاختيار لجائزة الملك فيصل العالمية .
- الندوة العلمية «فى قلب الشرق : قراءة معاصرة لأعمال لوى ماسنيون» ، والتى نظمها قسم الفلسفة بكلية الآداب - جامعة القاهرة مع المركز الفرنسى للثقافة والتعاون يومى ١٤ ، ١٥ مارس ١٩٩٩ م .
- المؤتمر الدولى الرابع للفلسفة الإسلامية فى كلية دار العلوم - جامعة القاهرة تحت عنوان «الإسلام فى عصر العولمة» بتاريخ ١٨ ، ١٩ من المحرم ١٤٢٠ هـ - ٤ ، ٥ من مايو ١٩٩٩م .
- ندوة «الفساد الاقتصادى - الواقع المعاصر والحل الإسلامى» التى أقامها مركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامى بجامعة الأزهر بتاريخ ٢٢ : ٢٣ من مارس ٢٠٠٠م .
- المؤتمر الدولى الخامس للفلسفة الإسلامية فى كلية دار العلوم - جامعة القاهرة ، تحت عنوان «الإسلام وحوار الحضارات» بتاريخ ٢٧ / ٢٨ من المحرم ١٤٢١ هـ - ٢ ، ٣ من مايو سنة ٢٠٠٠ م .
- المؤتمر الدولى السادس للفلسفة الإسلامية فى كلية دار العلوم تحت عنوان «الإسلام ومشروعات النهضة الحديثة ٧ ، ٨ / ١ / ١٤٢٢ هـ - ١ ، ٢ / ٤ / ٢٠٠١م .



كتب المؤلف

● فى العقيدة:

١ ـ فى نور العقيدة الإسلامية .
٢ ـ أدب الحديث عن الله .
٣ ـ علم التوحيد للشهادة الإعدادية الأزهرية .
٤ ـ التمهيد فى دراسة العقيدة الإسلامية .
٥ ـ الإلهيات فى العقيدة الإسلامية «دار الاعتصام» .
٦ ـ الشفاعة فى الإسلام «مطبعة الكيلانى» .
٧ ـ النبوة المحمدية : دلائلها وخصائصها . «دار الاعتصام» .

● فى الفلسفة والأخلاق:

٨ ـ الروح فى دراسات المتكلمين والفلاسفة . «دار المعارف» .
٩ ـ المجتمع المثالى فى الفكر الفلسفى وموقف الإسلام منه . «دار المعارف» .
١٠ ـ قضايا إنسانية فى الفكر الدينى والفلسفى . «مكتبة الصفا» .
١١ ـ قيم أخلاقية من القرآن والسنة . «مكتبة الصفا» .
١٢ ـ قضايا الفكر الإسلامى المعاصر . «نهضة مصر» .

● فى الأديان:

١٣ ـ المدخل لدراسة الأديان . «دار الندى» .
١٤ ـ أصول النصرانية فى الميزان . «مكتبة الصفا» .
١٥ ـ أوروبا والنصرانية .
١٦ ـ المسيح ورسالته فى القرآن . «مكتبة الصفا» .
١٧ ـ عبادة الشيطان فى البيان القرآنى والتاريخ الإنسانى . «دار الوفاء» .

● فى الفرق الإسلامية:

١٨ ـ الحوار بين الجماعات الإسلامية .
١٩ ـ مقدمة فى دراسة الفرق الإسلامية «مكتبة النهضة المصرية» .
٢٠ ـ قضية التكفير فى الفكر الإسلامى .



● **فى السيرة النبوية والحديث الشريف:**

٢١ ـ الرسول فى رمضان . «مكتبة الصفا» .

٢٢ ـ الرسول حول الكعبة . «مكتبة الصفا» .

٢٣ ـ الرسول والوحى[1] .

٢٤ ـ الرسول وقضايا المجتمع . «المؤسسة العربية الحديثة» .

٢٥ ـ الرسول والموافقات . «المؤسسة العربية الحديثة» .

٢٦ ـ وعندئذ قال الرسول . «دار المعارف» .

٢٧ ـ أيسر البيان فى شرح الحكمة النبوية . «دار الندى» .

● **فى الشريعة الإسلامية:**

٢٨ ـ محاورة تطبيق الشريعة . «المؤسسة العربية الحديثة» .

٢٩ ـ نحو دستور إسلامى . «دار الندى» .

٣٠ ـ أخلاق الأسرة المسلمة . «دار الندى» .

٣١ ـ العبادات فى الإسلام .

● **تحقيق مؤلفات فضيلة الدكتور/ سيد أحمد رمضان المسير - رحمه الله تعالى-:**

٣٢ ـ السنة مع القرآن . «دار الندى» .

٣٣ ـ السنة المطهرة .« المؤسسة العربية الحديثة» .

٣٤ ـ إلزام القرآن للماديين والمليين . «المؤسسة العربية الحديثة» .

٣٥ ـ دراسات قرآنية .

* * *

---

١ – صدر فى طبعة جديدة بعنوان : النبوة المحمدية .



الفهرس